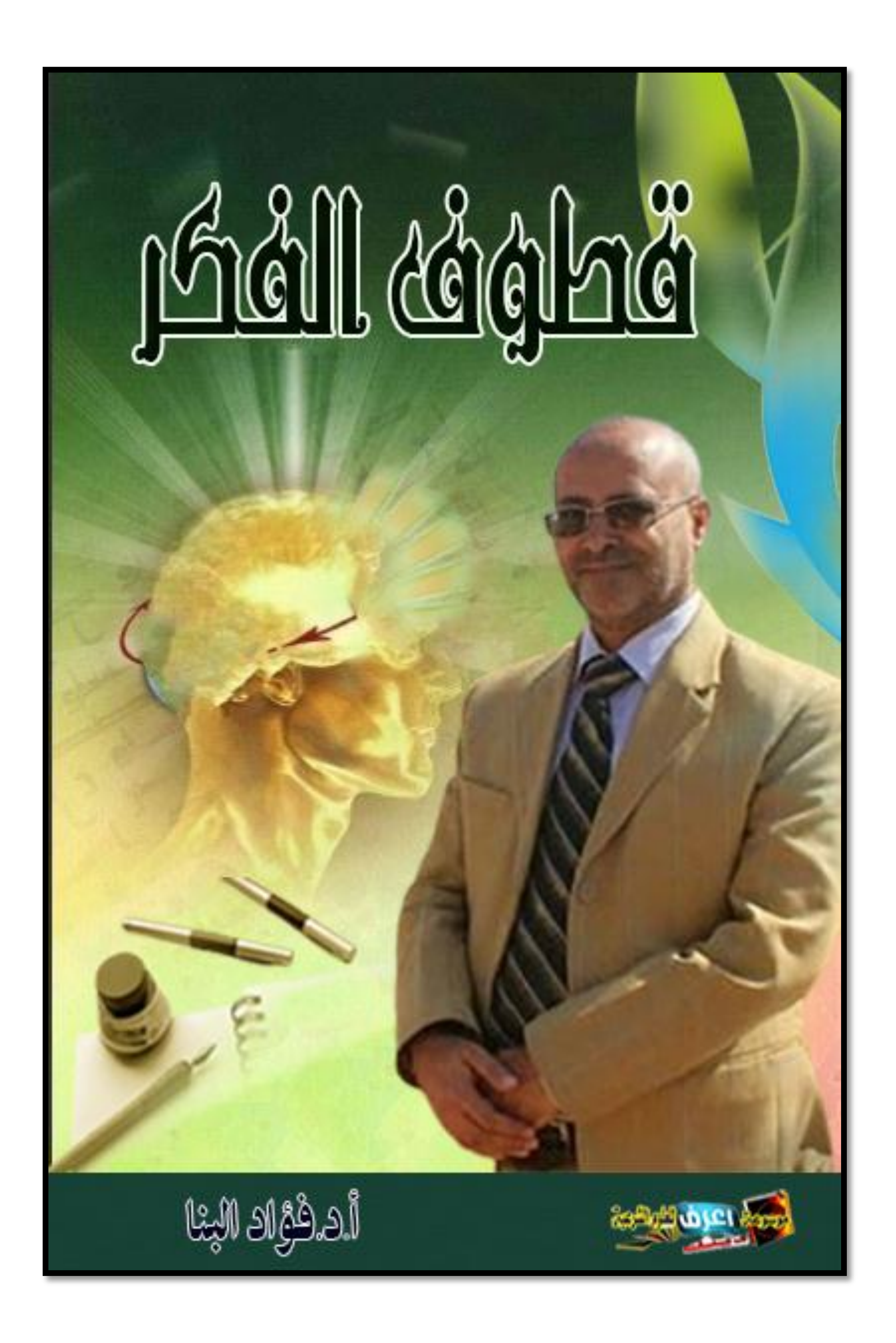

قطوف الفكر
أ.د.فؤاد البنا

مُقَدِّمَة

هذه مقدمة تمهيدية للموسوعة وليس لكتاب دكتورنا الفاضل فهو أكبر مقامًا من أن نقدم له –حفظه الله –وبارك في قلمه وعلمه.

موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية يسرها أن تقدم للقاري المسلم والعربي كتابًا قيمًا وقطوفًا تثري العقل والروح **للأستاذ الدكتور فؤاد البنا** من اليمن الشقيق ، وقد أذن لنا بنشر بعضًا من السلاسل من انتاجه دعويًا والكترونيًا ، في موسوعاتنا منها:

–عناقيد الفكر.. –بوارق الفكر . – أمطار الفكر– رياض الفكر –قطوف الفكر

وكل سلسلة منها لاتقل عن ١٠٠ حلقة بحجم هذا الكتاب والكل جاري العمل لنشره دعويًا والكترونيًا.

وقد نشرت الموسوعة بالفعل (عناقيد الفكر) وهذا الكتاب ،والبقية حسب ما يتيسر لنا أن شاء الله تعالي.

مع تحيات موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية

موسوعة متخصصة في نشر الكتب الالكترونية الشرعية دعويًا للأفاضل في مصر والدول الإسلامية بالتحميل المباشر مجانًا لحفظه من الضياع للأجيال المقبلة





من هو أ.د.فؤاد البنا

- الاسم: فؤاد عبد الرحمن محمد البنا

- الميلاد: من مواليد ديسمبر ١٩٦٧م في قرية دمنة نخلان – مديرية السياني – محافظة إب، اليمن.

التحصيل العلمي:

- حاصل على الترتيب الأول على مستوى الجمهورية في الثانوية سنة١٩٨٦م (معاهد علمية).

- بكالوريوس تربية عام ١٩٩٠م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف من جامعة صنعاء.

- معيد بكلية التربية في تعز(جامعة صنعاء سابقاً) ١٩٩١-١٩٩٣م .

- ماجستير في الثقافة الإسلامية من جامعة السند بباكستان(مدينة حيدر أباد) عام ١٩٩٦م بتقدير ممتاز.

- دكتوراه في الفكر الإسلامي السياسي عام٢٠٠٠م من جامعة إفريقيا العالمية بالخرطوم – السودان، بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف، وحصل على شهادتي تقدير من السفير اليمني ومن الملحق الثقافي في السفارة اليمنية بالخرطوم؛ تقديراً لأدائه المتميز

قُطوفُ الفكر ١

سوامقُ المعرفة

السموقُ العلمي:

السامقون حقاً في آفاق المعرفة وفي عوالم الفقه لدين الله، هم الذين تشرَّبوا حقائق العلم وتلذّذوا بمسائل العرفان، وذلك عند ورودهم مجمع النهرين: نهر الشريعة ونهر الطبيعة، فاكتسبوا بذلك فقه الحال والمآل، غير مُفرقين بين المعاش والمعاد.

العلم قارب الطاعة:

العلم قاربٌ يُتوسَّل به للوصول إلى ضفاف الطاعة، فلا فائدة منه لمن لم يلتزم بمقتضياته، بل يصير ذنبه أكبر من ذنب الجاهل، لأنه أقرب إلى الطاعة بامتلاكه لوسيلتها، وقد أقام الله عليه الحجة عندما منحه كنوز العلم.

طائرة الأهواء:

(الأهواء) طائرة تسرع بصاحبها نحو (الأوهام)!

أما (العلوم) فهي معارج تطير بصاحبها في سماء (العُلوّ)، إذ يمكنها أن تدرك الحقائق وتحقق المرامي، وتستطيع اكتشاف الخبايا وارتياد المجاهيل، وبإمكانها اجتياز الأجواز وتجاوز العقبات.

ميزان العلم:

يمتلك العلم البوصلة الهادية للصواب والميزان الناظم لسائر قيم الحق والباطل، العدل والظلم، الهداية والغواية، الرشد والغيّ.

وبهذا فإن العلم يمنح أهله الحق الذي يمحق الأباطيل، ويثمر الصدق الذي يقتلع الأكاذيب، ويعطي الصواب الذي يزهق الأغاليط، ويوضح الحقيقة التي تفضح الأساطير.

وإذا تَعرّف المرء على خصائص الحق عرف أهله، وإذا تعرّف على أمارات العدل عرف ذويه، وإذا عرف الحرية ائتلف مع رجالها.

العلم إشرافٌ وإشراق:

العلم يرفع الإنسان إلى مقامات سامقة تشرف على الزمان والمكان، مما يمكنه من رؤية ما لا يراه غيره، سواء كانت حقائق الحاضر، أو قصص الماضي، أو شُرفات المستقبل!

والعلم يشحن الإنسان بالأنوار، حتى يصير عقله وقلبه شُعلتين يستضيء بهما في دروب الأرض ويستنير بهما في مجاهل الحياة.

وبذلك فإن العلم يعصم الإنسان من الانحراف أو السقوط، مانعاً إياه من أن يَضلّ أو يَزلّ.

صناعة السُّموق:

يتعملق الإنسان بقدر تضاؤله أمام نفسه، لأن هذا الشعور يدفعه للبحث عن كل خُلُق وعمل يرفع قدره عند الله.

ويلعب العلم دوراً حاسماً في الوصول إلى هذه النتيجة، إذ أن أولى ثماره تعريف الإنسان بجهله، ودفعه للتسامي فوق سفاسف التراب ومساوئه، وإلى اكتشاف نقاط قوته التي يصقلها بإمكانته، وترتقي بها الخبرة نحو معالي الأمور وسوامق الرفعة بشقيها المعاشي والمعادي.

جسور المعرفة:

من المعلوم أن مصطلح الآيات في القرآن ينصرف إلى ثلاثة حقول: القرآن، الإنسان، الكون.

وتشكل هذه الثلاثية عند تفاعلها معادلات النهوض الحضاري في الرؤية الإسلامية.

ولا يمكن العبور إلى هذه الثلاثية بدون جسور الفكر، إذ لا يُفقه القرآن إلا بالتدبر، ولا يُفهم الإنسان بدون التبصُّر، ولا يمكن اكتشاف الكون إلا بالتفكر، وتحتاج ثلاثية العقل: التدبر والتبصر والتفكر إلى زاد ووقود، وهو ليس سوى المعرفة بدائرتها العريضة.

وصفةُ الإبداع:

إن اجتماع العلم النافع والتربية الأصيلة مع المواهب المميزة والملكات الفريدة في شخص واحد، يثمر مكارم الأخلاق وفوارع الخلال، ويُنتج جلائل الأعمال ومآثر الصنائع.

تفاحة:

لا يصل إلى (شواهق القمم) إلا من امتلكوا (شوامخ الهمم)، ولا يعتلي (هامات المعالي) إلا من امتلكوا (قامات الرجال)!

عنقاد:

من (تفرّغ) للعلم (ملأه) بالعرفان، ومن تأدّب في طلب المعرفة منحته قلادة الخشية من الله.

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٢

ترويضُ النفوس

العدوّ المعشوق:

إنّ أقوى النبهاء من انتبه لقلبه، وأشدّ الحذرين من حَذِر نفسه، فهي العدو المعشوق، إذ لا تزال تأمر صاحبها بالسوء وتُحبّبه إليه، وهو يتلذّذ بالاستجابة لأوامرها والسّير في ركاب مطالبها!

وما أجمل في هذا السياق قول العباس بن الأحنف:

قلبي إلى ما أضَرّني داعي
يُكثر أحزاني وأوجاعي
كيف احتراسي من عدوي إذا
كان عدوي بين أضلاعي؟

الزاهد:

ليس الزاهد الذي لا يطلب الدنيا، بل من إذا أقبلت إليه أعراضُها وزينتها لم يفرح، وإذا أدبرت عنه لم يَتْرَح!

وبهذا المفهوم الإسلامي الوضيئ، فإن الزهد لا يُخلّ بالأسباب ولا ينتقص من راحة المؤمن، بل يزيده راحةً وطمأنينة، لأنه يعمل ما فرض الله عليه من الأسباب ويرضى بما قسم الله له من النتائج!

طريقان:

في طريق الجنة تَكثُر المكاره التي تقتحم حياة المؤمن، وتُثقل كاهله، وتجعل خطْوَهُ نحو الجنة وئيداً شاقاً.

وفي طريق النار يركب الإنسان مراكب الشهوات، فتُسرع به في منعرجات الغواية وتتزلق به في مداحض الرغائب حتى تُسقطه في جهنم!

مصيران:

يَفرّ الناس من طريق الجنة، خوفاً من المكاره التي ستركبهم، ويذهبون إلى طريق النار رغبةً بالشهوات التي سيركبونها.

وشتان بين مركوب وراكب، لكن البون شاسع بين مصير الراكب والمركوب!

نسبيةُ الذنوب:

يا لسعادةَ من يَجمعون في إيمانهم بالله بين الخوف والرجاء، فإنهم في مقام الخوف يقيسون ذنوبهم مهما صغرت بنعم الله ويتذكرون وعيده وجبروته فتكبُر، وفي مقام الرجاء يقيسون ذنوبهم مهما كبرت بعفو الله العظيم فتصغُر! وبهذا فإن رجاءهم لا يصطدم بجدار الأمن من مكر الله، وإن خوفهم لا يَسقط في حفرة اليأس من رحمة الله.

وَرَعُ المنام:

كان صلحاء السلف شديدي الصرامة في التعامل مع مطالب نفوسهم، وفي ترويضها على الوقوف عند الحلال وعدم تجاوزه إلى الحرام ولو قيد أنملة.

وللمداومة على الرقابة الصارمة فقد ظهر رجال مثل محمد بن سيرين الذي قال: ما غشيتُ امرأةً قط في نوم ولا يقظة، إلا امرأتي أم عبدالله، فإني أرى المرأة في النوم فأعلم أنها لا تحل لي فأصرف بصري عنها!

تَضخُّم الطمع:

إذا انْبَتَّ الإنسان عن الإيمان فإن طمعه يكبر معه، وكلما اقتربت منه المنايا ازدادت في قلبه الأماني، وكلما عجز بدنه عن إنجاز الأعمال قويت في نفسه الآمال!

عنقاد:

من امتلأت أياديهم بالدنيا خَدَمَتْهم، ومن احتلّت قلوبَهم استَخْدَمْتهم!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٣

زرائب الانحطاط

كلاب الراعي:

في الأنظمة الاستبدادية التي يدير دفّتها شخصٌ واحد بدون مشاورة، ويتدثر فيها بشعارات خدمة المواطنين وحراسة مصالحهم، فإنه يتعامل مع رعيته كأغنام، ويتعامل مع جيشه ورجال أمنه ككلاب حراسة، وقد يُجوِّع كلابه أو يُطْلقها على غنمه!

ولقد كانت كثير من الدول القديمة على هذا النم البغيض، بما فيها دول انتسبت إلى الإسلام، ولهذا انتقد العلماء الأحرار إقطاع الجيش أراضي ومناطق، ومن هؤلاء الفيلسوف ابن رشد الذي عدّ هذا الإقطاع (آفة الدول)، وتساءل باستنكار شديد: "وما يحدث لو أكلت كلابُ الراعي غنمَه؟"!

الحيوان الناطق:

بدون إعمال العقل وأَخْذ القيم الرفيعة بقوة، فإن الآدمي يتردَّى من ذُرى الإنسانية الرفيعة إلى هُوَّات البشرية الوضيعة ويصبح مجرد حيوان ناطق، لكنه شديد الإضرار والضراوة!

سلاحف التقدم:

لا تتحرك السلحفاة إلا إذا أخرجت رأسها من صدفتها، ولأنها خائفة فلا تخرج رأسها إلا قليلاً.

ويبدو أن العرب لا يتقدمون كثيراً؛ لأن رؤوسهم دائماً مخفية، ويخافون عليها من مخاطر التفكير ومغامرات التجديد، وتظل مُختبئةً بين أسرار التقليد ومُحتمية بأصداف المُحاكاة والاجترار !

العقل والقلب:

كل دواب الأرض تمتلك أربعة أرجل باستثناء الطيور التي منحها الله جناحين بجانب الرِّجْلين، والإنسان الذي منحه الله بجانب الرِّجْلين العقل والقلب لكي يستخدمهما في سيره على الأرض، ولكي يطير بهما في سماء الإنسانية الكريمة، الإنسانية المتأهلة لارتياد دار الكرامة الإلهية في جنان الفردوس السماوي.

قرشية الأفعال:

القرشية أفعال وليست عرقاً، وآل البيت صفات وليسوا سلالة، هذا ما تعارف عليه سلف الأمة الأخيار في كل القرون.

عن محمد بن حزم ان أبا عمرو البيَّاني أنشده:

إذا القرشي لم يُشْبه قريشاً

بفعلهم الذي بذَّ الفعالا

فتَيْسٌ من تُيوس بني تميمٍ

بذي القبلات أحسن منه حالا

ليمونة:

إن فقدان الآدمي لإنسانيته يُعيده إلى أصله البشري الترابي، وقد يخرج عن السيطرة ويتردى في هاوية الحيوانية!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٤

آفات احتكار الحقائق

احتكار الحقيقة:

انقسمت الأمة في موضوعات العقيدة إلى فِرَق، وفي الشريعة إلى مذاهب، وفي الروح إلى طُرُق، وفي الدعوة إلى جماعات، وفي السياسة إلى أحزاب، وفي الفكر إلى تيارات.

والانقسام ليس مشكلة إذا كان الجميع يؤمنون بشمولية الاسلام وبتخصص كل فريق في العمل على شاكلته، إنما المشكلة في أن أكثر هؤلاء يعتقدون أنهم يمتلكون الحقيقة المطلقة، ومن ثم يُسفِّهون غيرهم، ويظهر ذلك حتى في التسميات والعناوين.

ويُفترض أن السالكين في الجانب الروحي هم الأكثر نُكراناً لحظوظ النفس والأبعد عن الشخصانية وهم المتصوفة، لكنهم يُقسِّمون المسلمين إلى (أهل

شريعة) و(أهل حقيقة)، ويجعلون أنفسهم أهل حقيقة دون غيرهم من الفرق الكلامية والمذاهب الفقهية والتيارات الفكرية والمدارس الحديثية، ويرون أن أهل الطريقة هم أصحاب الحقيقة اسماً ومسمىً!

وبدورهم انقسم المتصوفة إلى طرائق تتنازع احتكار الحقيقة، ووصل التعصب ببعضهم إلى حدّ اعتبار طريقته هي الصراط المستقيم، وأن من عداهم إنما هم من السُّبُل التي تبعد الناس عن صراط الله المستقيم!!

تقديس الذات:

من يدّعون امتلاك الحقيقة، إنما يُنزهون أنفسهم إلى حدّ التقديس ويتهمون غيرهم إلى حدّ التدنيس.

حيث يُجيدون التنابز بالأقوال ويُتقنون التنابذ في المواقف!

ملوك الحقيقة:

إن ألْسِنةَ حال مُلاّك الحقيقة تقول إنهم ملائكة معصومون، لا تخطئ نظراتُهم ولا تزيغ أبصارهم، لا تخونهم كلماتهم ولا تعْوَجّ ألسنتهم، لا تكلّ أيمانُهم ولا تتعثّر أقدامُهم!

حجُّ المتطرفين:

وصل جمود بعض المُحدِّثين والفقهاء إلى حدّ (الطواف) حول كعبة المذهب، و(السعي) بين أئمة التيار، و(الارتشاف) من زمزم الفِرقة، و(المَبيت) في منى الأقوال المأثورة عن علماء الطائفة، و(الوقوف) على معروفات ومألوفات المذهب بدون أي مناقشة أو إضافة رغم تغير الزمان والمكان!

ووصل تَميُّع بعض الصوفية والفلاسفة إلى حد اعتبار كل فرقةٍ (كعبةً) ينبغي الطواف حولها، ويجوز السعي بين (صفاها ومَرْواها)، واحتساء (زمزمها) الثقافي، والوقوف عند (عتباتها المقدسة) والمبيت في (عرصات) فكرها مهما كان!

تطرُّف الزواج:

ما زال غلاة المُحدِّثين والفقهاء يبالغون في ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة حتى انغلقوا على مذاهبهم كأنها أديان، لدرجة أن بعضهم لم يُجزْ زواج الحنبلي من حنفية أو الشافعي من مالكية، والغريب أن بعضهم أجازوها قياساً بالكتابية!

وما انْفكّ غلاة الصوفية والفلاسفة يسارعون في إزالة معالم هُويتنا المميزة، تحت دعاوى الانفتاح على الحضارات والثقافات الأخرى، ووصل الأمر ببعضهم إلى إجازة زواج المسلمة من غير المسلم!

الرُّؤى العوراء:

المصيبة أن كلا التيارين ينظران بعين واحدة، فالمتطرف ينظر بالعين الباحثة عن الاختلاف مع الآخر، مما أوصله إلى اعتقاد أن مذهبه هو الفرقة الناجية والطائفة القائمة على الحق وأن ما دونها ضلال مبين!

أما المُتفلِّت فينظر بعين الاختلاف، فتتضخم المشتركات مع الأديان الأخرى حتى تحجب المختلفات، مما يقوده إلى هدم أسوار الولاء والبراء، وتمييع هُويّة الأمة!

ليمونة:

مهما اختلف المتطرفون فإنهم يتفقون على عقر ناقة (وحدة الأمة!(

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٥

مطارقُ الحكمة

مطارقُ الحياة:

الحياة هي التي تقوم بالتأثير على (الأحجار الغشيمة) التي تسكن عقول كثير من الناس، بحيث تصبح منحوتة بطريقة منتظمة تصلح للبناء الاجتماعي المتين!

تحجُّر الحضارة الغربية:

لقد تفوَّقت الحضارة الغربية في تشكيل حجارة الانسان الغشيمة، محيلةً إياها إلى أحجار مقصوصة بصورة جميلة، وساعدت على رصّها في البناء الاجتماعي بصورة أخّاذة تجمع بين جمال المبنى وبين قوته.

غير أن الخلل يكمن في أنها اختزلت الإنسان في الصلصال وتعاملت معه كحَجَر بناء، ولم تنفخ فيه الروح إلا بقدر ضئيل لم ينجح في حَمْل أغلبية الغربيين نحْو ذُرى الإنسانية.

مطرقة الحوادث:

إن حوادث الحياة هي المطرقة التي تُكسِّر أحجار الجهل، مُتيحةً لمن تفاعلوا معها بصورة إيجابية أن يروا الحقائق كما هي بدون لَبْس أو لِباس.

ويستحيل تراب الأحجار المنكسرة ورماد الحرائق المندلعة إلى إسْمنت يملأ ثقوب الشخصية بالخبرة، ويُزوِّدها بالمتانة، ويمنحها قوة ناعمة لا تُقَّدر بثمن!

الإبصار بأعيُن الآخرين:

إن المعترف بقصوره وتقصيره يستطيع أن يرى عيوبه التي لا تراها عيناه، وذلك عبْر أعيُن غيره!

ولقد ظل هذا الأمر ديدن الباحثين عن الكمال والمرتادين لمجَرّات العظَمة، حتى اعترف الاسكندر المقدوني بأنه تعلَّم من أعدائه أكثر مما تعلّم من أصدقائه، وعيَّن عمر ابن عبد العزيز عالماً قوي الشخصية يرافقة بشكل دائم، بحيث يُمسك بتلابيبه عندما يراه يخطئ وينهره قائلاً له: "اتقّ الله يا عمر فإنك ميّت! "

حكمة الخبير:

في بعض الأحيان تكون الخبرة في مجال ما طريقاً مهماً للوصول إلى كُنْه ذاك الشيء، وللمجيئ بالخبر اليقين عنه وذلك على شكل حكمة، كما قال أبو نواس:

إذا امتحن الدنيا لبيبٌ تكشّفتْ

له عن عدو في ثيابِ صديق

وقد تكشّفت له الدنيا بهذه الصورة الفاضحة بعد أن عاش معها على سرير واحد ردحاً من الزمن، وصار خبيراً بطباعها، حتى أن بعض أبياته الزُّهدية فاقت في جودتها قصائد أبي العتاهية أشهر شعراء الزهد في التاريخ الاسلامي.

ليمونة:

لا يكتشف كثير من الناس حلاوة الأيام التي قضوها في مراتع الطيبات ومباهج الحياة، إلا إذا داهمتهم الليالي السود وأذاقتهم مراراتها، وسقَتْهم من كؤوس الحنظل!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٦

خوافي العبودية

سجون النِّعم:

إن أصحاب الهِمم الهامدة والعزائم الفاترة لا يأتي منهم شيء، فحتى لو أعطاهم الله النعم الكثيرة والأموال الوفيرة، فإنهم يصنعون منها سجوناً ينحبسون فيها، حيث يسمحون لها بالتحوّل إلى أكنان حديديةٍ تمنع أزاهير مواهبهم من التفتّق والتفتّح، وإلى أغلال تُقيّد قدراتهم عن الحركة والانطلاق!

القُضبان الذهبية:

نجح كثير من الطغاة في سجن كثير من معارضيهم بطريقة تقضي عليهم قضاء مبرماً، دون أن تدفع أحداً للتعاطف معهم، ولا تسمح لهم بالعودة إلى مجاهدة الطغيان ومجالدة الباطل!

إنه سجن الآلاء التي تُعمي أعينهم عن ملاحظة الأرزاء التي تحلّ بالناس، وسجْن النِّعَم التي تذهل أصحابها عن رؤية النِّقم التي تطرق رؤوس المحرومين والمظلومين!

وللأسف فقد ظهرت فكرة السجن الذهبي في العصر الذهبي على يد الخليفة العباسي المأمون الذي قال: "بلَوْتُ رعيّتي بالسيف والكرم فكان الكرم أنْجعَ فيها" !

 أغلال حريرية:

هناك من الدهاة من يشترون الكرام بإحسانهم، فيربطون على أعينهم بقِطَع الهدايا الثمينة، ويعقدون ألْسنتهم عن قول الحقيقة بالأموال.

وبالجملة فإنهم يسجنونهم ويربطون أيديهم بأغلال حريرية لا حديدية مما يجعل الضحايا سعداء بهذه الاغلال!

 استرقاق المواطنين:

لو كان الزعماء يعتقدون أن مواطنيهم أحرار لاشتروهم بالمعروف، وأكبر معروف هو أن يطبقوا فيهم الدساتير والقوانين التي تحافظ على حرياتهم وتحفظ لهم كرامتهم!

لكنهم يتركون ذلك ويُسخِّرون جزءً من ميزانيات بلدانهم لشراء الكبراء الذين يَجرّون خلفهم قبائلهم أو أحزابهم، ولا ثمن للعبيد إلا المال!!

 تبعية وتتبيع:

إن تبعية أكثر كبراء المسلمين للغرب هي قناعة أكثر من كونها اضطراراً، وهي هزيمة نفسية أكثر من كونها هزيمة حسية، ولذلك تجدهم يتقيّدون بالشَّعْر ويتعثّرون بالبَعْر!

إن الغرب ليس إلهاً خارقاً ولا كائناً اسطورياً، لكن الهزيمة النفسية هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن هذه التبعية المقيتة.

 غواية التدين:

ورد في مثل عربي بأن "الشقيّ بكل حَبْل يَخْتنق"، والشقي هو من يجمع بين عتَهِ العقل واعتلال القلب، ولهذا تنقلب النعم في يديه إلى نقم.

ولا شك أن للحبال فوائد عديدة، لكن الشقي يختنق بسائر الحبال، بما فيها حبل التدين، حيث ينقلب تديّنه من هداية إلى غواية، قائداً إياه إلى الكَبَوات والنّكبات مع ظنه بأنه يُحْسن صُنعاً !

 ليمونة:

من تربّى منذ صغره على الالتزام الحرْفي بالأوامر والزواجر كأنه آلة، أنى له أن يكون حُراً؟

ومن لم يكن حرا فلن يصل إلى اعلى درجات الحساسية والشفافية، مهما كان تدينه!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٧

فرسانُ الإعذار

التركيز على الثمرة:

من تمام الموضوعية وكمال الاستفادة من الآخرين، النظر إلى ما قالوا لا إلى من قالوا.

وعندها ستنضبط العواطف وتتعقل الانفعالات، وستكون الفائدة حاضرة بقوة؛ إذ أن المرء حينئذٍ سيأخذ الثمرة الطيبة مهما كانت صورة الشجرة.

قال الشاعر:

اعمل بقولي وإن قصّرتُ في عملي ينفعك قولي ولا يضرّك تقصيري

كمالٌ غير معصوم:

مهما كان المرء موهوباً وماهراً في ملكة ما، فلابد أن يدركه الضعف ويعتوره القصور، ولابد أن يدركه الخطأ ويصيبه التعثُّر، بمعنى أن الكمال البشري لا يعني العصمة.

ومن المعلوم أن العرب هم أفصح الناس، وأن أبلغ العرب هم الشعراء، وأبلغ الشعراء هم أصحاب المعلقات العشر.

وصاحب المُعلَّقة العاشرة هو عبيد بن الأبرص الذي اشتهرت بائيته باختلالها، وقد أشار أبو العلاء المعرّي إلى ذلك بقوله:

وقد يخطئ الرأيَ امرؤٌ وهو حازمٌ

كما اختل في وزن القريض عُبيدُ

فإذا كان الخطأ وارداً في مجال تَفوُّق المرء، فكيف بغيره؟ ولماذا يفترض الناس في بعضهم الكمال؟ ولماذا يطالبون غيرهم بما لا يستطيعون تحقيقه من مثالية؟؟!

تغافُل الكبار:

من صُوَر الإعذار في التعامل مع الخَلْق الميل إلى التغافل والتغابي، وحمل الأشياء على أحسن محامل الظن، والتخفيف من صرامة المعايير في هذه الحالة.

ومع أن التجاهل منقصة، لكنه يصير في مثل هذا المقام علامة كمال لا يمتلكها إلا الكبار الذين يَغضّون جفونهم عن مساوئ الآخرين، كما قال أحد العرب:

ولكني أغضي الجفون على القذى
وأصفح عما رابني وأجاملُ

مرآة الناس:

الإنسان هو المرآة التي ينظر من خلالها إلى الناس، وكلما زاد منسوب الخير في ذاته اتسعت دائرة الخير التي يراها وسط الناس، وإذا اختفى وازع الخير في نفسه رأى دائرة الشر تستوعب سائر الناس، حتى أن لسان حاله ليردد مع الشاعر الذي قال:

قد بلوتُ الناس طُرّاً
لم أجد في الناس حرّاً
صار أحلى الناس في الع

ين إذا ما ذيق مُرّاً

عدلُ الإعذار:

عندما يخطئ من عرفتَ صلاحه فلا تسارع إلى عذْله بل إلى عذره، فإنما هو بشر يصيب ويخطئ، يقوى ويضعف، وينحدر من الصلصال ويتأثر بالظروف، ولهذا قال المثل العربي: "ليس من العدْل سرعة العذْل!"

عفوُ العافية:

إنَّ عفو المرء عن إساءات الخَلْق، يستنزل عفو الله عن إساءاته، ويستجلب له العافية؛ لأن خلوّ الفؤاد من الأحقاد وسلامة القلب من الضغائن، من أهم أسباب عافية الجسم ومن عوامل راحة البدن.

ليمونة:

عندما تنطلق من محطة (الإعذار)

لمن أخطأ، فإنك ستجد له الكثير من (الأعذار!)

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٨

أمثالُ العُقلاء

صعوبةُ البدء:

في كل عمل أو مشروع جديد تكون البداية صعبة جداً، نتيجة كراهية النفس لمفارقة ما تألَف، ولقلة الخبرة وكثرة الهواجس من الجديد، ولاسيما أن طبيعة الإنسان تجعله "عدوّ ما يجهل!"

ولهذا كان "الشروعُ نصف العمل" كما يقول المثل التركي.

قوة المرأة:

يبدو أن سر قوة المرأة هو غموضها، حيث لا يفهمها الرجل بينما هي تفهمه، ومن ثم فإنها تعرف من أين تأكل كتفَهُ، وتفاجؤه من حيث لا يحتسب!

وكما يقول المثل الياباني فإن "النساء يفهمن الرجال ولكن لا يفهم النساء إلا النساء!"

تعليل الضعف:

وربما كانت كراهية بعض الرجال وهواجس أكثرهم من المرأة تعود إلى غموضها، فإن "الإنسان عدو ما يجهل" كما يقوا المثل العربي!

ولأنه من الصعوبة بمكان التنبؤ بما قد تلجأ إليه المرأة، فإن كثيراً من الرجال يُهزمون في معاركهم مع النساء!

وكحيلة من حيل التوازن النفسي لجأ الرجال إلى تبرير ذلك، وذلك بالحديث الكثيف عن غدر المرأة!!

معرفة الألم:

لقد صار الأوروبيون يعرفون أكثر من العرب ربما لأنهم تألّموا أكثر بكثير منهم، حيث دخلوا في حروب أهلية أهلكت الحرث والنسل، مما أوصلهم إلى القناعة بضرورة التعايش وحلّ عقدة السلطة، وصبّوا تنافسهم في إطار استعمار الأرض وصناعة الحياة.

وكما ينطبق هذا الأمر على الشعوب فإنه ينطبق على الأفراد، حيث يقول المثل اليوناني: "من يتألم أكثر سيعرف أكثر!"

الانخداع بالمظاهر:

إن أصحاب الفطر السوية والمواهب السليقية يستطيعون اكتشاف الجمال ولو كان مطموراً تحت أركمة من القبائح، بينما يتأثر الآخرون بالتيار الجَمْعي والمظاهر الخادعة، وبالإعلام الساحر للأعين والدعاية السارقة للألباب.

ولأن أكثر الناس ينتمون للصِّنف الثاني، فقد وجدنا المثل الألماني يقول: "ليس الجميل غالياً بل الغالي هو الجميل!"

زرقاواتُ اليمامة:

يضرب العرب المثل في قوة البصر بقولهم: "أبْصرُ من زرقاء اليمامة"، وهي امرأة من بني نمير كانت تعيش في اليمامة، وروي أنها كانت تنذر قومها الجيوش إذا غزتهم؛ لأنها ترى الراكب على مسيرة 3أيام!

وعلى افتراض صحة هذه الأحدوثة فإن الشعوب الحية تمتلك اليوم المئات من القادرات على الرؤية البعيدة، والتي قد تمتد رؤيتها إلى سنوات أو عقود، فتستشرف الأخطار وتتنبأ بالنوائب، وهي مراكز الدراسات والأبحاث، وأجهزة الاستخبارات التي تقوم بجمع المعلومات وفحصها والتدقيق فيها، ثم تحليلها وفق طرائق علمية، وصولاً إلى التنبؤ بأحداث قريبة من الواقع، مما يُمكّن صُنّاع القرار من اتخاذ التدابير اللازمة لمواجهة الأخطار واستثمار الأحداث وفق الأهداف المطلوبة والمصالح المقصودة.

ليمونة:

الأمثال الصحيحة أمصال ضد الأخطاء، حيث يستفيد الخلَف من تجارب السّلَف.

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ٩

سُنن السقوط !

الانسحاب من القمم:

انسحبت أمتنا من متن الحضارة إلى الهوامش، نتيجة انسحابها من صناعة الدنيا إلى التغني بالآخرة، وانتقالها من شؤون المعاش إلى شؤون المعاد، ونتيجةً لاشتغالها بالسُّنن الخارقة على حساب السنن الجارية، وانشغالها بعالم ما وراء المادة تاركةً عالم المادة للآخرين، حيث أصبح استعمار الأرض وصناعة الحياة حكراً على أولئك الناس!

تكاملُ الفكر والذكر:

عندما ننظر في أحوال المسلمين بتمعّن نجد أن كثيرين من أصحاب الأذكار (المتصوفة) قليلو تعقّل وقابلون للخرافات، وفي المقابل نجد كثيرين من أهل الأفكار يعانون من الجفاف الروحي وقسوة القلوب، ولهذا لابد من تطعيم الفكر بالذكر، ومن تحْلية الذّكر بالفكر.

التصوّف الروحي:

إننا بحاجة إلى التصوف الروحي الذي يتذوّق العقيدة فيحيلها من كلمات صماء واعتقادات جوفاء عند المتكلمين، إلى إحساس حيٍّ بعظمة الله واستحضارٍ دائم لصفاته الخلاّقة، والذي يستعذب الشعائر مُحيلاً إياها من أفعال جدباء وحركات جامدة عند بعض الفقهاء إلى كائنات حية تنبض

بالجمال، فتمدّ المسلم بالقوة والإرادة، وتهبه الخشية والخبرة، وتمنحه التفوّق والتوفيق، وتجعله من أهل البراعة والضراعة، وتضعه على طريق الكمال والجمال.

الإبداع هنا وهناك:

بين مبدعي الغرب وكثير ممن نسميهم مبدعين في بلداننا، بَونٌ شاسع وفرق كبير.

فالمبدع هناك من اخترع مصنعاً أو آلة تخدم الإنسان، والمبدع هنا من امتلك ريشةً تُمكِّنه من رسم ذلك المنجز في لوحة جميلة.

المبدع هناك من نجح تفكيره في تحويل ما كان خيالاً إلى حقيقة، والمبدع هنا من نجح في تأليف قصة خيالية تؤسس للخرافة، وتدفع القراء أو المشاهدين إلى التمادي في امتهان السُّنن وتجاوز الأسباب، وإلى انتظار (القمقم السحري) أو (خاتم سليمان)!

المبدع هناك من يُسلِّط عقله وبحثه على قراءة آيات الآفاق والأنفس حتى يكتشف ما هو جديد، والمبدع عندنا من يتأمل في تلك المنجزات ويتدبر آيات القرآن الكريم ليقول للغربيين: لقد سبقكم القرآن، وكأن السباق بين القرآن والغرب، وليس بين المسلمين والغربيين!!

بين تثقُّفنا وتثقُّفهم:

إن تثقفنا الخالي من التفكر كالغِمْد الذي يسجن سيفَه داخله، أما الغربيون فإن تثقّفهم مكَّنهم من سلّ سيوف الفكر من غمْد الثقافة، مما جعلهم ينازلون

أعداءهم، ويُمزِّقون أشواك التحديات التي تُعرقل مسيرتهم، بينما ما زال النزاع محتدماً عندنا بين السيف وغمده!

الأسئلة والأجوبة:

تتفاخر النُّخَب الحية باكتشاف المزيد من الأسئلة التي تُحفِّز مَلكات التفكير وتستمطر سحائب الكتابة عند الآخرين، أما النُّخب الميتة فإنها تفتخر بامتلاكها للأجوبة المُسْكتة للمختلفين معها!!

ليمونة:

يصل التعصب إلى منتهاه عندما يمنع أصحابه من التخلّي عن خِلال السوء بحجة أن الأعداء انتقدوها، وحينما يمنعهم من التحلّي بخَلائق الحُسن التي جاءت من الخصوم.

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ١٠

مباهجُ الأموال

سلاح المال:

عاش الإمام سفيان الثوري في القرن الثاني الهجري، وهو من قرون الخيرية الثلاثة التي أثنى عليها محمد صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك فقد روي عنه – أي الثوري – قوله: "المال سلاح المؤمن في هذا الزمان"، وكان من كبار تجّار عصره وهو من أئمة الزهد في ذات الآن.

ولقد عمّق هذه الرؤية فقال: "من كان في يده شيء، فليُصْلحه، فإنه في زمان إن احتاج فيه، كان أول ما يبذله دينه!"

ترى ماذا كان سيقول لو عاش في عصرنا الذي طغت عليه أعاصير المادية، وساد فيه سباق محموم على تحصيل الثروات وعلى الإنفاق الاستهلاكي السفيه؟!

ماذا كان سيقول وهو يرى أعداداً قليلة من كبار الأثرياء يتحكمون بمصائر ملايين من المسلمين نتيجة فقرهم؟!

ألا وإن أخفى أسلحة المال اليوم هو الإعلام، حيث نجح أباطرة المال والإعلام في إسقاط حكومات نظيفة وترسيخ حكومات فاسدة.

إخوان اليد:

الإخوان نعمةٌ جليلة جزيلة، فإن أيديهم تُقوّي اليد وجهودهم تشدّ الأَزْر.

غير أن امتلاء اليد بالمال أهم من هؤلاء، حسب ابن عبد ربه الذي قال في (العقد الفريد):

دعني أصُنْ وجهي عن إذالته

وإنْ تغرّبتُ عن أهلي وعن ولدي

قالوا نأيْتَ عن الإخوان قلتُ لهم

مالي أخ غير ماتُطوى عليه يدي!

طبعاً هذا في زمن كانت عُرى الأخوة ما تزال فيها أمشاج قوة، فكيف بزماننا الذي انحلّت فيه أكثر العُرى، وذابت في عتباته الكثير من القيم وخان في أكنافه أغلب الإخوان ؟!

أوطان الغنى:

يروى عن أرسطو طاليس قوله: "الغنى في الغربة وطن، والمُقلّ في أهله غريب!"

وفي عصرنا هذا تجسيد كامل لهذه المقولة على كافة المستويات العامة والخاصة.

لقد جعل سوء التدبير كثيراً من المسلمين فقراء، ومن ثم صاروا غرباء في أوطانهم!

بينما أحسنَ اليهود تدبير الأموال رغم تفرقهم في آفاق الأرض، ولقد جعل غناهم أقطار الدنيا لهم أوطاناً، بل تفوّقوا في كل بلد على مواطنيه كما هو حالهم في أمريكا وأوروبا وكندا وأستراليا وروسيا!

حقيقة:

من لم يبحث عن رزقه في (أطباق الأرض)؛ عاش أبد الدهر بين (أطمار الفقر!)

دور المال في الجَمال:

يؤثر المال على جمال الإنسان بصورة حسية؛ لأن التغذية الجيدة تؤدي إلى نضارة الجسم، ويؤدي الشعور بالغنى إلى تسيّد قَسمات الرِّضى وبروق أشعة الاغتباط على الوجه، مما يعطيه جمالاً أخّاذاً، هذا بجانب الخُلوّ من العلل والأمراض، والظهور بحُلل من الثياب الجميلة والمظهر الفاتن، والتعطر بالروائح الزكية التي تمنح المرء جمالاً فوق جماله.

وهذا التأثير طبيعي، لكن التأثير الغريب هو التأثير النفسي الذي يسحر أعين المشاهدين الذين يَرْنون بأبصارهم إلى وجوه الأغنياء، فيَرَوْن تقاسيم الجمال في كل شيء، حتى لو كان الأنْفُ أفطساً والعينين ضيقتين، ولو كانت البشرة داكنة والجسم غير متناسق!

وقد قال الشعراء والأدباء الكثير في إبراز هذا المعنى، ونكتفي هنا بهذيين البيتين:

أجلَّكَ قومٌ حين صرتَ إلى الغنى

وكل غنيّ في العيون جليلُ

ولو كنتَ ذا عقل ولم تؤتَ ثروةً

ذلَلْتَ لديهم والفقيرُ ذليلُ

مال العاقل:

إذا اجتمع للمرءِ العقل والمال فقد حاز الخير كله، فإن العاقل يُسخّر المال لكسب حسن المآل، حيث يُمكِّنه من التمتع بالطيبات واجتراح الصالحات، ويساعده على عمران الأرض وفق المنهج الأمثل، مما يجلب له سعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

أما إذا حاز المال بدون عقل، فسيرتكب حماقات كبرى، وربما سلّطه على هلَكته!

ليمونة:

يكون الغنيّ سعيداً بقدر تسيُّده على ماله !

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ١١

مضاميرُ المال

سباق:

إن لم تُوظِّف المال في طرق (الحلال) وظّفكَ في طرائق (الحرام)،
وإن لم تستثمرهُ في (التعمير) استثمركَ في (التدمير)،
وإن لم تصعد به نحوِ (تلال الحق) هوَى بكَ في (وديان الباطل)
وإن لم تصرفهُ في تحقيق (النّفع) صرفكَ في إيقاع (الضّرَر) بالآخرين!

سيفُ المال:

المال سيفُ المؤمن، يُنازل به كبارِ النوائب، ويُدافع بهِ كتائب الأعداء، ويُقاتل بهِ قُطّاع الطرُق، ولا يزال مُحتاجاً إليهِ ما دامَ في حلبة الحياة!

علامات الأسخياء:

من علامات الأسخياء الكرام أنهم يستمتعون بالإنفاق، ويتلذّذون بالبذل، وتُشرقُ وجُوهُهم عند العطاء، ولا تزال قلوبُهم تفرح بما قدمت أيديهم، وتستريحُ ضمائرُهم لما يَخرُجُ من جُيوبهم.

إن الأسخياء يبذلون المِنَن من دون مَنّ، بل ويشكرون الذين يأخذون ما في أيديهم كأنهم أخذوا بأيديهم إلى فَرَادِيس النعيم!

الجوادُ الحكيم:

عندما يجتمع للكريم مالٌ وافر وعقلٌ زاخر فإنهُ يُصبح جواداً حكيماً، يعرفُ كيف يُعَمِّرُ الحياة وكيف يمتَلِك القُلوب، ويضع الرِّفْد المناسب في المكان المناسب، كما مدح أعرابيٌ أحد الكِرام بقولهِ:

إذا دخلَ الشِتاءُ فأنتَ شمسٌ

وإن دخلَ المصيَفُ فأنتَ ظلٌ

سعادة الإسعاد:

هُناك أُناسٌ صاغهم الله من طينة الخير، حيث يَغزُرُ عطاؤهُم، ويستمرُ نفعُهم بالهطول في كل المواسم وشتى الظروف، ويُؤْثِرون غيرهم ولو كان بهم خصاصة.

إنهم يسْتمتعون بالعطاء ويبْتهجون بالإنفاق، وإنهم يرتاحون بالخدمة ويَسْعدون بإسعاد الآخرين.

إنفاق الأحرار:

من أهم علامات سيادة المرء أو عبوديتهِ، طريقة تعامله مع المال، فكُلما أمْسكَ بالمال زادت عبوديته، وكُلما أنفقهُ على الخلْق وصرفهُ في الحق زادت حريته.

ويُشبهُ هذا قول الشاعر:

أنتَ للمالِ إذا أمسَكْتهُ

فإذا أنفقتَهُ فالمالُ لكَ!

سيادة المال:

ليس في وسع المال إلا أن يكون سيداً مُكتمل السيادة أو عبداً خالص العبودية، ولا شكّ أن سيادةَ المال عبوديةٌ للإنسان، أما عندما يصير المرء سيداً فلن يكون المال إلا عبداً في خدمة سيّده!

رِفْدُ الرّفق:

من أفضل أنواع (الرِّفْد) الذي يدعمُ بهِ المرءُ أخاه، (الرِّفْق) بهِ والحرصَ على مشاعره.

ليمونة:

ما دام المال سيفك فينبغي أن يبقى في يدك، واحذرْ أن تُغْمده في قلبك!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ١٢

جوائحُ الاقتصاد

جريمة التبطُّل:

ليس التبطّل في الأعمال من جنس التوكّل في الاعتقادات أوالتبتّل في العبادات، بل هو من ثمار سَفَه العقل وسوء فهم الدين، ولذلك أزْرى الإسلام بالبطالة وحرّم العطالة، ودعا إلى الدأب والنَّصَب، حتى قال تعالى: "فإذا فرغْتَ فانْصَبْ."

عاهَةُ التبطُّل:

إن التبطّل عاهةٌ في جسد التديُّن الإسلامي، نشأت في عصور الفقر الثقافي وقرون الفاقة الفكرية، رغم الترف المادي الكبير، والغرق في أوحال المادة عند قطاعات عريضة من المجتمعات الإسلامية.

وساهمت عاهةُ التبطّل في ترهّل جسم الأمة، وتدحرجه في دركات الضعف والوهن، وصولاً إلى قعر الغثائية الذي أظهر الأمة كعصف مأكول!

🍅الزهد في ابتغاء فضل الله:

إن ترك الرزق الحلال بحجة الزهد، إنما هو زهدٌ في ابتغاء فضل الله، وقصورٌ في فهم منهج الله، فقد سمّى القرآن السعي لطلب الرزق ابتغاءً لفضل الله، وقرَنَه بالصلاة بل بصلاة الجمعة، حيث قال: "فإذا قُضِيتْ الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله."

🍊عطاءُ السؤال:

يحب الإسلام لأبنائه أن يكونوا كرماء أعزاء، ويحثّهم على أن يكونوا دائبين في العمل، جالبين للرزق، عطّائين للمال، أصحاب أيدٍ فوقية تعطي ولا تأخذ.

وأزرى بالبطّالين وهاجم المتعطلين، وشنّ الغارة على المتسوّلين حتى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا يزال الرّجُل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مُزْعة لحم."

كأن المُتسوِّل قد أعطى لحم وجهه للأغنياء، بعد أن أراق ماء وجهه وأهدر كرامته التي تتجسد يوم القيامة بصورة مادية مُزْرية!

🍊صناعةُ البهجة:

تنتصب عملية عمارة الأرض وتنمية الحياة في المفهوم الإسلامي على أساس أن الله أنشأ الآدميين من الأرض واستعمرهم فيها، وهيّأ لهم كل أسباب العمارة، من خلال تسخير كل ما في السماوات والأرض من آلاء ونعم ظاهرةً وباطنةً لصالحهم، ووضّح لهم القيم العامة اللازمة لتحقيق ذلك.

ويستدعي مفهوم التسخير، أن يقوم الإنسان بالسعي في الأرض لاكتشاف الطاقات الخامدة واستخراج الإمكانات الباطنة، وبالعمل الجاد لاستثمار الموارد وتنميتها، واتباع الأسباب اللازمة لتحويلها إلى عمارة وخدمات، من خلال توفير الرفاهية والبهجة للإنسان.

الاصطلاء بنيران التخلف:

عندما ينحرف المسلمون عن منهج الإسلام في تنمية الاقتصاد وتنظيم حياة المجتمع، فان كياناتهم تصطدم بجدران الخيبة وصخرات الفشل، ويتطاير شرر الاصطدام ليشعل نيراناً سرعان ما يصطلي المسلمون بها، كنيران الفقر والغلاء والركود والبطالة والتضخم.

وبالجملة فإن الفوارق تُمزِّق المجتمع، والجوائح تصيب المال، والكوارث تنزل بالأمة، حتى يتزلزل كيانها.

جائحة الفاقة:

قد تُكوِّن الفاقة المادية فقراً فكرياً، وقد تتسبب الحوائج غير المَقْضية في تكوُّن الجوائح التي تجتاح الأفكار السليمة جاعلةً منها أفكاراً سقيمة!

ويروى في هذا السياق أن جارية دخلت على محمد بن الحسن الشيباني فقالت: يا سيدي فَنيَ الدقيق، فقال: قاتلك الله، أذهبتِ من رأسي أربعين مسألة!

تفّاحة:

إن جنوح المسلمين عن منهجهم الاقتصادي لم يُنتج سوى الجوائح التي سمّمتْ عقولهم وأفسدت قلوبهم، والتي زرعت العقبات في طريق مسيرتهم وملأت حياتهم بالمُعضلات!

ليمونة:

عندما تَحلّل المسلمون من تعاليم دينهم؛ غزَتْهم الضوائق آخذةً إياهم بالمخانق!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ١٣

أفنانُ الحياة

استدامةُ النعم:

إن اسْتدامة النِّعَم واستدْفاع النِّقَم لا يكونان إلا وفق المنظومة السببية والخارطة السننية التي أودعها الله في هذا الكون، إذ لا يمكن لمن يسير في دروب النقم أن يصل إلى النعم، ولا يمكن لمن يقارف خطيئة كُفران النعمة أن يصل إلى النعم، ولا يمكن لمن يقارف خطيئة كفران النعمة أن يستدعيها.

ومن شُكران النعمة أن تمد ظلالها إلى الخَلْق حتى يستظلوا بظلها الوارف وينعموا بفيئها المُريح، لأنها أمانة الله عندك ليمتحنك ويرى هل ستحتكرها وحدك؟ أم ستتمح رفدها لعبيدِ من أعطاك إياها؟

شمسُ القدر:

الإيمان بالقدر شمسٌ إذا أشرقت على النفوس بدّدتْ غيومَ أكدارها وسحائبَ أحزانها، تاركةً إياها صافية نقية، راضية مرضية.

كأس الرِّضَى:

يَفرّ الفاسقون من رمضاء الحياة إلى برْدها عبر مُعاقرة الخمرة ومُنادمة السّكارَى، حيث يعيشون في جو من الخيال الجميل والأوهام اللذيذة بعيداً عن الحقائق المُرّة!

لكن المؤمن لا يحتاج إلى تغييب عقله والتوهان في عوالم من الخيالات الكاذبة والأوهام الخادعة، بل يكتفي بشرب كأس الرضى، وعلى الفور ينقلب حَرّه إلى برْد، وغيظه إلى سلام، وقلقه إلى طمأنينة، وتَكدّره إلى صفْو، وتُغادره أشعّة الشقاء اللاسعة لتظلّله مشاعر السعادة والهناء.

الرزق الخفي:

يحصل المرء على الرزق الخفي إذا كان صاحب روح عذبة وصدر منشرح، وذا وجه بشوش وثغر باسم، وإذا امتلك لساناً عذبة ونكتة سائغة، وامتلك الطُّرَف الراقية والضحك المعتدل.

ملح الحياة:

الطرائف والنُّكت هي مِلْح الحياة التي لابد منها بالقدر المناسب، فإن نقصانها يُعكِّر المزاج ويؤدي إلى هبوط الضغط، أما ارتفاعها فيؤدي إلى تعكّر المزاج وارتفاع الضغط، بماله من تداعيات سيئة عديدة على القلب خصوصاً!

ولأنها بمقام (المِلْح) للحياة فإنها تسمى ب(المُلَح!)

رضى صاحب الرسالة:

إن تحقيق الرضى عن الذات له أسباب عديدة، من أهمها القيام برسالة محددة في هذه الحياة، تحقق الذات وتستجلب السعادة لها، بقدر ما يجلب عملها السعادة للآخرين.

وكما يقول الأديب الهندي طاغور فإن: "الغِمْد راضٍ بلونه الأغبر ما دام يصون حدّ السيف."

أسعدُ الناس:

الراضي بأقدار الله هو من تستوي في حسّه النوائب والنوائل وتتحد عنده الشدائد والمدائد.

وعندما يصل إلى هذه الدرجة لا يؤثر على مزاجه الرائق شيء ليعيش هانئاً ويصبح أسعد الناس!

ليمونة:

ليست الصعوبة في أن تكون سعيداً، إنما الصعوبة في أن تكون أسعد من غيرك!

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ١٤

عاهاتُ الفكر

العُنوسةُ الفكرية:

العنوسة الفكرية هي بقاء الرُّؤى الفكرية دون مزاوجة بالتطبيق العملي والتنفيذ التقني، ومن ثم لا يخرج من رَحِمها ما ينفع الناس، رغم أنها قد تكون خصبة ولّادة في ذاتها، وتمتلك إمكانات كثيرة يمكنها أن تصنع مكانةً كبيرة لأصحابها.

العُقْمُ الفكري:

عندما تكُفّ رياح الفكر عن الهبوب وتتوقف سحائب الآراء عن التلاقح، فإن العقل يصاب بالعُقم، وتصاب الحياة بالقَحط المشاعري والجدْب السلوكي، وهذا يعني أن تتوقف صناعة الحياة لتزدهر صناعة الموت!

الشذوذُ الفكري:

إن التمرد على الفطرة والانفكاك عن الطبيعة، يجعل الفكر شاذاً، حيث يصادم السُّنَن ويخالف النواميس، ويسير عكس التيار الكوني الهادر، مما يؤدي إلى التكسّر على أحجار الفطرة والانكسار أمام موجات السُّنن، ويؤدي إلى خواء الداخل ويخلق شعوراً عميقاً بالغربة والفراغ، وسرعان ما يتسبب في انبعاث مشاعر اليأس والإحباط، وثوران مشاعر القلق والاضطراب، وعلى المدى البعيد يتسبب في غرق الذات وسط أمواج الأسى والحزن ونتيجة أعاصير الضّنك والشقاء.

التّخشُّبُ الفكري:

يصيب التخشّب الفكري التقليديين الذين يَعضُّون على المتغيرات بالنواجذ كأنها دين، مما يؤدي إلى توقفهم أمام حركة الزمن وإلى تصلّبهم أمام سيل المتغيرات، فيصيرون كالخُشُب المُسنَّدة التي قُطعت من جذورها، فأصبحت بدون خضرة مبهجة ودون ثمرة مشبعة، بل تصير خشبةً في حلْق حركة التغيير الجَمْعي وعقبةً أمام المَرْكب السائر نحو التطور!

الضّمورُ الفكري:

مهما كان العقل شديد الخصوبة والذكاء، ومهما كان الفكر ناصع الحجة قوي الفاعلية، فإنه يمكن أن يصاب بالضمور إن لم يتم سقيه بمياه المُدارسة وريّه بماء القراءة المستديمة، فهي الكفيلة بأن تزرع فيه روح التألّق وتبعث في أرجائه حيوية الازدهار.

العَوَرُ الفكري:

مهما تم تعهّد مسائل الفكر وسقْيُ أشجار العقل، فستظل غير متألّقة أو متأنّقة إذا كانت تُسقى من مشرب واحد.

والأفكار هنا عكس الأشجار، إذ الأشجار تتنوع أحجامها وأشكالها وألوانها وأطعامها وروائحها مع أنها تسقى من ماء واحد، أما الأفكار فلن تثمر ما دام صاحبها مصاباً بالعور الفكري، الذي يجعله يرى بعين واحدة ويستقي من منهل واحد.

إن الأفكار هي عسل المجتمع الذي يُقوّي جهازه المناعي، ولذلك لابد أن يأخذ من كل بستان زهرةً ومن كل حديقة ثمرةً، حتى تزدهي مَلكاته وتزدهر مواهبه.

اليُتْم الفكري:

مهما كانت الأفكار سامقة وباسقة، فلن ينفكّ عنها الشعور باليُتْم والغربة، عندما لا تجد من يحتضنها ويشعرها بدفئ الحب وحفاوة العشق، ويُظلّلها بمشاعر التقدير.

ليمونة:

المفكر هو نَحْلةُ الثقافة حيث يجمع في عقله سائر الأفكار، مخرجاً للناس ما ينفعهم في حياتهم وما يشفيهم من أدوائهم.

بورك المتفكّرون

قُطوفُ الفكر ١٥

سُموقُ النفوس

الصناعة على عين الله:

من امتلك أسرةً صالحة أحسنت تربيته وصياغته، فأكّلَتْه من دوحة العلم النافع، وشرّبَتْه من عصائر العبادة الحقّة لله، فقد صُنِع على عين الله، غير أنه غير معصوم من اللّمَم!

النّفْسُ التّوّاقة:

إن نفس الحُرّ وَلُوعَةٌ بالحق، قنوعة بالرزق، لا تعرف الطمع ولا تقبل الهلع، لكنها لا تتوقف عن الطموح ولا تَكُفّ عن التطلّع، حيث تبحث عن الأفضل وتهفو لمعانقة الأجمل.

وعندما تحتسي أنوار الروح، فإنها تتوثّب نحو المعالي، وتتوق إلى اعتلاء ذروة الشرف واحتلال ناصية المجد.

ابتسامة الحَظّ:

إننا نحب أن يبتسم لنا الناس، لكننا نحب أكثر أن يبتسم لنا الحظ!

وإذا ابتسم الحظ فإن الحياة كلها تبتسم لنا، ومن ثم سيبتسم لنا الناس!

إكْسيرُ الحُبّ:

عندما تمتلئ الأفئدة بإكسير الحُب وتدهقها شلالات الجمال بالإدهاش، فإن الكون كله يستحيل إلى مرآة تعكس الجمال الساكن في الداخل، حتى يتصبّب إلى الخارج وينسكب في الأرجاء.

وتحت مشاعر الحُب الفياض فإن الفيافي والبطاح تستحيل إلى مروج خضراء تزخر بالأزاهير وتتضح بأعباق الأقاحي.

لوازم الوفاق:

من ذاق أطايب العلم وتَمتّع بحلاوة الإخلاص؛ انتظمت فيه أبعاد الشخصية وانسجمت طاقاتها، لتتجه بكل ما فيها من أشواق وأتواق إلى إبراز أواصر التآلف لهذه الأمة والتزام لوازم الوفاق والاتفاق.

جناح السُّموق:

من نجح في ترويض نفسه وتخليتها من شوائب التراب، وتحليتها بأنوار الطاعة؛ صارت جناحاً يعينه على السموق في سماء الفضائل.

ليمونة:

إن النفوس التي تنهل من آيات القرآن؛ تتعلق بنور الرحمن، وتعرج نحو السماء أمَّارةً لصاحبها بالسُّمُوّ.

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ١٦

أفكارٌ عَسَلية!

جامعةُ النّحْل:

دعانا القرآن الكريم في أكثر من ألف آية إلى تفعيل مَلَكاتنا العقلية في آيات الأنفس والآفاق، ومنها آية (النحل) التي هي جامعةٌ لكثير من العِبَر والدروس، ولهذا خصّها بواحدة من السُّوَر الكبيرة، وسمّاها باسمها (النحل)، حيث أودع الله تعالى سرَّه في أضعف خلْقه!

انسجامُ التّنوّع:

للنحل مملكة عجيبة جعلتها مثالًا لانسجام الدّأب ونموذجاً لانسياب الحركة، حيث يحترم جميع الأفرادُ التخصصات بلا تضارب، وينهمك الكل في العمل بلا تناقض.

وبجانب انسجام النحل مع بعضها، صارت أجوافُها مَعامل تمتزج فيها سائر أنواع الرحيق المجلوب من شتى الأزهار ومن كل الثمرات.

وهو درسٌ فكري بليغ للبشر، حتى تنسجم حركتهم كالنحل، وتمتزج أفكارهم كالعسل.

فهل يستفيد المسلمون من انسجام النحل ودروس سورة (النحل)؟ وهل سيكُفّون عن معاقرة (معارك العنكبوت) ويَنْبثّون في (معتركات النحل)؟!

قانونُ التناسب:

في مملكة النحل يصل التناسب إلى سدرة المنتهى، التناسب بين الأسباب والنتائج، بين السعي والحصاد.

فالسعي الحميم لجلب الرحيق هو سعي جماعي، لا يقلل من حركة النحل بل يُذكيها، إذ أن النحلة الواحدة تطير ستين مرة ذهاباً وإياباً .

هذا الجهد الجَمْعي غير العادي أنتج ثمرة غير عادية، هي خلاصة سائر الثمار وهو العسل بخصائصه العجيبة وقدراته السحرية في تقوية جهاز المناعة في جسم الإنسان؛ فمتى سنحقق التناسب بين ما نريده وما نعمله؟!

مَعْملُ الاقتباس:

إن جلْبَ النّحل للرحيق من سائر الأزهار والثمار، هو درس مهم في أهمية الاقتباس، وضرورة الاستفادة من نقاط القوة عند الآخرين.

غير أن الدرس الأهم هو أن النحل صار معملاً لتكييف هذه العناصر بإذن الله، والخروج بمادة جديدة ذات خصائص فريدة، ولا توجد في سائر العناصر الأولية .

ويتم ذلك في جوف النحلة، حيث منحها الله غدداً تقوم بإفراز بعض الإنزيمات في العسل، ويتم مزجه بطريقة دقيقة، فتتكون داخله عشرات العناصر

والفيتامينات البالغة الأهمية في المنظومة المتكاملة لبدن الإنسان: غذاءً، ووقايةً، ودواء!

ترى متى تترجم أمتنا إلهام النحلة، إلى معامل ومراكز أبحاث لقضايا الاقتباس والتأصيل والتكييف؟

التغيير (الاستراتيجي):

من يريد التغيير الشامل ينبغي له أن يركز على وسائل وأساليب التغيير (الاستراتيجي)، كما هو حال العسل الذي يحقن أثره في جهاز المناعة، ومن ثمّ تصل قوته إلى كل خلية في الجسم، حيث يمدها بالتجدد والتألق، ويمنحها القوة التي تحيلها إلى صخرة تتحطم عليها موجات الفيروسات والجراثيم والبكتيريا الضارة .

الإنسانُ العَسَلي:

من المعلوم أن الإنسان كائنٌ اجتماعي، ويمتلك مقدرة على التأثير والتأثر، غير أن الإنسان الأصيل صاحب شخصية قوية يعطي أكثر مما يأخذ، ويؤثِّر أكثر مما يتأثر!

وهو يشبه العسل الذي يُبلسم جراحات الناس ويداوي علَلَهم، فيُحدث آثاراً عظمى على صحة الناس عبر تقوية الجهاز المناعي، غير أنه يستعصي على التغير، لدرجة أن العلماء اندهشوا عندما وجدوا عسلاً في مقابر الفراعنة المصريين لم يصبه بعد آلاف السنين إلا تغيير بسيط في اللون، حيث مال إلى السواد نتيجة طول المدى!

عبرةُ الفاعلية:

النّحلة كائن حَشَري صغير، غير أن وظيفتها سَمَتْ بها، وفاعليتها رفعت من شأنها.

وهكذا هي الكائنات والكيانات كافة، فهناك دول صغيرة الحجم، مساحةً وسكاناً، وقليلة الموارد، غير أن فاعلية إنسانها بوّأتها أعلى المنازل ومنحتها أشرف المقامات.

ولو ضربنا المثل بالكيان اللقيط الذي انغرس في قلب أمتنا، ضمن مساحة صغيرة هي أرض فلسطين التي لا تصل إلى ١٠ % من مساحة مصر مثلاً، وسكانها لا يصلون إلى ١٣% من سكان المحروسة، والإمكانات الطبيعية لأم الدنيا تتجاوز فلسطين بأضعاف مضاعفة.

ومع ذلك فإن الناتج الإجمالي لهذا الكيان الغريب والمحاصر، يتجاوز مصر مرات عديدة، ويقترب متوسط الدخل الفردي لـلإسرائيلي من ٣٠ ضعفا للفرد المصري!!

الوسط العَسَلي:

من المعلوم أن العسل سمٌّ قاتل للبكتيريا، ولهذا فإن بيئة النحل شديدة النظافة، ويعيش العسل فترات طويلة جداً دون الحاجة إلى أي مواد حافظة!

إن مجتمعاتنا أحوج ما تكون للاستفادة من هذا الدرس البليغ، فحتى لا تَفسُد رسالتنا ولا تتشوّه، يجب أن تكون بيئتنا صحية، خالية من بكتيريا الفساد، وقاتلة لديدان المحسوبية وجُعلان العصبيات.

وهنا لابد من تعسيل بيئتنا، عبر أساليب: بثّ النصيحة، إشاعة النقد، صناعة الوعْي الجَمْعي، احترام القانون، تفعيل الثواب والعقاب، تنشيط التعزيز والتعزير.

ليمونة:

تُعلِّمنا (النّحل) أن الكائن الرسالي الفاعل، ليس زاحفاً بل (طائرا)!

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ١٧

أسئلةُ العُروج

كيف تطمع أن يبتسم لك ثغْرُ الحَظّ إذا كان ثغرك غير مبتسم؟!

كيف تريد أن تكون حليماً وأنت بطيئُ الرضى سريعُ الغضب؟!

كيف يمكنك تجنُّبُ المهالك إذا كان لسانُك طويلاً وعقلُك قصيراً ؟!

كيف يمكنك المحافظة على استقامة قوامك وأنت تَنقضُ ظهرَك بالأوزار وتُثقل كاهلَك بالدُّيون غير الضرورية؟!

كيف تطمع في النجاة من لظى جهنم وأنت تسير على جَمْر الخطايا ورَمْضاء الذنوب ؟!

كيف تلتمس الراحة والطمأنينة وأنت تحشر أنفَك في ما لا يَهمّك ولا يعنيك ؟!

كيف تريد أن تصبح ثرياً وأنت تزهد بالكنوز التي تُمثّل مصدر الغنى، وأهمها كنز القناعة ؟!

🍊كيف تطمع بأن تكون سيداً على غيرك وأنت لم تنجح في تَسيّدك على نفسك ؟!

🍅كيف تتوقع أن يثق بك الآخرون وأنت عديم الثقة بنفسك؟!

🥕كيف يمكن أن تصير معتدل الرُّؤى والمواقف، إذا كنت لا تمزج بين برودة العقل وحرارة القلب ؟!

🍒كيف تريد وُلوج باب الفرج وأنت لا تمتلك مفتاح الصبر ؟!

🍅كيف يمكن أن تكون كائناً مُتحضراً دون أن تضيف شيئاً لمنظومة الحضارة الإنسانية الضخمة ؟!

🍅كيف يمكنك أن تَفهم الناس إن لم تَفهم ذاتك وتعرف قدْرَ نفسك ؟!

🍋ليمونة:

كيف يمكنك الانتصار على الأعادي إذا لم تكن لك في مضامير الخيرات أيادي بيضاء ؟!

💠بورك المتفكرون💠

قُطوف الفكر ١٨

▯ مصابيحُ الاستنارة ▯

▯ غوامضُ الحياة:

الحياة مليئةٌ بالظلمات الكثيفة وبالمُدْلَهِمّات الحالكة، وزاخرة بالتعقيدات والمسائل الملتبسة، وتتعدد فيها مفترقات الطرق ومتشابهات الأفكار بل

والأبقار، وتَعجّ بألوان من المَكْر الخاتل والكيد المُعقَّد، وبأصناف من التلبيس الخفي والتزييف المحبوك.

وعليه يحتاج المرء لأنوار كثيفة ومصابيح كثيرة، تُبدِّد هذه الظلمات وتَجْلو تلك الغوامض، تتجاوز الحُجُب وتَعبُر العقبات، حتى تكون رؤاه بينةً ونظراته ثاقبةً، وحتى تصير أحكامه دقيقة وقرارته مُوفّقة.

 البصرُ والبصيرة:

لكي يمتلك المرء النور اللازم للسير في الدروب الحالكة، فإنه بحاجة إلى تفعيل البصر والبصيرة، واستمداد لطاقتهما الضرورية، فالبصر يحتاج إلى زاد العلم، والبصيرة تحتاج إلى زاد الإخلاص.

 التفوّق والتوفيق:

يحتاج المؤمن إلى استكمال البذْل لأسباب التفوّق حتى تستضيئ مَلَكاته وقدراته، ويحتاج إلى استيفاء عوامل الاستجلاب لتوفيق الله واستمطار معونته وتأييده، حتى تستنير جوانحُه وتُشعّ بالأنوار خباياه.

 الأنوار المُعتَّقة:

هناك نوع من الأنوار التي تُبدِّد ظلمات الحياة لا توجد إلا في الماضي، وتحتاج إلى استمداد عَبْر اسْتعْبار قصص الماضين واسترفاد أحداث الغابرين.

هذه الأنوار المُعتَّقة تنفع لبعض الزوايا التي لا تنفذ إليها بقية الأنوار الجديدة.

 محطّاتُ الأنوار:

روى الإمام مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: "والصلاة نور"، مما يؤكد أن الصلاة محطة يومية للتزود من أنوار الله المُسمّاة بالتقوى، والتي تعصمه من الكبائر وتعطيه الفُرقان وبوصلة السير، ليعرف أين يضع قدمه، حتى لا يزلّ ولا يزيغ.

وتقاس على الصلوات اليومية محطات الأنوار الأسبوعية (الجُمعة)، والسنوية (الصيام)، والعُمْرية (الحجّ والعُمرة).

** النور الشامل:**

هناك محطات كثيرة للاستزادة من الأنوار، بعضها شعائرية وبعضها كونية، غير أن أكثرها شمولاً وعطاء هي الصلاة، ولذلك أخبر الحبيب صلى الله عليه وسلم بأنها نور، وذلك لكثافة أنوارها، ففيها أنوار القلب والروح، وأنوار الجسم والمادة.

ولهذا فإن المُصلّين بصدق قد أفلحوا في هذا كله، فإذا أقاموا الصلاة وفْقَ شروطها وأركانها وآدابها فإن مقاصدها وفضائلها تضمن انسكاب النور وانصباب الضياء، الذي يؤدي إلى إشراق الروح وضياء العقل وتَنوُّر الجسم.

** النّور المفتوح:**

في الأنوار المُستمدّة من الشعائر التعبدية كالصلاة والصيام والحج، حدّد الشرع الحنيف فروضاً وأركاناً وشروطاً لعملية ارتشاف الضياء، حتى تكون العملية ناجحة.

أما في فريضة التفكر بآيات الله في الخلق وآلائه في الرزق، فقد تركها سبحانه مفتوحة، لتتناسب مع طبيعة العقول المختلفة، حيث يرتشف كل امرئ من أنوار التفكير ما يتناسب مع عقله وطرائق تفكيره.

ليمونة:

آيات الله القرآنية والاجتماعية والكونية هي بصائر لمن هيّأ لها مِشْكاةَ العقل!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ١٩

ألْبابُ القلوب

امتزاجُ العقل والقلب:

لكي يستمر المفكر والكاتب في التّرقّي بواقعه نحو الأجمل، يحتاج إلى قراءة عميقة لما هو كائن، وتجويد مستمر لما يجب أن يكون، ومن ذلك تنظيم العلاقة بدقة بين العقل والقلب.

فالإبداع يحتاج إلى قلق وهنا يجب أن يقلق العقل لا القلب؛ لأن قلق القلب يرمي بأحجاره أمام سكّة قطار الإبداع!

وفي المقابل فإن الرضى مطلوب لركوب ناصية الإبداع، وينبغي أن يُملأ القلب بالسكينة التي تُمكِّن المرء من التفرغ لأفكاره الإبداعية، لكن الرضى إذا تسلل إلى العقل زيَّن لصاحبه الواقع، ولم يرَ ضرورةً لمغادرته أو تغييره، مما يُكرِّس أوضاع التخلف ويُركس أفكار التغيير.

العلوم والآداب:

إذا تعانق العقل والقلب في شخصية الفرد، فقد ترافق العلم والفنّ في تكوين المجتمع، لأن العقل الذّكيّ تتفتّح مداركُه لتصنع علماً نافعاً، والقلب النّقيّ تتفتق مَلَكاته لتصنع فناً ماتعاً.

وبجناحي العلوم والفنون تمارس المجتمعات الإقلاع الحضاري نحو فراقد الرُّشْد ونُجوم الجمال.

اكتساب العلم والعرفان:

إن تفعيل مدارك العقل هو التفكر، وتفعيل ملكات القلب هو التدبر.

والأمران مطلوبان بالنسبة للمسلم في انفعاله بآيات القرآن الكريم والقيام بالشعائر التعبدية، وفي تفاعله مع آيات الأنفس والآفاق، حيث يكتسب العقلُ العلمَ ويكتسب القلبُ العرفانَ.

وبضياء العلم وأنوار العرفان يصعد المرء في آفاق الكمال والجمال، ويعرج في سماء الأذواق والأتواق، فيزداد تعظيماً لله وخشيةً منه.

الكمال والجمال:

إذا امتزجت مدارك العقل ومَلَكات القلب بصورة تُفعِّلها كلها إلى أقصى مدى ممكن، فقد جمع المرء بين الكمال والجمال.

فالعقل سبيل الترقّي والقلب أداة التنقّي، ومن الواضح أن الترقّي يوصل إلى الكمال، أما التنقّي فيجعل القلب رقيقاً شفّافاً، ينفعل بمشاهد الجمال ويحتسي كؤوس الروعة، ولا يكُفّ عن إثمار العواطف الجياشة والأحاسيس الرقراقة.

ولا يزال المرء يترقّى ويتنقّى حتى يعتلي مقامات الإدهاش ويطلق أشعّة الإبهار!

الفاعلية والانفعال:

إذا جمع المرء بين العقل والقلب، فقد امتلك فاعلية العقل وانفعال القلب، حيث يمنحه العقلُ الرُّؤى الناضجة، والقلبُ يعطيه المشاعر النبيلة، العقل يرسم له خارطة السير والقلب يَهَبُه طاقة المسير، العقل يقوده بزمام المصلحة والقلب يدفعه بمشاعر الواجب.

ليمونة:

إنّ تمازج العقل والقلب هو المُكوِّن الأساسي لإكسير الحياة الطيبة.

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٢٠

خوافي الخطايا

الرِّبا المُقنَّع:

من يعطي الناس شيئاً من مشاعره القلبية أو من معروفه المادي، وهو لا يريد إلا أن يبادلوه ذات العطاء ولكن بكمية أكبر أو نوعية أفخر، فإنه يمارس صورة من صور الرّبا، إنه ربا معنوي يتخفي وراء قِناع الكرم والعطاء.

وهذا الرِّبا منهيّ عنه بنص القرآن، كما قال تعالى: "ولا تَمنُنْ تَسْتكْثر".

الخَمْرُ الخفيّ:

الخمر الذي يُغيِّب العقل عن إدراك الأشياء على حقيقتها هو إحدى الكبائر المعلومة.

ومن ثم فإن كل ما يؤدي إلى إحداث ذات الأثر، فإنه يشترك معه في الحرمة! ومن صوَر الخمر الخفيّ الفكر المُغيّب للعقول، وكذا الأدب الذي يُسكِّر الألباب بجمال مبانيه مع تفاهة معانيه!

الخادع:

إذا كان الموت حكم الله اللازب الذي لا ينبني على ذاته ثواب أو عقاب، فإن صنفاً من الموت يُعدُّ من الكبائر، إذ أن أصحابه يدفنون أنفسهم وهم أحياء يُرزقون، وذلك في قبور التقليد الأعمى، ويُهيلون على وعْيهم جنادلَ من عوائد الاتباع للآباء والأجداد، ويقوم القطيع الاجتماعي بإثارة الغبار الذي يُعمي البصائر حتى لا يمكنها التعرف على الحقائق كما هي.

وبالجملة فإن المُوغلين في التقليد إنما يدفنون أنفسهم في قبور تحت أطباق التقليد حتى لا يمكنهم رؤية الحقيقة أو سماع الحق أو الاهتداء إلى الصواب، ولذلك قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: "وما أنتَ بمُسْمِعٍ منْ في القبور!"

القتل الخفيّ:

الإنسان كائن ذو بعدين، ويظلّ بالتراب بشَراً ولا يصير إنساناً إلا بقوامه الروحي والعقلي، حيث يكتسب بواسطته حريته وكرامته وعزّته، ويتسلح عن طريقه بالأخلاق النبيلة والقيم الرفيعة، ويصير نصيراً للحق وخادماً للخَلْق ومحارباً للطغيان والرِّق.

ومن ثم فإن كل طريقة تؤدي إلى إزهاق الكيان العقلي والقوام الروحي في الإنسان هي من القتل الخفي.

ولا شكّ أن أخطر طرائق هذا القتل هي مناهج التربية والتعليم فإنها تستطيع أن تَهدّ جبالاً، ولذلك صار اغتيال العقل هو الهدف الأساسي للغُزاة الجدد والاستعمار الحديث!

الهجْرُ الأقبح:

إن هجر الأقارب من كبائر الخطايا والذنوب، غير أن أسوأ أنواع الهجر على الإطلاق هو هجر القرآن الكريم، لأنه هجر لله تعالى الخالق المتفضل والأقرب للإنسان من حبل الوريد، ثم إنه سيصير بشكل غير مباشر هجراً لسائر الفضائل ومقارفةً لشتى الرذائل، ولذلك لم يشْكُ النبي صلى الله عليه وسلم أمّتَه لربه عزّ وجَلّ إلا في مقام (هجْر القرآن!)

الغشُّ الأكبر:

يُحرّم الإسلام كل صور الغش القبيحة، من تزوير للحقائق وتزييف للوقائع، ومن تنفيق للبضائع المزجاة في ثياب السلع النفيسة، غير أن أسوأ صور الغش هو غش الإمام لرعيته والحاكم لمواطنيه، ذلك أن غشه يجتاح سائر الحدود ويتجاوز كل القيود، وتصل آثاره السيئة إلى سائر المواطنين!

أسوأُ الزُّور:

إن كل شهادات الزُّور في الإسلام سيئة، لكن أسوأها على الإطلاق الشهادة للحاكم الظالم بأنه عادل، فإذا كان صلى الله عليه وسلم قد قال: "إذا هابَتْ

أمّتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودِّع منها"، فكيف إذا تجاوزت السكوت إلى تسمية الظالم بالعادل، والخائن بالأمين؟!

ليمونة:

يصير الكذب محموداً فقط عندما يَردم الهُوَّات بين القلوب ويُجسِّر المسافات بين الكيانات!

قُطوف الفكر ٢١

آفاتُ العلماء

بُخْلُ العلماء:

عندما يبخل العلماء بعلمهم ونصحهم ويَكُفّون عن توجيه الناس وتربيتهم، عند ذاك يضعف عطاء المجتمع، فيبخل الأغنياء بأموالهم والأقوياء بمعونتهم، ويَشحّ الكبراء بجاههم والعُبَّاد بوعظهم!

ولا شك أن الحصاد حينئذٍ سيكون استئثار الحكام بالسلطة وشُحّهم بالأموال التي تحتاجها مصالح الرّعيّة.

وإذا كان شح الأمراء هو الثمرة المُرّة، فإن بُخل العلماء هو البذرة الأولى في هذه السلسلة الطويلة من البُخل والمَنع، ولذلك كانت مسئولية العلماء بالغة الأثر وعظيمة الخطر.

أسبقيّةُ العلماء:

العلماء هم أئمة الأمة وقادتها، بالتشارك مع الأمراء، وهم صُنَّاع وعْيها، سواء كان وعياً أصيلاً أو دخيلاً، ولأهمية العلماء ودورهم في صناعة القوة أو الوهن، وقيادتهم للمجتمعات نحو مقامات التقوى أو منازل الانحطاط؛ فإنهم أوّل من يدخلون الجنة أو أوّل من تُسعَّر بهم النار!

أسْوءُ العلماء:

أسوءُ العلماء على الإطلاق هم الذين يَجمعون بين التشدّد مع الرّعيّة والترخّص مع الرعاة.

فهناك صنفٌ من المحسوبين على العلم، ما زالوا يتشدّدون مع المواطنين إلى حد التزمُّت، في مقابل لِينهم مع الطغاة إلى حد التفلُّت!

والغريب أن هؤلاء جمعوا بين سلوك الخوارج والمرجئة، حيث يُكفِّرون من ارتكب الكبائر من المواطنين، ويَدْعون إلى طاعة طغاةٍ نافسوا الله في ألوهيته وأقصوا شرعه من ناصية حُكمه، بل ويدْعون لهم بطول العمر!

العلم الأعور:

من أكثر العلماء ضرراً بالمسلمين وإساءةً إلى الإسلام، علماءُ البُعد الإجباري الواحد، والذين لم يعرفوا آراء المدارس الأخرى، وهي المعرفة التي تسمح لهم بإدراك مشارب العلماء ومعرفة مآخذهم على بعضهم، فتتسع مداركهم وقلوبهم لقبول الآخرين، ولا يغالون في تقدير مشائخهم وصولاً نحو التقديس، ولذلك أوجب العلماء على طلاب العلم معرفة اختلاف العلماء.

عجائب علماء السوء:

إن صنفاً من علماء العصر يعانون من انفصام عجيب، ولذلك تجدهم على سبيل المثال:

-يُحذِّرون من نُشوز المرأة على زوجها ولا يقولون شيئاً عن نشوز الحكام على شعوبهم، رغم فارق الضّرَر في الحالتين، فما يفعله ناشزٌ واحد من الحكام يتطاير ضررُه إلى الملايين من رعيته!

-يَشُنّون الغارة على قيام النساء عند موت أقربائهن بـ(اللطم والنياحة)، رغم أنهن يلطمن أنفسهن حزناً على أحبابهن، ولا يَنْبسون ببنت شفة أمام قطعان من وحوش حكام الجور والعسْف الذين لا يلطمون خدودهم وإنما يلطمون خدود شعوبهم، ويستخدمون أحدث منتجات التكنولوجيا في تعذيب ناصحيهم وتأليم معارضيهم، بما في ذلك وضع الكهرباء في أعضائهم الجنسية!!

-يُعلنونها حرباً شعواء ضد المُسْبِل إزارَه أو ثوبه وسرواله، متوعدين إياه بجهنم وبئس المصير، بينما يَدَعون الذين يُسبلون إزار تَكبّرهم وتجبّرهم على مواطنيهم، ويُسدلون ثياب الكبْت والخنْق ضد شعوبهم، غير سامحين لها بتنفس هواء الحرية وشمّ عبير الكرامة، حيث تموت الملايين اختناقاً بغاز الاستعباد والاستبداد!

غيابُ النقد:

تنمو كثير من أشواك الرذائل ونباتات الشرور، في البيئة التي لا تُشرق عليها شمس النصيحة، ولا تمتلك مناجلُ النقد وسناديِنُ التقويم.

ومن المؤكد أن العلماء يتحمّلون الوِزْر الأكبر في تعطيل النصيحة وعدم تفعيل جهاز النقد!

أسئلة الصّدْمة:

إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عدَّ (الساكت عن الحق شيطان أخرس) أياً كان، فكيف إذا كان الساكت عالِماً ؟!

وماذا لو أن العالِم لم يسكت فقط بل قلب الحق باطلاً والباطل حقاً ؟!

وكيف سيكون العالِم الذي جعل من صوته سوطاً بيد الحاكم الظالم لجلد الضحايا ؟!

ليمونة:

العُلماء عقلُ الأمة، فأيُّ خيرٍ في جسم إن كان العقلُ فاسداً ؟!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٢٢

خوافي الخطايا

الرِّبا المُقنَّع:

من يعطي الناس شيئاً من مشاعره القلبية أو من معروفه المادي، وهو لا يريد إلا أن يبادلوه ذات العطاء ولكن بكمية أكبر أو نوعية أفخر، فإنه يمارس صورة من صور الرّبا، إنه ربا معنوي يتخفي وراء قِناع الكرم والعطاء.

وهذا الرِّبا منهيّ عنه بنص القرآن، كما قال تعالى: "ولَا تَمنُنْ تَسْتَكْثِر".

الخَمْرُ الخفيّ:

الخمر الذي يُغيِّب العقل عن إدراك الأشياء على حقيقتها هو إحدى الكبائر المعلومة.

ومن ثم فإن كل ما يؤدي إلى إحداث ذات الأثر، فإنه يشترك معه في الحرمة!

ومن صوَر الخمر الخفيّ الفكر المُغيّب للعقول، وكذا الأدب الذي يُسكِّر الألباب بجمال مبانيه مع تفاهة معانيه!

 الخادع:

إذا كان الموت حكم الله اللازب الذي لا ينبني على ذاته ثواب أو عقاب، فإن صنفاً من الموت يُعدُّ من الكبائر، إذ أن أصحابه يدفنون أنفسهم وهم أحياء يُرزقون، وذلك في قبور التقليد الأعمى، ويُهيلون على وعْيهم جنادلَ من عوائد الاتباع للآباء والأجداد، ويقوم القطيع الاجتماعي بإثارة الغبار الذي يُعمي البصائر حتى لا يمكنها التعرف على الحقائق كما هي.

وبالجملة فإن المُوغلين في التقليد إنما يدفنون أنفسهم في قبور تحت أطباق التقليد حتى لا يمكنهم رؤية الحقيقة أو سماع الحق أو الاهتداء إلى الصواب، ولذلك قال الله لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: "وما أنتَ بمُسْمِعٍ منْ في القبور"!

 القتل الخفيّ:

الإنسان كائن ذو بعدين، ويظلّ بالتراب بشَراً ولا يصير إنساناً إلا بقوامه الروحي والعقلي، حيث يكتسب بواسطته حريته وكرامته وعزّته، ويتسلح عن طريقه بالأخلاق النبيلة والقيم الرفيعة، ويصير نصيراً للحق وخادماً للخَلْق ومحارباً للطغيان والرِّق.

ومن ثم فإن كل طريقة تؤدي إلى إزهاق الكيان العقلي والقوام الروحي في الإنسان هي من القتل الخفي.

ولا شكّ أن أخطر طرائق هذا القتل هي مناهج التربية والتعليم فإنها تستطيع أن تَهدّ جبالاً، ولذلك صار اغتيال العقل هو الهدف الأساسي للغُزاة الجدد والاستعمار الحديث!

 الهجْرُ الأقبح:

إن هجر الأقارب من كبائر الخطايا والذنوب، غير أن أسوأ أنواع الهجر على الإطلاق هو هجر القرآن الكريم، لأنه هجر لله تعالى الخالق المتفضل والأقرب للإنسان من حبل الوريد، ثم إنه سيصير بشكل غير مباشر هجراً لسائر الفضائل ومقارفةً لشتى الرذائل، ولذلك لم يشْكُ النبي صلى الله عليه وسلم أمّتَه لربه عزّ وجَلّ إلا في مقام (هجْر القرآن)!

 الغشُّ الأكبر:

يُحرّم الإسلام كل صور الغش القبيحة، من تزوير للحقائق وتزييف للوقائع، ومن تنفيق للبضائع المزجاة في ثياب السلع النفيسة، غير أن أسوأ صور الغش هو غش الإمام لرعيته والحاكم لمواطنيه، ذلك أن غشه يجتاح سائر الحدود ويتجاوز كل القيود، وتصل آثاره السيئة إلى سائر المواطنين!

 أسوأُ الزُّور:

إن كل شهادات الزُّور في الإسلام سيئة، لكن أسوأها على الإطلاق الشهادة للحاكم الظالم بأنه عادل، فإذا كان صلى الله عليه وسلم قد قال: "إذا هابَتْ

أمّتي أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُودِّع منها"، فكيف إذا تجاوزت السكوت إلى تسمية الظالم بالعادل، والخائن بالأمين؟!

 ليمونة:

يصير الكذب محموداً فقط عندما يَردم الهُوَّات بين القلوب ويُجسِّر المسافات بين الكيانات!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٢٣

ترْشيدُ الأفهام

إصلاح الوصاية:

عندما تنقلب وصاية المسلمين على الإسلام إلى وصاية للإسلام على المسلمين، سيتغيّر حالنا مما هو كائن الآن إلى ما ينبغي أن يكون غداً.

غريبة:

من يكرِّس نفس المناهج إنما يكرّر ذات النتائج، فكيف بالله نطمع أن تتغير الأحوال ونحن متمسكين بذات الأوضاع ؟!

نوازلُ السقوط:

عندما لم ينجح جهاز وعي الأمة في السيطرة على النوازل، والتحكم بها على ضوء مقاصد الشرع وحقائق العصر؛ تعرضت مجتمعاتنا لانتقام هذه النوازل،

حتى صارت متطابقة مع اسمها: "النوازل"، وذلك بعد أن صارت جواذب لتعميق معضلة السقوط الاجتماعي وتقوية ظاهرة الانحطاط الحضاري!

استبطانُ الاستنباط:

إن الاستنباط من النصوص يحتاج إلى استبطانها، بحيث تغوص المدارك العقلية في أعماق النصوص لاستخراج مكنوناتها.

الصعود القوي:

عندما تؤدي مسالك الفكر إلى الابتكار، وتقود طرائق العلم إلى الإنجاز، وتقود سبُلُ الأعمال إلى الإنتاج؛ حينئذٍ يمكنك القول بأن هذا المجتمع يصعد بقوة في سماء العروج الحضاري!

دقّةُ سيقان الفاعلية:

عندما كفَّ عامّةُ المسلمين عن استثمار أوقاتهم في جلْب المنافع ودفع المضار، وعندما لم يتم ملئ (الدقائق) بالحقائق العقلية والرقائق القلبية؛ (دقّتْ) سيقانُ فاعليتهم، ولم تقْوَ هذه السيقان على السير في الأرض، وغاية ما فعلته هو الهروب بهؤلاء من معتركات الصراع الحضاري والفرار من الزحف المعادي والتآمر البادي!

غائيّةُ الإنسان:

من يتأمل هذا الدين سيجد أنه بكل مكوناته ومكنوناته ما جاء إلا من أجل الإنسان، الذي جعله الله غاية وسخَّر له سائر الكائنات والموجودات.

انتكاس:

تعاني مجتمعاتنا من وهْن القوة وقوة الوهْن، ويُعرف المسلمون بجهل العلم وعلم الجهل، ويعانون من اعتزاز الذل فيهم وذُلّ العزة، ومن بطلان الحق وحق الباطل، وينالهم ظلم الحكم وحكم الظلم!

ليمونة:

المُسلم حقاً هو من استسلمَ للّه وسلمَ الناس من أذاه.

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ٢٤

أدْرانُ التراب

إقفارُ الفَقْر:

يتعجبون لأن بعض الناس تُقْفِر أخلاقُهم إذا افتقروا إلى المال الضروري ولم يمتلكوا الوازع الإيماني الذي يمنحهم الصبر والرضى.

حسناً أليس الإنسان مخلوقاً من التراب؟ ألن تُقفر التربة إذا افتقرت إلى الماء؟!

إن المال هو الماء الذي يهطل على تربة الإنسان فتخْضرّ طباعُه وتتحسّن أخلاقُه، فإذا افْتقر إليه أجْدَب وأقْفَر!

انبعاثُ التُّراب:

تنبعث طبائع التراب من بين ثنايا الإنسان في ظروف كثيرة، ومنها أثناء المديح الزائد، إذ يفخر المرء بنفسه وقد يصاب بالعُجْب والغرور، وإذا تَكثّف المديح وأضيفت للمرء غير محاسنه فمن المحتمل أن يُصاب بالطغيان، وربما

كان هذا الأمر هو السبب في أمر الرسول الله صلى اللّٰه عليه وسلم بحَثْو التراب في وجه المدّاحين جزاءً وفاقاً على استثارتهم لتراب الممدوح!

انفصام:

هناك أناسٌ شديدو الانفصام إذا تعلّق الأمر بالمال.

ومن هؤلاء مَن إذا دُعي إلى المال سبق الطيور وإذا دُعي إلى الإنفاق سبقته السلاحف!

ومن هؤلاء ذلك الرجل الذي قال عنه أبو الأسود الدؤلي: إذا سُئل أرَزَ وإذا دُعي انْتهز، ومن قال عنه عون بن عبدالله: إذا سأل ألْحَف وإذا سُئل سوَّف !

حرارة التربية:

التربية هي عمليةُ تحميةٍ لطبائع الفرد حتى يتخلّى عن رذائل التراب ويتحلّى بفضائل الروح، لكن مهما كانت التربية فاعلة فإن الوسط الاجتماعي إن لم يرتقِ سيُعيد للفرد كثيراً من أكدار التراب، مثل الماء الساخن إذا وضع في وسطٍ بارد فإنه سرعان ما يبرد!

التأنّي المطلوب:

التأنّي ليس كالتّواني، فهو يمنع صاحبه من الإقدام قبل التعرف على مزالق الأقدام.

ولهذا قال القُطامي:

قد يُدرك المُتأنّي بعض حاجته

وقد يكون مع المُستعجل الزّلَل

أخْياف الناس:

لا شكّ أن الفروق الفردية بين الناس طبيعة ماضية في خلْق الله يستحيل تغييرها، وكما أنه لا تَطابُق بين الناس في الخلْق والشكل، فمن باب أولى في الخُلُق والأمزجة والأفكار.

ولهذا قالت العرب: الناس أخياف، أي مختلفون في أخلاقهم، متباينون في طبائعهم، والمصطلح مأخوذ من الحصان الأَخْيَف أي الذي إحدى عينيه كحلاء والأخرى زرقاء!

ليمونة:

قد يغشى (الكبارُ) صغائرَ الذنوب نتيجة بشريتهم، لكن (الصِّغار) هم من تغشاهم الكبائرُ!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٢٥

مساوئُ النّفوس

خُبثاءُ الناس:

الخُبثُ هو دناءةٌ في النفوس وسَفالةٌ في الشعور ولُؤْمٌ في الطّباع، مما يدفع أصحابها إلى إطلاق شرر القول وإشعال ثقاب الفتنة، وإلى الهيام بالخبائث والزهد بالطيبات، حيث يتبدّلون الخبيثَ بالطيب ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير!

وإذا فكَّر الخبيث يوماً بفعل الخير، نتيجة أي مؤثر خارجي، فإنه لا يُخْرِج إلا نَكداً ولا يُنفق إلا ما خَبُث من المال!

إجرام الأجرام:

من انْسلَخ عن الروح الربانية الرّاقية وانْسلك في فلَك (الأجْرام)الترابية المُتسفِّلة؛ أوشك أن يكون من أهل (الإجرام)!

صممَُ التعصّب:

مهما كان صوتك قوياً نقياً وبالحق مجلجلاً مدوياً، فلن يسمعك أقرب الناس إليك إن كان مقبوراً تحت جنادل التقاليد، أو أصَمّاً قد أصابه وقْرُ التعصّب وغيبوبة الغرور!

وكذا إن كان تحت تأثير صخب القطيع الذي يسير معه، مستمتعاً بالانجرار خلفه، واجترار أقواله ودعاواه!

أسوأُ الناس:

إن أسوأ اللصوص من يسرقون صلاتهم، وأسوأ الخَوَنة من يختانون جوارحهم، وأسوأ الماكرين من يمكرون بإيمانهم، وأسوأ الخدّاعين من يَخدعون ذواتهم، وأسوأ الكذابين من يكذبون على أنفسهم.

وبهذه الأمور إنما يُهلك هؤلاء أنفسهم، ويتحوّلون إلى أدوات للإهلاك المجتاز لكل الحدود الشرعية والعابر لكل الأعراف والقوانين الإنسانية!

الكتمانُ المقلوب:

يتناقض بعض الناس في تجسيدهم لبعض القيم إلى حد يثير التقزّز، كأنْ تَجدَ من (يَكتم) نِعَم الله عليه بالقول والعمل حتى يظنه المشاهد من أفْقر

الخلْق وهو يجلس على أموال تزيغ لمشاهدتها الأبصار ويسيل لرؤياها اللُّعاب!

وفي الطرف الآخر لا (يَكتم) أسرار الخلْق التي يعرفها، بل قد يدسّ أنفه في خصوصيات غيره؛ ليعرف بعض أسرارهم ثم يشيعها بين الناس!!

وهناك من (يكتم) شهادة الحق إذا احتاجت إليه ولا (يكتم) معايب الناس وزلاَّتهم!

سؤال:

ماذا سيجني السائر خلف نفسه الأمّارة بالسوء إن ربح الدنيا كلّها وخسر نفسه؟!

شمْسُ المَنّ:

المَنُّ هو أشعّة الشمس التي تتعامد على مياه العطايا، فتؤدي إلى تبخّرها وتَحوُّلها إلى مجرد سرابٍ بِقِيعة!

ليمونة:

إن (الدعاء) الفارغ من اليقين والخاوي من الأسباب، إنما هو (وعاءٌ) مثقوبٌ لا يمكن لمياه العطايا الرّحمانية أن تَقَرّ فيه!

بورك المتفكرون



قُطوف الفكر ٢٦

مَزالقُ العَثَرات

تضخُّم الأخطاء إلى خطايا:

من أدام تتبّع عيوب الناس وإحصاء أخطائهم وخطاياهم، فإنه لن ينتبه لأخطائه، بل وسيدفعه ذلك للتهاون في اقتراف الأخطاء، ومع مرور الأيام فإنه سيستمرئ هذه (الأخطاء) ويسمح لها بالتضخّم حتى تصبح (خطايا!(

تجفيف منابع النقد:

لا يمارس النقد الذاتي والرقابة الداخلية من يتتبّع أخطاء الناس، إذ مع كثرة أخطاء الآخرين فإن الشخص يقارنها مجتمعةً بدون وعي بأخطائه التي ستصبح مهما كانت قليلة بجانب أخطاء الناس عامة، فأنى له أن يحاسب نفسه؟!

وبذلك يصير تتبّع عورات الآخرين حَروراً يؤدي مع المدى إلى بثّ القحْط في الإيمان والجدْب في الصالحات، مما يُجفِّف كثيراً من منابع الخير، ومنها منابع النقد الذاتي.

الأخسرون أعمالاً:

إن الولع بتتبّع عورات الآخرين وإحصاء أخطائهم، يساعد الشيطان على صاحب هذه الهواية، حيث يُمكّنه من نفسه، إذ يُزيّن له الشيطانُ له سوء عمله فيراه حسناً وهو يظن أنه يُحسن صُنعاً، مما يؤدي إلى تراكم الأخطاء ليصير بذلك من الأخسرين أعمالاً!

تُفاحّة:

إن تتبُّع (أوزار) الورى يُسلم صاحبه إلى (الأرْزاء)!

وحشُ السيئات:

من يتتبعّون معايب الناس ويرصدون آفاتهم؛ يقعون في مهاوي الأمن من مكر الله ويسقطون في حُفر الغرور، إذ يبحثون عن الأسوأ ليبرروا مساوءهم، ومع التركيز على أوزار الناس فإنهم لا يرون محاسنهم ولا حسناتهم، وعندما يصيبهم الغُرور يَتبعهم الغَرور، ومع تتابع الليل والنهار تلتهم سيئاتُهم حسناتِهم حتى تتوحّش، وإن لم تتداركهم رحمة الله فقد ينتهي ضحية على يد ذلك الوحش الذي صنعه بيديه!

مرضُ التجسُّس:

لا يتتبع أدران الناس إلا من في قلبه مرض، ولذلك فإن تتبُّع بوائق الناس بائقة من البوائق، وإنّ ترصّد العيوب عيب خطير، وإن تَكشُّف المنكرات منكرٌ وانكشاف، وإن الحرص على رؤية الفواحش هو فاحشة مقيتة، لأنه طريق لإشاعتها في المجتمع، وأول ضحاياها هو المتجسس نفسه!

ومن تتبّع نقائص الناس وقع في النّقْص، ومن تحثّث قبائح الناس فقد وقع في القبح ذاته!

انتقام الذنوب:

تنتقم الذنوب من مقترفيها ومن متتبعي أصحابها الذين يودون معرفة العثرات ليستمتعوا بإشاعتها وازدراء مُقارفيها، ويرغبون باقتناص النقائص لانتقاص أصحابها والنيل من أهلها!

إن تتبّع الأقذار يؤدي إلى الإصابة بغبارها ويقود إلى التهاون بالأوضار، مثلما يؤدي تكشُّف البوائق إلى الوقوع في الرذائل والسقوط في هُوّات القبائح، ويؤدي الاطلاع على أوزار الآخرين إلى الازورار عن طريق الحق والميل عن سبيل الحقيقة.

وصفوة القول إن تتبّع عثرات الآخرين يقود إلى التعثّر، ويؤدي ترصّد المَشاين إلى الوقوع في المزالق، ولهذا جعل الإسلام تتبع عورات المسلمين من الكبائر وحرّمه تحريماً قاطعاً، ولو كان بغرض الإصلاح والدعوة، إذ أن درء المفسدة مقدّم على جلب المصلحة.

النجاسة لا تُطهرها النجاسة:

إن تشدد الإسلام في محاربة هذه الآفة، لأن الله يعلم طبيعة النفوس، ويعلم حجم المفاسد التي ستجلبها للمجتمع المسلم، ثم إن درء المفاسد مقدمٌ على جلْب المصالح كما في الأصول، وفي فقه الدعوة أكد العلماء الأبرار أن النجاسة لا تتطهر بنجاسة، وأن تغيير المنكر لا يجوز أن يؤدي إلى توليد منكر أكبر.

ليمونة:

إن تَرصُّد عورات الخلْق من أنجع الوسائل لإشاعة الفواحش في أي مجتمع.

بورك المتفكرون



قُطوف الفكر ٢٧

وشائجُ الاجتماع

المجتمعُ المُعتَلّ:

في المجتمع المعتل تَكثُر الشروخ وتشتد الفروق، حيث تتسع الفوارق بين أبنائه حتى تظهر في القمة طبقة ثرية تطاول الثُّريّا في غناها، مقابل طبقة تلتصق بالثرى وتقتات التراب من شدة الفقر والفاقة.

ومن أجل معالجة هذه المعضلات والعلل جاء الإسلام، وامتلك المنهج الكفيل بتحقيق التكافل الاجتماعي بين الناس.

منظومة الأوشاج:

أوجد الإسلام منظومة عبقرية متكاملة من التعاليم، التي تضمن إن طُبقت بحذافيرها توفير الكفاية لكل الناس، وذلك من خلال التوزيع العادل للثروة، بحيث لا يصبح الغِنى فاحشاً الفقْر مُدقعاً، مما يُجنِّب المجتمع التعرّض لطغيان الأغنياء وصَغار الفقراء، وهي المعضلة التي تشقُّ المجتمع إلى نصفين، فتُضعف أوصاله وصِلاته، وتوهن أرحامه وحُرُماته.

الكسْبُ الخبيث:

الكسب الخبيث هو الذي ينتزع المال من أصحابه بغير حق، بعيداً عن منهج الحق والعدل، مما يؤدي إلى صيرورة الغنى مُطغياً والفقر مُدقعاً، ولا شك أن الغنى الفاحش يدفع أصحابه إلى مقارفة فواحش الطغيان ومقارعة حريات

المجتمع، وإلى استضعاف الفقراء وامتصاص دماء المساكين، حيث يَتمّ اجتياح كرامتهم وانتقاص آدميتهم، ويتمّ النيل من حقوقهم وتقييد حرياتهم.

البحث عن الله:

رغم وجود الله في كل مكان، ومع أنه تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد، إلا أنه لا يمكن للغني أن يجد الله إلا عند الفقراء، ولا يستطيع القوي أن يجد الله إلا عند الضعفاء، ولا يمكن للحاكم أن يجد الله إلا عند المظلومين، ولا يمكن للرئيس أن يجد الله إلا عند المحرومين.

ومن ينصر المظلوم إنما ينصر الله، ومن يعطي المحتاج إنما يُقرض الله قرضاً حسناً.

بهذا المنهج الراقي وَقَى الإسلام المعطي من مشاعر الغرور والتمنُّن، وحفظ الآخذ من مشاعر الذل والانكسار.

عزّةُ المسلم:

عندما تصبح الأمة موحّدة الأوصال وقوية البنيان، مستقلة المنهج وصاحبة القرار، فإن الثمرات ستتساقط عليها كأوراق الشجر، وتهطل عليها كقطرات المطر.

عندها سيصبح المسلم عزيزاً في كل بلاد الدنيا، لا يأتيه باطلُ المتغطرسين من بين يديه ولا من خلفه، فهو صاحب الرسالة النازلة من حكيم حميد، حيث يقتبس منه النور والعزة!

بين المُشاقّة والاعتصام:

إن مشاقة المسلمين لكتاب الله عزّ وجَلّ هو السبب الرئيسي لتشقُّقهم وتشرذمهم والعامل الحاسم في ضعفهم وذهاب ريحهم، ولا مخرج من هذا الداء إلا بالاعتصام بكتاب الله: تلاوةً وقراءةً، تدبراً وفهماً، عملاً وتطبيقاً.

آفات التّشقُّق:

من أجل أن تنمو الوشائج وتترعرع، وحتى لا تَضمُر العلائق أو تتضعضع، فقد تكفّل الإسلام باقتلاع الآفات من جذورها، ووفّر المبيدات التي تقتل كل ما يضر بالوشائج أو يمنعها من التمدّد.

وكمثال على ذلك حرمَّ الإسلام الرشوة، حيث أعلن المصطفى – وهو الرحمة المُسداة – أن الله لعن المرتشي والراشي، وليس ذلك فحسب بل ولعن الرائش الذي يتمدد كحبل تنتقل من خلاله الرشوة من الراشي إلى المرتشي.

وهكذا فعل في سائر الكبائر والموبقات وفي شتى الفواحش والرذائل، التي تُقطِّع أوصال المجتمع، وتُمزِّق حبالَ وُدِّه وتَفصم عُرَى أخوَّته.

اكتساب الطيبات:

إن اكتساب الطيبات وابتغاء الرزق الحلال من أفضل العبادات، لأنها ترتبط بحفظ كرامة الشخص ومن يعول، وترتبط بعدد من العبادات المتعدية، حيث تساهم في رفْد الثغور الإجتماعية ذات النفع العظيم والجزاء الوفير.

ليمونة:

ستتوطّد وشائجُ الأخوّة بين عامة المسلمين، على قدْر توطُّد علائقهم التدبرية مع القرآن.

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٢٨

مُرُوجُ المجتمع

تعريف:

ليس المجتمع مجرّد تَجمّعٍ لأعداد من الناس في مكان ما، بل هو مجاميع تتعارف وقلوب تتآلف، أوشاج تترابط ومصالح تتكامل، أواصر تتأصّل وروابط تتوثّق.

نهْرُ المجتمع:

عندما يكون لكل فرد ذاته المتميزة، تألقاً في آفاق العمل وتوهّجاً في سماء الإبداع، عندها نكون قد امتلكنا (الفرد الفاعل).

لكننا لن نمتلك (المجتمع الفاعل) إلا إذا انصهرت (الطاقات الذاتية) في بوتقة (الموضوع الاجتماعي)، وإذا انْصبّت (عيون الأفراد) في مجرى (النهر الاجتماعي) الواحد!

إصلاح الجوهر:

يجب أن تَنصبَّ جهودُ حلّ المعضلات على الجواهر قبل المظاهر، وعلى المضامين أكثر من الأشكال، فإن المسميات إذا كانت باهتة لا تُعطيها الأسماء البرّاقة تَوهّجاً ولا تمنحها الأسماء الجديدة لمعاناً.

أُسُسُ المجتمع المتين:

تقوم المجتمعات المتينة على أعمدة: الحرية، والمساواة، والعلم والتفكير الموضوعي، وعلى قيم العدل والإنصاف والتسامح التي تقضي على فيروسات

العصبيات والأنانيات وضيق الأفق والكراهية، وللأسف ما تزال هذه الأعمدة عزيزة المنال وضعيفة الحضور في بلداننا !

الغدير والمغدور:

لم نسمع يوماً بأن غديراً تعرّض للغدر، لأن الطبائع السوية تجعل الجميع يتسابقون على النّهْل من مياه الغدران العذبة، وفي الحدّ الأدنى فإن المرء يستمتع بمقاربة مياه الغدير، وتروية العين من جماله اللُّجَيني.

فلماذا في الجانب الآخر نجد غُدران العلم ومناهل المعرفة وعيون الدعوة تتعرّض لصنوف من الأذى القولي والفعلي؟ هل يُعقل أن مجتمعاً سوياً لا يستفيد من غدير يتدفق بين أظهره؟ وهل يسمح المجتمع الحيّ بأن يتم الغدر بذلك الغدير وهو يشاهد؟!

حساسيةُ الأحياء:

الإنسان الحي شديد الحساسية، ولذلك فإن تجارب الآخرين تُنضجه ومواجعهم تحرقه، وما تزال متاعبهم تشقيه وأفراحهم تُبهجه، بل إن مسرّاتهم تمنحه جناحي الطيران في أجواء المرح وأثير السرور!

إنه لا يفتأ يتنفّس من هواء آمالهم، ويختنق إن ضاقت عليهم الدنيا أو ظلّلتهم سُحُب الآلام.

ولهذا فإننا أشد ما نكون حاجة لتكثير الأحياء في مجتمعاتنا التي تكتظّ بالأموات وتَزخر بالمُعوَّقين!

مجتمعات ميتة:

بالمعيار الاجتماعي وبلغة الخدمة والإيثار، يمكن القول بأن بلداننا تضم مجتمعات ميتة، فيها الكثير من الأحياء!

البحث عن المجتمع الحيّ:

يجب أن يشتغل المفكرون وعلماء الاجتماع والسياسة والنفس في بلداننا بالبحث عن أنجع الوسائل وأكفأ الطرائق، لتحويل الحياة الفردية إلى حياة اجتماعية، وتطوير فاعلية الفرد حتى يصبح كائناً اجتماعياً، يُشِيع الحياة بين الناس ويبثّ مشاعر التألّق، يبحث عن القواسم ويُنقّب عن المشتركات، يتفانى في الخدمة العامة ويسابق إلى الانغماس الإيجابي في الشأن العام، والتعملق في صناعة المعروف واجتراح قيم الإيثار!

ليمونة:

لا يزال المسلمون يمتلكون (أفراداً عمالقة) و(مجتمعات مُتقزّمة!)

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر ٢٩

ضِفَافُ الْقِراءة

مَعِدةُ الثقافة:

إن محاولة الفهم هي الأضراس التي تُقطِّع كُتَل المعرفة، والفكر هو المَعِدة التي تهضمها وتجعلها جزءاً من مُكوِّنات الشخصية.

الجُوعُ الْفكري:

ما ينفقه العرب على الطعام في يوم واحد يفوق ما ينفقونه على الكُتب في عام كامل، فأنّى لعجلة تَحضُّرِهم أن تتقدم والحالة هذه !؟

مُتعَةُ القراءة :

سنتقدم بحق عندما ننفق على (غُرف الكتب) أكثر مما ننفق على (غُرَف النَّوم)، وعندما يكون مُكوثنا في غُرَف الكتب أطول من المكوث في غرف النوم، وعندما تصبح القراءة ممتعة للعقل ومريحة للروح كما يريح النومُ الأجساد.

كشَّافُ القراءة :

القراءة هي المرآة التي تكتشف بها ذاتك، وهي المِصباح الَّذي ترى بواسطته العالم من حولك.

ولذلك يجب أن تختار الكتاب المناسب حتى ترى الأشياء كما هي بدون تهويل أو تهوين، بعيداً عن الكُتُب المُقعَّرة أو المُحدَّبة !

كَهْفُ القراءة :

أصبحت القراءة كهفاً مهجوراً لا يَلِجُه إلا قلّةٌ من شباب المسلمين، ولذلك تشعّبت بهم السُّبُل وتَنكبَّت بهم الطُّرُق، وأقفرتْ منهم الكثير من فروض الكفاية وخلَتْ منهم العديد من ثغور الإيمان، فملأها الجَهَلَةُ الفاسدون الذين زادوا مجتمعاتهم رهَقاً .

ولن تُحَلّ كثيرٌ من معضلات أمتنا حتى يأوي فِتْيتُها إلى كهف القراءة والتَّفكير الهادئ بعيداً عن ضجيج الجدل وسحْر الإعلام، وبمعزلٍ عن مؤثِّرات التَّيار الجَمْعي وثقافة القطيع!

وعند وُلوج الفِتيةُ إلى كهف القراءة العميقة والتفكير الواعي، سيجدون رحمة الله حاضرة وسيهيِّئُ لهم من أمرهم رشَداً .

مُفاضلة:

إن غير المتعلم الذي يمتلك وِرْداً يوميًّا من القراءة، خير من المُتَعَلِّم الذي لا يقرأ.

لَيمُونة:

القراءة هي المطر الذي يكفل لنهر المعرفة بالجَرَيان الدائم.

بورك المتفكرون



قُطوف الفكر ٣٠

مَخاطرُ الوَقْت

مَناخُ الفَراغ :

الفراغ هو المناخ الملائم لانبعاث الأهواء والنَّزَغات وتَرعرع الرغائب والشهوات، والتربة الخصبة لاستنبات الغرائز واخضرار الشهوات، بصورة تؤدي في النهاية إلى ميوعة الشخصية وذوبان الذات، بحيث تفقد قيُّوميتها واستقامتها لتعود تراباً كما بدأ الله خَلْقها أول مرة قبل أن ينفخ فيها من روحه !

سُمُوم الفراغ :

الفراغ هو رياح السّموم التي إذا هَبّتْ على الإنسان عصفتْ به، ما لم يكن له من الله عاصم يعصمه، وواقٍ يحميه من آثار سمومها التي تتسلل إلى العقل فتُفسده، وإلى الروح فتهمده، وإلى الجسم فتكسده !

حِبَالُ الفراغ:

الفراغ هو حِبالٌ تُكتِّفُ طاقة الإنسان فتجعله يسترخي،

وإذا استمَرْأ الاسترخاء وعَبَّ من الشهوات واللذائذ بدون رقيب الإيمان وحسيب التقوى فإنه قد يصاب بالتميُّع والتحلّل.

وما يزال الرجل تحت تأثير الفراغ يسترخي ويذوب، حتى يذوي ويصير كَوْمةً من التراب تمشي على التراب !

آنيةُ الفراغ :

من لم يملأ الفراغ بما ينفعه من العلوم والآداب والأخلاق ومن الفنون والقدرات والمهارات، فسيملؤه الفراغ بما يضرّه ولا ينفعه، وبما يهبط به ولا يرفعه.
ذلك أن الفراغ يسمح بمرور المعايب والمَشاين، وبتسلّل المَكاره والمفاسد.

عَواصِفُ الْجُنوح :

أثبتت الدراسات الاجتماعية أن الفراغ أشبه ما يكون بالعاصفة التي تأخذ العاطل إلى منزلقات الانحراف ومهاوي الجنوح، حيث تستيقظ داخله استعدادات الشر الكامنة في تركيبته التُّرابية !

ولذلك فإن من أهم أسباب التَّوقّي من الشرور والآثام هو الانشغال باجتراح العلوم النَّافعة والأعمال الصَّالحة، والانهماك في ممارسة الهوايات الطيبة والرغائب المفيدة !

تَزامُنُ الإتْقان:

من حِكَم خلْق الله للسماوات

والأرض في ستة أيام تعليمنا الأناة والتَّروي والتمحيص، فإن الزمن جزء من البناء والإصلاح.

ولهذا ينبغي الحذر من العجَلَة ومن حرْق المراحل الذي يؤدي إلى فقدان الإحكام وتفويت الإتقان، ويتسبب في قطْف الثمار قبل نضوجها .

إن الوصول إلى ذروة الإحكام يحتاج إلى زمن كاف، إذ أن لكل شيئ أجلاً مناسباً، وكل شيئ عنده سبحانه وتعالى بمقدار.

ليمونة :

لكي نَدْلفَ إلى زمن الإتقان الحضاري، ينبغي أن نتقن عمارة الزمن.

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ٣١

لآلئُ الرّوح

اللؤلوءُ قبل الأصداف:

يهتم الصّيّاد بالصّدَف لأنها غلاف اللؤلؤ، وعندما يراها بدون لؤلؤ فإنه يرميها على عجَل، والغريب أنك تجد من يشتغل من المسلمين بأصداف جسمه، منشغلاً تماماً عن لُؤلؤة روحه !

لُؤلؤة الروح :

لا يمكن للآدمي أن يصير إنساناً بصَدَفة جسمه، حيث يصير في هذه الحالة مجرد حيوان، مع أن الله خلقه بشراً سويا، غير أنه لا يرتقي بُرج الإنسانية إلا عندما تحوي صَدَفة جسمه لؤلؤة الروح.

إرادة خلق الروح :

كما أن البحر يحوي الكثير من الصّدَف فإن الأرض تضم الكثير من البشر !

وكما أنه لا توجد لؤلؤة في كل صَدَفة، فإنه لا يوجد روح في كل إنسان، والفارق هنا أن الأصداف لا تمتلك إرادة إيجاد اللآلئ، أما الإنسان فيمتلك إرادة إيجاد الروح، وفق المنهج الإلهي الوارد في القرآن الكريم.

سُلّم الرجاء :

إذا كسر المرء سُلَّم الرَّجاء عاش أبد الدهر في حُفَر الكبائر ومستنقعات المعاصي !

جناح الخوف والرجاء :

بدون امتلاك الإنسان للخوف من الله ورجاء ما عنده، سيعيش كالبهائم يجترّ غرائزها وينطلق من طباعها، وستسود المجتمع ثقافة القطيع وقوانين الغابة، وستصبح القرون والأظلاف والمخالب هي وسائل التفاهم.

ولا يمكن أن يتحرر هذا البائس من أغلال الحيوانية إلا بالإيمان الذي يمنحه جناحي الخوف والرجاء اللذين يطير بهما في سائر الأرجاء!

متابُ المآب :

من يُوقنون بأنّ إلى ربهم المآب، فإنهم يمتلئون خشية ويندفعون بوَجَلٍ لتجديد المَتاب.

ذُروةُ الإخلاص :

يصل الإخلاص إلى منتهاه عندما يغيب القلب عن عالم الشهادة ويحضر في عالم الغيب، فيعيش في ظل معية الله الدائمة ورقابة الملائكة الصارمة، ويحرص على إخفاء أعماله أمام كائنات عالم المادة، مُبرزاً لها أمام ربه ومفاخرا بها أمام ملائكته.

ليمونة:

يقوم العبيد بدُعاء البَعيد، بينما الله أقرب إليهم من حبل الوريد!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٣٢

مَمَالِكُ النِّسَـاءِ

نهارُ الذَّكَر ولَيلُ الأنثى :

الذَّكر والأنثى شطران للنفس الإنسانية الواحدة، وهما مثل الليل والنهار بالنسبة للزمن، إلا أنه ومهما تَشيّع المرء للنهار تحت عناوين العمل والسعي ولافتات الحركة والإنجاز، فهل يمكن أن يستغني عن الليل بما فيه من لباس السكينة والطمأنينة وسربال الستر والراحة؟

بمعنى آخر أنَّ الرجل الذي يمكن أن يعيش بدون ليل هو الذي يستطيع أن يستغني عن المرأة، والمرأة التي لا تحتاج إلى النهار هي التي لا تحتاج إلى الرّجُل !

الأفْضليَّةُ النِّسبيَّة :

إذا كان الرَّجلُ يشبه النَّهار في حركته ووضوحه، والمرأة تشبه اللَّيل في سكونه وراحته وغموضه، فإنه لا معنى للمفاضلة بينهما، لأن كليهما ضروريّان لاستقامة الحياة وانسجامها.

وإن كان هناك من تفاضل بينهما فهو نسبي، يختلف وفقاً للموضوع والزمان والمكان.

ولذلك عندما علّل القرآن إعطاء القَوامة للرجل لم يربط الأمر بأفضليَّة خِلْقة الرجل، وإنَّما بأفضلية نِسبيَّة يشير إليها قوله تعالى: {الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى



النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ۚ} [النساء: ٣٤]

مَمَالِكُ النَّحْل :

يبدو أن المجتمعات والدِّول في طريقها نحو التَّحول إلى ممالك نَحْلية، حيث تتَّسع فيها وظائف المرأة ويزداد نفوذها على حساب الرَّجل بشكل كبير !

تأْنيثُ الإدارة :

رغم عدم وجود فوارق جوهرية بين الرَّجل والمرأة في الإدارة، إلا أن بعض المؤشِّرات النَّظرية والعمليَّة تُرجِّح أنَّ المرأة أكْثر انْضباطاً .

والعجيب أنّ أكثر المجتمعات انضباطاً على مستوى الحشرات هما مجتمعا النّحل والنّمل، وكلاهما تقودهما الإناث، بل وتقوم بسائر الوظائف التي تجعلهما شديدي الانضباط، بينما تَقْتصر مُهِمَّة الذُّكور على تلقيح المَلِكات .

مَمْلكةُ غير وراثيَّة :

من أنجح الممالك في عالم الحشرات مملكة النَّحل كما يؤكد العلم، والذي أثبت أيضاً أن الُملْك دائماً بين الإناث، ويقتصر على صنف منهن، وهنَّ العقيمات.

فهل نستنتج من ذلك أن عدم توريث الملك أدَّى إلى حسم الصِّراع على المُلْك ؟

وهل نستطيع أن نشترط في الزُّعماء والقادة شرطا إضافيًّا وهو العُقْم حتى لا يفكرون بتوريث السلطة لأولادهم، فيشعلون بذلك الصراع ؟ !

وهل يمكن اعتبار عقم السلطان قابوس عاملا هاما في استقرار سلطنة عمان ؟ !

سؤال وجوابه :

-لماذا تطالب المرأة بالحجاب دون الرجل ؟

-لأن المرأة ذات جمال شَمْسي يبهر الأعين، بينما الرجل ذو وسامة قَمَرية لا تُسبّب أي زيغ في البصر، مع أن غضّ البصر مطلوب من الجنسين.

بين الكَيْد والقَهْر :

تظهر جلافَةُ الرَّجل ولطافة المرأة في كل شيء حتى في العداوة، فإنَّ سلاح المرأة هو الكيد الخفيُّ اللَّطيف، وسلاحُ الرَّجل هو القَهْرُ الخشن الذي استعاذ منه نبيُّنا محمَّد ﷺ.

ليمونة:

المرأة المتعلِّمة مِلِكَةٌ كريمةٌ، وقد يصنع الشَّيطان من الجاهلة جسراً للعبور نحو المساوئ والشرور.

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر ٣٣

شلاّلاتُ الجمال

روافعُ الجَمال :

إن قيمة الجمال عاملٌ مهم في رفع بني آدم من الدّرَكة الترابية ل(البشر) إلى الدرجة الرفيعة ل(الإنسان)، حيث يساهم في شَحْنه بأنوار التَّأنُّق وتزويده بأبهاء التَّألُّق، ليصبح كياناً أسْنَى وأسْمَى.

حوافزُ الجمال :

خلق الله الجمال في هذا الكون حتى يكون حافزاً للإنسان من أجل عمارة الأرض وعبادة الحق بخدمة الخَلْق.

ولابد أن يتم استثمار الجمال

واستغلال الحُسْن في تربية الإنسان وتعليمه، من أجل جذبه إلى جادّة الحق والعدل وطبعه بروح السعي والعمل، وتحفيزه على إطلاق المواهب وتفعيل القدرات، كإنسان صالح يقوم بعمارة الأرض وفق المنهج الراشد لاستخلاف الإنسان.

إفقارُ التحريم:

إن أسوأ منابع الإفقار في العالم الإسلامي هو التحريم الذي ما أنزل الله به من سلطان، فقد ساهم في إيقاف تدفّق شلاّلات الخير والطيبات ، وجفّف معظم منابع الجمال، وأحال الكثير من جداول البهجة والبهاء إلى مجاري

تعاني من جفاف العواطف وتَجهّم المناظر، ومن غلظة الطباع وقسوةالمشاعر، ومن تَجمّد الأحاسيس وضمور الذوقيات.

الوسطية :

الجمال هو فضيلةٌ بين رذيلتي الخشونة المُتصلّبة والرّفاهية المُتميعة، وكذا بين التجريد الخفي والتجسيم المُبتذل.

الأخلاق والجمال :

لا تَعارضَ ولا تناقض بين الأخلاق والجمال، فالأخلاق هي السّياج الذي يحرس الجمال من الآفات والقوارض، وهي الأنوار التي تمنحه سحراً ودلالاً وتزيده فتنةً وجلالاً.

نضارةُ الجمال :

إنّ مرونة الفكر ونضارة الجمال هما اللذان يمنعان الأشخاص والأفكار والأشياء من التقادم والتّعَرْجُن، ويَحُولان بينها وبين التقوْلُب والتّحوْصُل، ويَقيانهما من السقوط في هُوّة النمطية أو التجمّد في صعيد التقاليد.

جمالُ القرآن :

يُمثّل القرآن في مبناه لوحة جمالية بإجماع مُحبيه وشانئيه، وفي معانيه دعوات متنوعة للجمال، حيث أن إحدى مقاصده العظمى هي اكتشاف جمال الطبيعة وتسخيرها لتجميل الحياة.

وإن في كل مبادئه ومعاملاته وأخلاقه طُرُقاً لإرساء قيم إسعاد الإنسان، حيث يطالب المسلم بأن يكون جميلاً في مشاعره وشعائره، في مَسرّاته ومضرّاته،

في حلّه وترحاله، بل حتى في توجّعه وتألّمه، فصبْرُه على اللأْوَاء يجب أن يكون صبراً جميلاً، وصفْحُه عن الخاطئين ينبغي أن يكون جميلاً، وهجْرُه للخاطئين لابد أن يكون جميلاً.

وإذا استحالت الحياة مع زوجته وأراد تطليقها فينبغي أن يكون تسريحه لها تسريحاً جميلاً، وهكذا.

الشلاّل الذي لا ينضَب :

إذا كان المرء صاحب عقل يتفكّر وذا قلب يتبصّر فإنه سيجد نفسه وسط حُسْن باهر وجَمال أخّاذ، فحيثما يمّم وجهه سيجد لوحات جمال تُترعه بالدهشة، وتُدْهقه بمشاعر الانبهار، وتُسكره بخلائب الإتقان.

إنه جمال غير منقطع وغير متناهٍ، ذلك أن الأرض مصدرٌ للجمال الذي لا ينفد، والكون منهلٌ لشلاّلات الحُسْن الذي لا ينضب، إذ لا تَكفّ عن التدفّق، ولا تتوقف عن التوهّج، ولا تملّ من الإبهاج.

ليمونة:

لا تتوقّف شلّالاتُ الجمال الكوني عن الانْصباب، ومع ذلك لا يسمع هديرها المُتبلِّدون، ولا يرى جمالها من عَميتْ أعْيُنُ قلوبهم!

بورك المتفكرون



قُطوف الفكر ٣٤

أكْنانُ التّربية

التربية المحمدية:

لن ينجح المسلمون في مواجهة التّعهّد الشيطاني باحْتناك ذُرّية آدم إلا بالاحتكام إلى المنهج النبوي في تربية الأطفال، بما يتضمّنه من:

-رحمة سابغة
-حرية مسئولة
-صرامة ليِّنة
-قدوة جذابة
-مداعبة لطيفة
-متابعة متواصلة.
-استعانة بالتربية العملية أكثر من التلقين والوعظ.

مع الاستفادة من أساليب التربية الحديثة ووسائل التكنولوجيا المعاصرة إلى أقصى حد ممكن.

الإكْسير النبوي:

التربية المحمدية هي التِّرْياق الناجع في معالجة سموم الشيطان ومدافعة آفات الزمان، وهو الإكسير القادر على إحياء القلوب من رميم الموت، واستنقاذ العقول من رِمَم التخلف.

ذلك أن تربيته صلى الله عليه وسلم اجتمع لها الوحي الإلهي في القيم العامة والعبقرية البشرية التي تَجسّدت في شخصيته العظيمة، باعتراف عباقرة الدنيا وجهابذة الأمم الذين قرؤوا سيرته بوعي وتتبّعوا مسيرته بإنصاف.

المُربّي الأعظم:

تُقاس عظمة أي مربي بقدرته على أن يصير قدوة، وذلك بتَمَثُّله لما يدعو إليه وقوته في ضبط غرائزه وانفعالاته، وبما تركه من تراث عملي متصل بتربيته للعظماء، والْتفاف العباقرة حوله.

وبهذا المقياس يتقزّم عمالقة التربية الغربية، فقد كان كثيرون منهم فاشلين في تربية أولادهم، بل في السيطرة على أنفسهم حتى أن بعضهم مات منتحراً، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد ربّى الآلاف من عمالقة الأخلاق وحكماء التربية، والمئات من جهابذة الفكر وأساطين العلم، ومن عباقرة القيادة وأفْذاذ السياسة.

أكْنانُ التربية:

إن التربية التي لا تبني لأصحابها أكناناً تَقيهم من نيازك الأعداء، ولا تصنع لهم سَرابيل تَحميهم من حرَّ الثقافات وقَرِّها، لهي تربية مُعْتلّة، يجب أن يعاد فيها النظر لاكتشاف أوجُه الخلل، وينبغي إعادة قطارها من سِكّة الهَدْم إلى سكّة البناء.

المَخْمَصةُ الثقافية:

من أهم مقاصد الإسلام إطعام الناس من جوعٍ واشباعهم من مسغبة.



ومن ثم فإن المساعي المنضبطة بحدود الشرع لتوفير حاجات الجسم، لهي من العبادة التي يُؤجر عليها الإنسان.

هذا بالنسبة للقَوام المادي، أما القَوام الروحي في الإنسان فإنه يتطلب السعي من أجل إبطال المَسْغبة العقلية والمَخْمصة الثقافية، ودفْع الخَصاصة الفكرية والفاقة الروحية.

وذلك من خلال مداومة النظر في آيات الله والتفكّر في آلائه، ومتابعة القراءة في كل نافع من العلم والمعرفة أو مُمتع من الفن والأدب، بجانب إقامة الشعائر والمناسك والأذكار الموزعة على سائر الأوقات.

ومن أهم واجبات المؤسسات التربوية القضاء على هذه المخمصة الثقافية، وتَحْلية الطلاب بقِيم الفكر والنظر، وتسليحهم بمهارات القراءة والبحث، وتدريبهم على السير في الأرض والنظر في المَلَكوت.

ليمونة:

إذا لم تنجح التربية الإسلامية المعاصرة في بناء أكْنانٍ تستوعب أجيال الأمة؛ فإن القصف الفكري الذي يطال الأمة سيأتي عليها من البنيان!

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر ٣٥

كنانةُ الحياة

عصا الخِبْرة:

الخِبرةِ هي العصا التي يمنحنا الدهر إياها، لنتكئَ عليها في سيرنا الدنيوي، حتى لا نقع في حُفَرَ النوائب، ولا نترنّح أمام رياح الفتن، وحتى نَهُشّ بها على حقوقنا ومسئولياتنا!

رياضة السّنين:

قبل أن تقوم النوائب بترويض الإنسان وقبل أن تستأنسه الملمات، فإنه يكون شديد الحساسية نحو كرامته، يثور إذا ظنَّ بأن أحداً ينتقصه، وينتفض إذا حاول أحدٌ النَّيل من حريته.

ولأن الدهر وعاء النوائب والملمات، فإن الإنسان يَلين كلما تَقدّم به العمر، كما قال شاعرٌ قديم:

كانت قناتي لا تلين لغامزٍ
فألَانَها الإصباحُ والإمساءُ

لِينٌ وتصلّبٌ:

من عجائب الدهر أنه يجعل الإنسان يلين في مواقفه من الناس كلما تقدمَّ به السِّنّ مثلما تلين عظامه، لكن عقله يتصلّب على ما عرفه في زمنه من أفكار وما أَلِفَه من عوائد، حيث يميل إلى التوجّس من كل جديد، وربما رفضه بكل ما يملك من قوة.

سهامُ الحياة:

الخبرات تمنحك السِّهام التي تُقَارع بها الأعداء وتواجه بها الخُطوب، لكن بعض الناس بجهلهم يستخدمون هذه السهام ضد أنفسهم، وذلك كالأمثال الشعبية المخالفة لثوابت الإسلام وحقائق الحياة، والتي يقع العامة في شرَكها !

فقْرُ التجارب:

من افتقروا إلى التجارب ومن كانت عقولهم مشنّات لا تحتفظ بمياه الخبرة، فإنهم يكررون أخطاءهم ويَجْتَرّون خطاياهم!
ولذلك تجدهم يحسنون الظن بالذئاب، ويقتنون جِرَاواً من كلاب السوء، متوقعين أن تلد الفُهودُ غزلاناً.

لافته:

الحياة هي الكِنانة التي تمتلئ بسهام الخبرة، بشقيها الذاتي والخارجي.

دروس الأنعام:

)الإنعام) الرباني على المؤمن لا حدود له، حيث يمنحه سبحانه النباهة العقلية والحساسية القلبية اللتين تُمكِّنانه من الاستفادة من كل شيء، والاعتبار حتى من (الأنعام!(

ليمونة:

تمنحك التجاربُ (السِّهامَ) التي تحتاجها من (كِنانة الحياة)

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ٣٦

قِيَمٌ مَقْلُوبَة

المَرَحُ المُحرَّم :

المَرَح المُحرَّم هو الذي يوقظ في المرء وحْش الاعتداء على حرمات الآخرين؛ من خلال مخالب الاختيال والفخر، قال تعالى: {وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ} [لقمان: ١٨]

وهي المخالب الّتي تجعل المرء يتوهم أنّه قادرٌ على قهر الطبيعة فضلاً عن الانسان؛ ولهذا قال تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا}[الإسراء: ٣٧]

الاخْتيالُ الرَّائع :

لأن الاختيال يَحمل شبهة إذلال الآخرين، فإنَّ الإسلام حرَّمه تحريما واضحاً، غير أنَّه يصبح شديد الرَّوعة عندما يُروِّعُ أعداء الله المعتدين، ولذلك روي أنّ الرسول صلى الله عليه وسلم رأى صاحبه أبا دجانة قد ربط عصابته الحمراء على رأسه في معركة أحُد، وكان يَخْتال في مشيته، فقال: "إنّ هذه مِشْيةٌ يُبغضها الله في غير هذا الموطن"، ذلك أنه كان يختال في مواجهة جيش العد المعتدي!

إسفار الأسرار:

الأسرار أمانةٌ يجب أن تُسْدَل عليها أسْتار الكتمان، ولكن المصلحة تجيز أحياناً إفشاء بعض الأسرار، بل قد يصل إلى حدّ الوجوب، كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "المجالس بالأمانة إلاَّ ثلاثة: سفْك دمٍ حرامٍ، وفرجٍ حرامٍ، واقتطاعُ مالٍ بغير حق "؛ ومن ثم فإنَّ الفاسدين يجب هتْك أستارهم، وفضح أسرارهم، وإلا عمّت الفتنة وطمّت!

الفَرحُ الواجِب:

من حقِّ الانسان أن يفرح بـ(الهَدايا) غير أنَّ من واجبه الفرح أكثر بـ(الهِداية)؛ ذلك أنها أنفَسُ هدية يُؤجر عليها الهادي والمهتدي!

وهديَّة السَّماء للأرض هي القرآن الكريم، فإن هذه الـ(هَديَّة) هي مظروف الـ(هِدَاية) الَّتي ينبغي الفرح بها، كما قال تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ. قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}[يونس: ٥٧ –٥٨]

عبَادةُ الاكْفِهْرار:

كما أنّ التَّبسم في وجوه الطيبين صدقةٌ يُؤجر عليها المؤمن، فإنَّ تقطيب الجبين واكْفِهرار الوجه، وإن اشمئزاز الجسم لهو عبادة تستحق الأجر، إذا كان صاحبها يوظِّفها ضمن منظُومة إنكار المُوبقات والفواحش، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "جاهِدوا المنافقين بأيديكم، فإن لم تستطيعوا إلا أن تَكْفهِرّوا في وجوههم فاكْفهرّوا."

انْقلابٌ خطير :

من أشدِّ غرائب المثقفين الّتي ساعدت في وقوع كثيرٍ من الانقلابات في حياتنا المُثْقَلة بالتَّخلف، أن تجد أعداداً ممن فشلوا في مضمار إصلاح الذَّوات يجتهدون في إصلاح الآخرين، وتجد من أخفقوا في تربية الأبناء وبناء الإنسان يحاولون توجيه الحُكَّام وبناء الأوطان !

ليمونة:

إنَّ (الكمال) الذي يتم بلوغه هو البوَّابة المُشْرَعةُ نحو (النَّقْص!)

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٣٧

زَوابِعُ الرُّوح

سعادةُ العيش:

ما أسعد الإنسان عندما يستمتع بطاعة الله، وعندما يجد بهجته في العيش تحت أفياء التقوى!

إنه حينئذٍ يتلذّذ بالحضور في مقامات الواجبات مُؤدِّيًا وفي مقامات المحرمات مُنتهياً، ويسارع في الخيرات ويسابق إلى الطاعات، ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

في هذه الحالة يضمن الإنسان هناءة العيش الدّنيوي والفوز الأخروي، ولا يتحقق ذلك إلا بالدِّين الواصِب والإيمان اللاّزب !

ضنْكُ الحياة :

خلق الله جسم الإنسان من تراب الأرض وروح السماء، وجعل زاد الجسم من الأرض وزاد الروح من السماء، وما لم يتزود الإنسان من صاحب النفخة الروحية، فإنه سيعيش حياة الضّنْك بكل ما فيها من قلق واضطراب ومن مخاوف قهرية وأمراض نفسية، وبما فيها من تسقّل غرائزي لا يزيدها الإشباع إلا جوعاً.

وحْشُ القلَق :

إن الخواء الروحي الذي تعاني منه المجتمعات الغربية، يجعلها تعيش على جَمْر القلق ولهيب المخاوف، وتستكين تحت سياط الأسئلة التي لا تجد لها إجابات شافية، وتُبقيه في قفار الألغاز والأحاجي المرتبطة بعالم الغيب.

ومع طول المدى وتَقَدّم العمر يستحيل القلق إلى وحش يفترس القلوب، وينهش العقول، ويمزق الأكباد؛ فيفر الناس منه إما إلى مزيد من الانهماك في الأعمال

والانخراط في المشاغل، وإما إلى المُسكرات والمخدرات والمُسكِّنات، وإما إلى الجنون والأمراض النفسية والانتحارات !

الفرارُ من وحش القلق :

تخيّلوا معي حجم المعاناة التي يعاني منها من يعتقدون أن قتل النفس وإعدام الذات بكل ما لهما من رهبة وما فيهما من آلام، هو الخلاص وهو الدواء، فما هي آلام الداء الذي دفعهم للاستجارة بالموت والتداوي بالانتحار؟!

وتزداد المعاناة وضوحاً عندما نعلم أن هؤلاء جعلوا كل همهم وغاية رغبتهم ومبلغ علمهم هو تحصيل سعادة الدنيا، فما الذي أحال سعادتها إلى شقاء ؟!

وما الذي دهاهم لكي يتخلصوا من أنفسهم بهذه الطرق المُروِّعة ؟ !

لا شكّ أن الخَطْب عظيم والداهية دهْماء!

وهذا يؤكد أنّ الروح بالغة الأهمية في تحصيل سعادة الإنسان !

ذئابُ النفوس :

من يصابون بضَنَى الروح وضنْك العيش، لا يتلذذون بالمنح المادية إلى حد الإشباع، فإن شقاء الروح يوهمهم بأن ضنكهم ناتج عن عدم الإشباع المكافئ؛ ولذلك يطلقون العنان للغرائز، وتنطلق نفوسهم كأنها ذئاب ضارية، وكلما زاد إشباع الشهوات زاد جوع الغرائز وازداد لهيب النوازع، لتزداد الروح جوعاً وأنيناً .

وهذا ما يفسر ازدياد مشاعر الشقاء ومعاناة المرضى، وازدياد أعداد المنتحرين في المجتمعات المادية التي تتمتع بقدر أكبر من الرفاهية والتخمة المادية، والأرقام في الدول الغربية تُصدِّق ذلك.

سُعار الجسم وسُعال الروح :

لقد ثبت أن زيادة (سُعار) الجسم يزيد من (سُعال) الروح، مما يوصل المرء إلى حالة من الضيق الحرج، كأنما هو يصَّعد في السَّماء، ولذلك يلجأ إلى الموت الذي يُعتبر رحيماً، بجانب ما يلقى من ضنْك وضنَى، وما يلاقيه من اضطرابٍ واختناق !

قلَقان :

تشهد الحضارة الغربية قلقين، أحدهما يرتقي بها إلى سوامق الاكتشاف والتقدم وهو القلق العقلي، وآخرها يهبط بها نحو دركات التَّسفل ويهوي بها نحو أعماق التكسُّر ولُجَج الانسحاق، وهو القلق الروحي.

ليمونة:

عندما تُحرَم الروح من أزوادها فإنها تنتقم من صاحبها، حيث تُطْلق ضده زوابع القلق والضيق؛ فتُسَوِّد حياته وتجعل معيشته ضنْكَى.

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ٣٨

مَناهلُ المَواعيد

احترامُ المواعيد:

إذا رأيت مسلماً يؤدي الصلوات الخمس في أوقاتها سنين عدداً، ثم لا تجده يحترم مواعيده مع الناس، فاعلم أنه لم يستفد من صلاته شيئاً، وأنه كان يقيم مبانيها دون معانيها، حيث يحضر بجسمه وحواسه دون لُبِّه وقلْبه، ومن ثم لم يأخذ منها زاد التقوى الذي يَحضّه على احترام كل ما له صلة بحقوق الناس.

علاقة:

الصلاة الحية هي التي يمتزج فيه العقل الواعي بالقلب الخاشع، وفيها نجد أن (التزام المواقيت) بوعي يؤدي إلى (احترام المواعيد) بصرامة!

دروس الأذان:

يُعلّمنا أذان الصلاة درساً بالغاً في أهمية الإعلام، فالأذان في اللغة يأتي بمعنى الإعلام، ولهذا صار إعلاماً بدخول وقت الصلاة.

والدرس الأهم ان وسائل الإعلام الإسلامية ينبغي ان لا تَنفكّ عن مضامين الرسالة ومقاصد الشريعة الموجودة في صيغة الأذان وهي:

-إفراد الله بالألوهية فهو أكبر كبير، والإقرار برسالة محمد الخاتمة فهو أعظم عظيم.

-إيتاء الزكاة فهي قاعدة لحقوق الإنسان عامة في سائر مجالات الحياة.

-تحصيل كل فلاح في هذه الحياة، ويتمثل في دفْع المفاسد وتحصيل المصالح.

-تكبير الله وإبقاء كل شيء دونه تعالى، سواء كان شخصاً أو شهوة، فكرة أو ظاهرة، ليصبح الكون كله محراباً لعبادة الله ولسباحة المؤمن في ملكوت الله الواسع.

الوعد العربي:

رغم تخلف العرب الجاهليين، فقد كانوا ذوي أخلاق رفيعة، كالصدق والأمانة والوفاء والكرم والحمية ونصرة المظلوم.

ومن أخلاقهم المعروفة احترام المواعيد إلى حد التقديس، ولأن خلف الوعد جريمة كبيرة في ثقافتهم، فقد شهَّروا بواحد منهم يدعى عرقوب، عندما وعد أخاه بأن يعطيه طَلْع نخلة له، لكنه ظل يُماطله ثم لم يُعطه شيئاً بل قطع النخلة بعد ان أثمرت، وأصبح عنواناً للخَلْف والحَنْث، حيث اشتهر المثل القائل" :مواعيد عرقوب!"

وظل المثل يتردد في نثر العرب وشعرهم منذ قرون طويلة، ومن ذلك قول الأعشى:

وعدتَ وكان الخُلفُ منك سجيةً

مواعيد عُرقوب أخاه بيثربِ!

مُثلَّثُ الحضارة:

الوقت هو أحد اضلاع مُثلَّث الحضارة كما يرى مالك بن نبي، وهو العنصر الأبرز في إدراك مدى تَحضّر مجتمع أو تَخلّفه، فمن لم يحترم مواعيده لا يعرف قيمة الوقت، فكيف سيتحضَّر وهو يُهدر وقته؟

ومن لا يحترم مواعيده لا يحترم الآخرين، ولا تقوم أي حضارة بدون احترام الناس لبعضهم، مما يؤدي بهم إلى التآلف القلبي والتعاون العملي.

وقد عَدَّ الرسول صلى اللّٰه عليه وسلم خالف الوعد ثُلْث منافق، والحضارة لابد لها من إسمنت مسلح وهو الأخلاق.

ولهذا كانت إحدى ثمار الشعائر التعبدية تدريب المسلم على احترام المواعيد.

تداني التباعد:

أكثر الأقارب تدانياً في القلوب هم الأكثر تباعداً في الديار، فإن التجاور يتسبب بالتجاوز، مما يُولِّد الاحتكاك ويخلق التنافس، بينما يؤدي التباعد إلى انبعاث الأشواق واضطرام العواطف، ولذلك جاء في الحديث الشريف" :زُرْ غِباً تَزددْ حُباً!"

ليمونة:

من يَخْرمون مواقيتهم مع الخالق أحْرى بأن لا يحترموا مواعيدهم مع الخَلْق!

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ٣٩

أستارُ الكمال

ستارُ الحُرُمات:

المرأة هي جَمال الحياة وفتنتُها الخلاّبة، وهي تُحفة الله المذهلة وكائنها اللطيف، ولذلك حماها اللّه تعالى من العيون الخبيثة والنظرات الزائغة، ومن النفوس الأمَّارة بالسوء ومن القلوب الطمَّاعة بالفجور.

لقد حماها الله بالحجاب الشرعي الذي يصون جمالها، ويصرف عيون السوء عن أنوثتها، ويصدُّ سهام إبليس عن حِماها، فيَفُلُّ طعْنَها ويقطع طمعها، ويَردّها خاسئةً حسيرة، تجرُّ أذيال الخيبة ومشاعر العار!

الحِصنُ السّاتر:

بدأ الله الخليقة بآدم ثم شقَّ حواء من جَنْبه، فكأنه عرَّاه بهذا الشَّق، وكشفَ طباعه وقلقه وشهوته، وحاجته إلى أنثى تؤنسه ويؤنسها، تستره ويسترها، تمنحه اللذة والطمأنينة والخدمة ويمنحها، فيتماثلان في الأصل والكرامة وفي الحقوق والواجبات العامة، ويتكاملان في الأدوار والوظائف كما المواهب والمشاعر.

وفي كل زمان ومكان سيظل شطْرَا (النّفسِ الإنسانية) عاريين ما لم يَستترا بالزّواج، ولذلك قال القرآن الكريم: {هُنَّ لباسٌ لكم وأنتم لباسٌ لهُن}، وسيظلان غريبين حتى يجتمعا، وشقِيَّين حتى يلتحما، وناقصَين حتى يكتملا.

والزواج هو الحصن من سهام الشهوة وطمع النفس الترابية، وهو الأمان من الشيطان الرجيم، والملاذ من مشاعر الغربة والقلق، والدواء من آلام الشّق وأوجاع الانفصال.

ستّارُ النّواقص:

نتيجة طبيعة خلقة الإنسان واشتراك التراب فيه، ولطبيعة الابتلاء الذي خُلقَ من أجله الإنسان، فإنه مليء بالنواقص والثغرات والعيوب.

غير أن من يملك المال ويملك معه النفس السخية والكرم السابغ، فإنه قد امتلك ستاراً لعيوبه ونواقصه، فمن كانت (يده طويلة) بالنّوال للناس لم ينظروا إلى (قصر قامته) ودمامة خِلْقته أو تواضع ذكائه وقلة حيلته.

ويمكن القول إن قوة السِّتار المالي هو من جعل الأسخياء سادة الدنيا.

ستائر الطبائع:

لكل إنسان نصيبه من الطبائع الحسنة والسيئة، غير أن هناك ستارة جميلة لمن أراد ان يحجب عيوبه وطبائعه السيئة عن الناس، وهو الأدب، أي اصطحاب الذوقيات واللطائف التي تخلب ألباب الناس وتسحر أعينهم، فتمنعها من رؤية العيوب.

ومن أهم ستائر الطبائع السيئة الصمت، فإنه زينة وافية وجمال باهر، أما الكلام فيعكس ما يجول في الخواطر ويعشعش في الجوانح من مشاعر وانفعالات كيفما كانت، ولهذا فإن كثرة الكلام مدعاة لكثرة الخطأ وسفور المعايب وانبعاث الطبائع المطمورة.

ولا ريب أن صاحب اللغة الأدبية المُحلِّقة في سماء الفصاحة يأسر القلوب ويسدل ستارة الانبهار على أعين الناس فلا يرون عيوبه، ولهذا قال صلى اللّٰه عليه وسلم: "وإن من البيان لسحراً"

الدِّرعُ السّاتر:

وعلى مستوى المجتمعات فإن الجهاد هو الذي يستر عوراته ويُؤمِّن روعاته، ويَسدّ ثغوره الداخلية بالعمل والإحسان وإتقان البناء، ويحمي ثغوره الخارجية بالحراسة والحماية، وذلك بشقيه: الناعم، وهو الأعم والأعرض، والخشن الذي يحمل السلاح ويتوسل بالعنف لتحصينِ المجتمع من سيوف التربص الداخلي وسهام الاعتداء الخارجي.

ستار التقوى:

لقد ألهم الله النفس الإنسانية فجورها وتقواها، نتيجة آثار الخَلْق الطيني والنفخة الروحية.

والتقوى هي الحصن الذي منحه الله للإنسان لكي يحتمي به من آثار الفجور الترابي، وليتدَرّع به من سهام الذنوب وسيوف الخطايا؛ إذ العدل يستر الظلم، والكرم يستر الشّحّ، والأمانة تستر الخيانة، والشجاعة تستر الجبن، والحلم يستر الغضب، والإيثار يستر الأثرة.

وهكذا فإن سائر قيم التقوى تمثل ستائر من سائر مفردات الفجور.

ليمونة:

يستطيع المرء أن يحتمي من (عُرْي الرذائل) الترابية بإسدال (ستائر الفضائل) الروحية!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٤٠

مُروجُ الإنسانية

شرط الإنسانية:

لا يكون الآدميُّ إنساناً حتى يتعامل مع كل أحد كأنه هو، فيوصل إليه ما يحب أن يصل إليه هو، ويكُفّ عنه ما يحب أن يُكَفَّ عنه!

قيمة الإنسانية:

إن الإنسانية قيمة كاملة لا يجوز انتقاصها، فلا يمكن أن تطلب من الناس أن يعاملوك كإنسان ثم لا تعاملهم أنت كذلك، ولذا فأحِبْ لهم ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسك!

سؤال:

لو أننا لم نعتمد في خانة الإنسانية إلا من يتعامل مع الآخر كأنه هو، فكم سيكون عدد الإنسانيين ياترى من بين سبعة مليار آدمي ؟!

ضمانة الإيمان:

الإيمان هو المعراج القوي الذي يسمو بالمرء إلى سماوات الإنسانية الوضيئة وآفاقها الرحبة، ويوصله إلى قممها الشماء، رافعاً إياه من أخاديد البشرية السحيقة، حيث شوائب التراب وأدران الطين.

من الأعماق إلى الآفاق:

لا يمكن أن يرتفع المرء من أعماق البشرية الموغلة في الانحطاط، إلى آفاق الإنسانية البالغة شواهق الرِّفعة وقمَمَ السّمُوّ إلا عبر معراج الإيمان الحي الذي يبسق بزاد التقوى ويسمق بالمعرفة، ويطير بجناحي العلم والإخلاص.

امتزاجُ البشري والإنساني:

اقتضت مشيئة الله أن يكون الآدمي مزيجاً من البشري الآتي من قبضة التراب، ومن الإنساني الناتج عن نفخة الروح، حيث تُذكي غرائزُ الجسم طاقاتِ الروح، وتتولّى مَلكات الروح إشعال خصائص المادة والسمو بغرائز الجسم إلى عوالم العفّة والحق والعطاء.

فرق:

من أهم الفروق بين الإنساني والبشري أن الإنساني كريم على الله، ومن باب أولى على مخلوقات الله، ومن ثم فإن الدنيا تخدمه لأنه هو الغاية، أما البَشريّ فهو يجعل الدنيا غاية ومن ثم يصير وسيلة رخيصة لخدمة الدنيا، التي ستظل تتمنّع وتَتسيّد حتى تصبح معبودة للبشري الذي جذبته غرائز التراب وآثار الطين!

ابتلاء التّسامي والتسفّل:

بسبب التركيبة المزدوجة للآدمي من تراب الأرض وروح السماء؛ جاءت قصة الابتلاء في هذه الحياة، فإما أن ينحطّ مع تراب الأرض إلى أن يسقط في لُجّات الجحيم، وإما أن يتزكّى ويترقّى مع نفخة الروح إلى أن يبلغ فراديس السماء!

تناسب:

تتناسب فراديس السماء الرفيعة مع سموّ الروح وتحليقها في أعالي القيم النبيلة والمُثُل السامية، وتتناسب لُجج الجحيم مع انحطاط التراب وسقوط الطين وتسفُل النفس الأمّارة بالسوء والتي تؤثِّر على الغرائز وتجعلها تتسفل وتتدنّى ما لم يكن لها عاصم من الله، عبر جوانح القلب الإيماني وأجنحة الروح الربانية.

مَلَكات مزدوجة:

يمتلك الإنسان قدرات مزدوجة الاتجاه، إذ تستطيع أن تُبلغه علّيين أو تَحُطّ به في أسفل سافلين، حيث يمكن أن يرتفع به (إنسانُهُ) فوق درجة الملائكية، ويمكن أن تتسفل به (بشريته) إلى أدنى من دركة الحيوانية!

خارطة (الإنسان الكامل):

ظل (الإنسان الكامل) مثالاً للفلاسفة والمفكرين، وغايةً لرموز الروحانية والتصوف في كل الديانات والحضارات.

ولكون الإسلام أكمل الأديان وخاتم الرسالات، فقد جاء بخارطة الوصول إلى (الإنسان الكامل) الذي يتبوأ مقامات السُّموق الروحي دون أن يتمرد على بشريته ويصطدم بغرائزه، وذلك بتغذية مبنى الإنسان ومعناه بطريقة متوازنة.

ليمونة:

يتوزّع العقل بين المبنى الشّبَحي والمعنى الرّوحي، ولذلك فإن العناية به هي أساسُ تكوين (الإنسان الكامل)!

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ٤١

غَوائِلُ الْغَفْلَةِ

الغَفْلَةُ عَن الله :

من نسي الله نسيه، ومن غفل عن الله غفل عنه، وعندها تستيقظ نفسه الأمّارة وتتمرّد غرائزه، ويشتد عود شياطين الإنس فلا يزيدونه إلا رهقاً، ويصير إبليس له عضداً !

عِمَارةُ الغَفْلَة :

ما يزالُ المرء غافلاً عن الله حتى يصير مغفَّلاً (بتشديد الفاء)، ثم يتأصَّل هذا الداء فيه ويصير سجيَّةً له، لينقله إلى غيره حتى يصير مُغَفِّلاً (بتشديد وكسر الفاء !)

الفِكْر والذِّكْر :

حتى لا يَسقُط المْسلم في براثن الغَفلة وتصيبه آفة النِّسيان، ربطه الإسلام بمنظومة من الحمايات المركزة، ويمكن تلخيص أهمها في كلمتين وهما: الذِّكر والفكر.

الذكر الّذي يملأ القلب بجلال الله عزّ وجلّ والفكر الَّذي يُترع العقل بكمال الله سبحانه وتعالى.

النَّفاذ من مداخل الغفلة :

لا يستطيع الشيطان أن يتسلل إلى قلب الإنسان ومجاري الدَّم فيه، إلا عندما ينسى الله ويغفل عنه على المستويين العقلي والقلبي، ولا تستطيع أهواء النفس

أن تَتَسَلَّل إلى مكامن التَّوجيه والأمر وتَتَلَفَّع بأردية التفكير والبحث عن المصلحة إلا عندما ينسى الإنسان نفسه، ويغفل عن مراقبتها بصرامة، وينسى أنَّها أعدى أعدائه.

الْغَفلة أفيون الشَّخصيَّة:

الغفلة هي الخَدَر الذي يسري في أوصال جهاز المناعة، والنَّوم الَّذي يُثقل جوارح المراقبة؛ نتيجة ضعف زاد اليقضة وهو ذكر الله والتفكير بآلائه ونعمه في هذا الكون والمستوجب للشكر والحمد.

إنَّ الغفلة هي أفيون الشخصية الَّتي تجعل العقل يغيب عن الوعي، ويتعلق القلب بما يبعده عن الله، ويجعله مطيَّةً للشيطان ولقمة سائغة للنَّفس الأمَّارة بالسُّوء !

غَفْلةُ الصَّالحين :

الغفلة وباءٌ يصيب أصحاب القابليَّة لها ممن ضَعُفَت أجهزة حساسيتهم الإيمانية، حتى ولو كانوا صالحين! فإنَّ الغفلة ماكرة حيث تتخفّى حتى تقتحم على الصالحين عالمهم الدَّاخلي؛ من خلال مداخل خفية ودسائس ماكرة، يغلب فيها تَخفُّف الصالحين من الحذر، وتَحلّلهم من المحاذير، وتفلُّتهم من قيود الاحتراز؛ نتيجة حُسن الظَّن بأنفسهم وحسن الظن بالآخرين، وعدم إدراكهم لخطورة النَّفس وجهلهم بمداخل الشيطان.

الانْشغال بالغنائم :

عندما ينزلُ حُرَّاس الرَّقَابَة من (جبل الوحدانية) لجمع (غنائم الدُّنيا)، فإن أعداء الإيمان يشنُّون الغارة من حيث لا يحتسب المسلمون، لاسيما عندما يكون المسلم في حالة ارتخاء؛ نتيجة نعاس الغفلة وخدَر النِّسيان.

بوّابة الأمْنِ منَ المَكْر :

إنَّ أهَمّ بوّابة يدلف من خلالها الآمن من مكر الله، هي بوّابة الغفلة التي تجعل الإيمان الفردي متثائباً ثقيلاً، ينشغل بجزئيات ويركن على أمانيه، ويتحرك في إطار منظومة غروره؛ مما يُوقعه في هاوية الأمن من مكر الله !

ليمونة:

الغفلة من أخطر وأمكر مداخل الشيطان!

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر ٤٢

مآثرُ العلم

تبايُن:

تُشعر العلوم (الكاملة) الإنسان (بنقصه)، بينما يعتقد صاحب العلم (الناقص) أنه قد وصل إلى منتهى (الكمال!)

وبهذا قضت مشيئة الله المودعة في سُننه؛ حتى يظل المرء يعتلي سُلَّم العلم، ولا يسقط في حفرة ادعاء الكمال أو يضيع في متاهة التّوَهُّم أنه صار عالماً .

كشوفات العلم:

كلما تقدمت العلوم اكتشفت المزيد من أسرار الخلْق وعجائب الوجود، وبقدر ما تكتشف من مساحات في عالم الشهادة فإنها تقترب أكثر من معرفة واجب الوجود، وتطوي مراحل في فهم عوالم الغيب والإيمان بكائناته.

يتم ذلك من خلال إدراك الإحكام الشديد في خلْق آيات الأنفس والآفاق، ومعرفة دقائق الصنائع الدالة على الصانع الحكيم.

خشية العلماء:

يصل العلماء إلى ذُرى الخشية وإلى شُرفات الانبهار والاندهاش؛ نتيجة السياحة العقلية في آفاق الكون والسباحة الفكرية في أغوارالكائن الإنساني.

ويتمكّن العلماء من رؤية عجائب الصنع ودقائق الخَلق، ويُدركون معالم الإتقان ودلائل الإحكام، مما يفتح أمام بصائرهم طرق الوصول إلى صفات الله العليا وأسمائه الحسنى.

إعجاز العلم:

لقدرة الله الخارقة ضياءٌ مُبهر غير أن العميان لا يرونها، ولها أصواتٌ تخترق الحُجُب ولكن الصُمَّ لا يسمعونها، ولها نظام متقن الصنع ولكن أنّى للمجانين أن يلحظوها ؟!

وبجانب ذلك فإن العلماء يرون بجلاء مشاهد الجمال والجلال، ويسمعون بدقّة أصوات العناية والهداية، ويكتشفون بذكاءٍ حِكَم الخالق وأسرار الخَلْق، فلِمَ لا يرفع الله الذين أوتوا العلم درجات؟!

مصادمة السُّنَن:

يصطدم بسُنن الله من يواجهون العلم بالجهل والحكمة بالحمق والوحدة بالتفرق، ومن يقاومون الشورى بالاستبداد والعدل بالظلم والتخطيط بالارتجال، ومن يحاربون الدهاء بالطيش والذكاء بالبلادة والعمل بالكسل والمثابرة بالتواني!

اكتشاف الوحدة والوحدانية:

كلما تَبحّر العالِم في قراءة مشاهد الكون، واكتشاف مابين الآيات من روابط وما بين الكائنات من قوانين؛ أدرك ان الكون كله لوحه واحدة، شديدة التكامل والانسجام، وبالغة الجمال والجلال، وهذا برهانٌ من براهين وحدانية الله، إذ الكون الواحد يدل على إله واحد.

التدبّر سبيل الاتحاد:

ما ينطبق على الكتاب المنظور ينطبق على الكتاب المسطور، ومثلما كان التفكير في كتاب الكون طريقاً مستقيماً نحو وحدانية الله؛ فإن تَدبّر الكتاب الكريم يوصل إلى ذات المقصد، ولذلك قال تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً}.

العلماء أوتاد الأمة:

بجانب تقرير التدبر لوحدانية الله فإنه يحقق وحدة المسلمين، ولهذا دعا القرآن إلى الاعتصام بحبل الله المتين، ومن لم يتدبر القرآن فلن يعتصم به!

ولما كان العلماء هم الأكثر دراية بالقرآن الكريم؛ نتيجة أنهم الأشد حرصاً على تدبره، فإنهم من أهم أوتاد الأمة ومن أقوى دعائم وحدتها، حيث أن

علمهم يعصمهم من أن تتفرق بهم السُّبل وتتيه بهم الأهواء، أو تجتالهم الشياطين وتجتذبهم العصبيات.

ليمونة:

أشدّ الناس غباءً وحماقةً من يُواجهون المَنايا بالأماني ويُقيمون المعازف مقام المعارف!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٤٣

مآثرُ العلم

تبايُن:

تُشعر العلوم (الكاملة) الإنسان (بنقصه)، بينما يعتقد صاحب العلم (الناقص) أنه قد وصل إلى منتهى (الكمال)!

وبهذا قضت مشيئة الله المودعة في سُننه؛ حتى يظل المرء يعتلي سُلَّم العلم، ولا يسقط في حفرة ادعاء الكمال أو يضيع في متاهة التّوَهُّم أنه صار عالماً

كشوفات العلم:

كلما تقدمت العلوم اكتشفت المزيد من أسرار الخلْق وعجائب الوجود، وبقدر ما تكتشف من مساحات في عالم الشهادة فإنها تقترب أكثر من معرفة واجب الوجود، وتطوي مراحل في فهم عوالم الغيب والإيمان بكائناته.

يتم ذلك من خلال إدراك الإحكام الشديد في خلْق آيات الأنفس والآفاق، ومعرفة دقائق الصنائع الدالة على الصانع الحكيم.

خشية العلماء:

يصل العلماء إلى ذُرى الخشية وإلى شُرفات الانبهار والاندهاش؛ نتيجة السياحة العقلية في آفاق الكون والسباحة الفكرية في أغوارالكائن الإنساني.

ويتمكّن العلماء من رؤية عجائب الصنع ودقائق الخَلق، ويُدركون معالم الإتقان ودلائل الإحكام، مما يفتح أمام بصائرهم طرق الوصول إلى صفات الله العليا وأسمائه الحسنى.

إعجاز العلم:

لقدرة الله الخارقة ضياءٌ مُبهر غير أن العميان لا يرونها، ولها أصواتٌ تخترق الحُجُب ولكن الصُمَّ لا يسمعونها، ولها نظام متقن الصنع ولكن أنّى للمجانين أن يلحظوها ؟!

وبجانب ذلك فإن العلماء يرون بجلاء مشاهد الجمال والجلال، ويسمعون بدقّة أصوات العناية والهداية، ويكتشفون بذكاءٍ حِكَم الخالق وأسرار الخَلْق، فلِمَ لا يرفع الله الذين أوتوا العلم درجات؟!

مصادمة السُّنَن:

يصطدم بسُنن الله من يواجهون العلم بالجهل والحكمة بالحمق والوحدة بالتفرق، ومن يقاومون الشورى بالاستبداد والعدل بالظلم والتخطيط بالارتجال، ومن يحاربون الدهاء بالطيش والذكاء بالبلادة والعمل بالكسل والمثابرة بالتواني!

اكتشاف الوحدة والوحدانية:

كلما تَبحّر العالِم في قراءة مشاهد الكون، واكتشاف مابين الآيات من روابط وما بين الكائنات من قوانين؛ أدرك ان الكون كله لوحه واحدة، شديدة التكامل والانسجام، وبالغة الجمال والجلال، وهذا برهانٌ من براهين وحدانية الله، إذ الكون الواحد يدل على إله واحد.

🍅التدبّر سبيل الاتحاد:

ما ينطبق على الكتاب المنظور ينطبق على الكتاب المسطور، ومثلما كان التفكير في كتاب الكون طريقاً مستقيماً نحو وحدانية الله؛ فإن تَدبّر الكتاب الكريم يوصل إلى ذات المقصد، ولذلك قال تعالى: {أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً.}

🍒العلماء أوتاد الأمة:

بجانب تقرير التدبر لوحدانية الله فإنه يحقق وحدة المسلمين، ولهذا دعا القرآن إلى الاعتصام بحبل الله المتين، ومن لم يتدبر القرآن فلن يعتصم به!

ولما كان العلماء هم الأكثر دراية بالقرآن الكريم؛ نتيجة أنهم الأشد حرصاً على تدبره، فإنهم من أهم أوتاد الأمة ومن أقوى دعائم وحدتها، حيث أن علمهم يعصمهم من أن تتفرق بهم السُّبل وتتيه بهم الأهواء، أو تجتالهم الشياطين وتجتذبهم العصبيات.

🍋ليمونة:

أشدّ الناس غباءً وحماقةً من يُواجهون المَنايا بالأماني ويُقيمون المعازف مقام المعارف!

💠بورك المتفكرون💠

قُطوفُ الفكر ٤٤

بَدائِعُ الدُّمُوع

دُمُوعُ النَّدَم :

عندما تَجفُّ المآقي وتمتنع الأعيُنُ عن الهطول من خشية الله، مع بقاء أصل الخيرية في الإنسان؛ فإن الله يرسل إليه أدخنة الفتن وأتْربة المِحَن، حتى تستفز ماء عينه ليسيل على وجنتيه، فيغسل تقصيره ويَجرف ذنوبه، وليندم على قسوة قلبه نتيجة ما فرّط في جنب الله !

الأعْيُنُ نوافذُ القُلوب :

الأعينُ هي النَّافذة التي تُطل من خلالها القلوب على الخارج، وهي الموضّحة لحالتها الصحية، كاشفةً عن رقّتها أو قسوتها .

فعندما (تَرِقّ) القلوب رغبةً بوعد الله ورهبةً من وعيده، فإنَّ الأعين (تترقرق) من روعة الحب لجماله ومن لوعة الخوف من جلاله !

وعندما تقسو الأفئدة ولا تفيض حباً لله ولا رحمةً بخلقه، فإنَّ الأعين تتجمّد، فلا تسيل عندها دموع الفرح أو التَّرح، إذ أنَّ تَغَلُّف القلب يتسبب في تَبَلُّد الإحساس !

شَلاَّل السَّماء :

الإيمان شَلاَّل ربَّاني يتدفق من سقف السَّماء ويتصبَّبُ على الإنسان من علياء العطاء، فيطهره من أوضار التُّراب وينقيه من أوشاب الطِّين، ويَمنَحُه

التَّجدد والطَّراوة، ولتتفجَّر منابع الخير الكامنة فيه نتيجة النفخة الُّروحية الأولى .

وعلى قدر تدفُّق شلاَّل الإيمان تكون طهارة القلب وطراوته، وشفافيَّة الرُّوح وتوهُّجُها، وتجدُّد الفؤاد وليونته، حيث يسيل رحمةً وشفقةً على الخلق.

وتَتَصبَّبُ هذه الرَّحمة من سائر الجوارح ومنها جارحة العين الَّتي تترقرق رقّةً وعذوبة، حيث تتحدَّر دُموع الْحزن على أوجاع النَّاس وآلامهم، وتفيضُ دموع السُّرور بأفراحهم !

أَبْصارُ الْبَصائِرِ :

بين البصائر والأبصار علاقة متينة في المبنى اللغوي والمعنى الوظيفي .

ولذلك فإن الأبصار آلة البصائر في حالتي الإدخال والإخراج، حيث تنتقل إليها آيات الأنفس والآفاق فتتفكّر وتتبصّر، ثم تنقل منها مشاعر الرحمة وأحاسيس الشفقة، بل وتأخذ عنها سوائل الرِّقّة وعواطف الحُبّ فتفيض بها المآقي دموعاً سخينة، شاهدة على

ما يجيش في القلب وما يعتمل

في الفؤاد.

مُلُوحَة الأحْزان :

إنَّ الدُّموع ذات طعم مالح، لأنَّها تَغسلُ القلب من أمْلاحِ الأحزان، وتُطهِّره من شوائب الأسى، وتُنقِّيه من أدْران الأكدار.

ولهذا فإنَّ الإنسان بعدما يبكي يشعر بالراحة والطمأنينة، وبذلك ندرك أنَّ من الشَّقاوة جُمود العين ! ومن ذلك قول الشاعر ذي الرمة :



لَعلَّ انحدار الدَّمع يعقُبُ راحةً من الوجد أو يُشْفي شجى الْبَلابل !

دُموع الْعار وعارُ الدُّموع :

من العوائد الَّتي سار عليها كثير من النَّاس تَغْييب الْبُكاء عند الأرزاء والرّزايا بالنِّسبة للرِّجال، حيث أن بعض المجتمعات تجعله عاراً لدرجة أنَّ المرء يشعر بلَفْحة العيب عندما تسيل دموعه على خدّيه حتى ولو كان بمفرده!

إنها صورةٌ من صُوَر مجافاة الفطرة، ومفردةٌ من مفردات الابتعاد عن الشرع لصالح الالتصاق بالعادات والتقاليد، مما أورث الرِّجال الكثير من صور الخبال !

ألا ترون أنَّ المرأة أقل إصابةً بالأمراض النفسية، وأن الرجال أقصر في متوسط العمر من النِّساء؟ !

ليمونة:

إنَّ (دموع الخوف) من الله تطفئ (جمور غضب) الجبار عزّ وجلّ.

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكرة٤٥

آثار الخاتمية

مَزيّة الخاتمية:

الإسلام محظوظ لكونه خاتم الأديان وذلك لاعتبارات عديدة، أهمها: أنه جمع الأبعاد الإصلاحية في الديانات كلها، فتجاوز حدود الأقوام والأزمان والأماكن.

ومن ثم صار ديناً عالمياً لكل الناس، وديناً خالداً لكل الأزمان إلى قيام الساعة.

وتَرتّب على ذلك هيمنة كتابه الكريم على سائر الكتب المقدسة، ونسخ شريعته الكاملة لسائر الشرائع التي كانت جزئية ومؤقتة.

ضريبةُ الخاتمية:

بقدر ما كانت خاتمية الرسالة الإسلامية ميزة متعددة الأبعاد وغزيرة الثمار، إلا أن التأريخ والواقع يخبران بوجود أثمان لهذه الميزة الاستراتيجية، أهمها: أن متعصبي الديانات السابقة ظلوا يحملون أحقاداً عظيمة على الإسلام وأهله!

وذلك أن المناطق التي تُعرف الآن بالعالم الإسلامي، وتقترب في مساحتها من ربع الكرة الأرضية، لم تكن فارغة من الأديان، بل كانت موزعة بين كبرى الديانات النصرانية واليهودية والبوذية والهندوسية والكونفوشية والمجوسية.

بما يعني أن توسع الإسلام كان على حساب هذه الديانات، رغم أن سلاحه كان هو الإقناع، ومع ذلك فإن متعصبي هذه الديانات يتلظَّوْن غيظاً، وتَتجمّر قلوبهم حقداً على الإسلام وأهله!

وما فتئ هؤلاء يتناسون حزازاتهم البَيْنية إذا تعلق الأمر بالإسلام وأهله، ويتجمّعون في أحلاف معلنة أو مَخْفية لحرب الإسلام، وما برحوا يَنسُجُون المؤامرات ضد الإسلام ويَزرعون أحابيل الفتنة ضد المسلمين، وما انفكّوا يَرمونهم عن قوس واحدة!

حظوظ الخاتمية:

إن المسلمين ذووا حظٍ عظيم، لكون دينهم وريث الرسالات السابقة، ولكونهم خاتمة الأمم.

لقد منحتهم هذه الخاتمية كنوزاً من الدروس التي لا تُقدر بثمن، فقد سجّل القرآن الكريم أساسيات تجارب الأمم السابقة، في تفاعلها الخلّاق مع رسالاتها وأنبيائها، وأوضح أساسيات التفاعل مع الكتب المقدسة فهماً وتنزيلاً وتطبيقاً، وبيَّن أسباب الانتصار والانكسار، وأوضح عوامل الصلاح والطلاح، وسجّل طرائق الصعود والسقوط، وأبرَزَ أسباب التوحد والتفرق، وعوامل القوة والضعف، وأوضح مسالك الالتزام والانفصام.

إن قراءة تلك الدروس بوعي يمكن أن يوفر للمسلمين الكثير من الطاقات والأموال والأوقات، وتضع أقدامهم على معارج النهوض الحضاري، بعيداً عن التيه في بيادي الغواية والضلال في أودية الأهواء.

سوء الحظ:

ولأن النسبية حاضرة بقوة في معظم مسائل الحياة، فإن خاتمية أمة المسلمين لم تكن خطئاً محضاً، بل كانت من بعض الزوايا سوء حظ، وذلك أن هذه الأمة في مراحل زهْوها وتراجعها تعمد بدون وعي إلى مواريث الأمم السابقة، فتنهل منها بدون تصفية وتتزود منها بدون غرْبلة، مما يؤدي إلى تسرب علل التدين إلى المسلمين.

ولهذا وجدنا علَل تدين أهل الكتاب من يهود ونصارى تفتك بمجاميع من المسلمين، حتى رأينا أنماطاً من علماء المسلمين يُشبهون الأحبار والرهبان على سبيل المثال، ولمسنا مقدار ما أحدثته الإسرائيليات من خراب على كل المستويات.

وفي ذات الإطار وجدنا علل المجوسية والمزدكية والهندوسية والبوذية تتسلل من إيران والهند إلى الوعي الإسلامي بطريقة ناعمة، حتى نجحت الجبرية الفارسية والتصوف الهندي في نهش الفاعلية الإسلامية وإصابتها بالشلل!

ليمونة:

ما أعظم هذا الدين لو كان له رجال يَحملونه إلى غيرهم بحسن امتثالهم لتعاليمه!

بورك المتفكرون



قُطوف الفكر٤٦

أنْفاسُ الصّالحين

معراجُ النفوس:

صلاة الفجر هي هِبةُ الخالق للمخلوق ومنحةُ السماء للأرض، وهي صلة الفاني بالباقي ومعراج النفس الترابية نحو أعالي الأنوار الروحانية.

إنها المحطة (النورانية) التي تعيد للأرض جمالها وللطبيعة توازنها؛ إذ تهتز الأرض وتربو نتيجة استنشاقها لأنْفاس الصالحين الطيبة دون أن تتكدّر بأنفاس المنافقين الخبيثة!

رجفة المعاصي:

إن خطايا الناس تستحيل إلى رانٍ يُغلِّف قلوبهم ويعمي بصائرهم، فلا يرون ما في صلاة الفجر من كنوز نورانية ومادية، وتستحيل إلى آصارٍ تُقيِّد حركتهم بل إلى رجْفة تتركهم في ديارهم جاثمين!

ولذلك كانت صلاة الفجر مقياساً للمؤمنين وزاداً للصالحين!

مطابعُ الذنوب:

ينطلق أذان الفجر في جَنَبات الأرض يُجَلجل وسط خشوع الطبيعة وفي ظل صَمْت الناس، حيث يَهْدر بنداء الفلاح والنجاح، مؤكداً الحقيقة التي لا تقبل الشّكّ ولا الجدال: (الصلاة خير من النوم)!

غير أن أقواماً من بني آدم لا يَسمعون هذا النداء الحادب؛ ذلك أن خطاياهم أحاطت بهم وذنوبهم تعاظمت عليهم، حتى طبعت على قلوبهم وأصَمَّتْ آذانهم فهم لا يَسمعون نداءً ولا يفقهون حديثاً!

أريجُ الصباح:

يصطفي الله لصلاة الفجر من عباده من لم تتلوّث نفوسُهم بأقذار المعاصي ولم تتعكّر أرواحهم بأوساخ الخطايا، حفاظاً على نقاوة الفجر وهواء الصباح؛ ولذلك كان (أريج الصّلاح) هو العبير الذي يُعطِّر (أنفاس الصباح.(

نداءان:

كما أن الله يَصرف عن (آياته) الذين يتكبّرون في الأرض، فإنه يَصرِف عن (آلائه) الذين يتبعون الشهوات ويميلون ميلًا عظيما .

ذلك أن من يُلبّون نداء الغرائز من أي طريق كان وفي أي وقت حان؛ لا يمكن أن يُلبّوا نداء الفجر لما يَحمل من مكارم ولما يتحمّله المصلّي من مكاره !

جِذْعُ الفجر:

من عطايا الله الخلّابة للمؤمنين أنه مَنَحهم (نخيل الصلاة)، وإن أصغرها حجماً وأعظمها ثمراً هي (صلاة الفجر)؛ فإن من هزَّ جِذْعَها ساقَطتْ عليه رُطَباً جنياً!

ليمونة:

يكفي صلاة الفجر فخراً أن الله وملائكته يتنزّلون فيها إلى السماء الدنيا، أوَ ليس الله قد قال عنها: (وقرآنَ الفجر إنَّ قرآن الفجر كان مشهودا)؟!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٤٧

أشْواقُ الشِّعر

الشِّعر كائنٌ حَيّ:

الشِّعر هُو مجموعة من الأحاسيس المنظُومة والمشاعر الموزُونة، وهو شلاّل من العواطف التي تتدفّق إلى بحور الشعر، وكل هذه الأمور إنَّما تتدفَّق من القلب وتتصبّب من الفؤاد.

ولكي يصل هذا الشّعر إلى القلوب لابد أن ينطلق من قلوبٍ نابضة تتدفَّق مِنْها أَمداد الْحياة وأنداؤها !

الْبُسُوق الشِّعري :

جَوهر الشِّعر هو العواطف القلبيَّة والأحاسيس الرُّوحيَّة، وروحه هي المشاعر الْفُؤاديَّة.

والقلب الميِّت لا تَنبُت فيه الفسائل الجميلة ولا تَبسُق فيه الأشجار الفاتنة.

وحتَّى يكون الشِّعر باسقاً باهراً لابد أن يُحْسن الشَّاعر تجسيد هذه المشاعر ويُجيد تصوير تلك الأحاسيس، فكيف يُجسِّد ما هو معدوم ؟ وكيف يُصوّر ما هو موهوم ؟

فَاقِدُ الشِّعر لا يُعْطِيه :

إنَّ فاقد المشَاعِرِ لا يُعطيها، ومُنعدم الأحاسِيس لا يمنحها، ومُتَبَلّد العواطف لا يُذكيها، ومُنطفئ المواجيد لا يُشعلها، وميِّت الانفعالات لا يُحييها !

وهذا يُثبت أنّ (حَجَر الزواية) في (ديوان العرب) هو القلب وأنَّ اللغة مجرَّد قالب، ولا خير في قالب بدون قلب، ويؤكد أنَّ الأوزان والقوافي مُجرَّد أواني لحفظ المشاعر وتزيين الأحاسيس، ولتوصيل العواطف إلى القراء والسَّامعين، موشَّاة بخيوط الجمال ومُطرَّزة بألوان السّحر !

أَوجَاعُ الإبداع :

تصبح القلوب أكثر حياة وحيوية عندما تتعرض للإحراق والإيلام، إذ تنبعث منها مشاعر ساحرة أنضجتها الحُرقة وأشعلها الوُجْد، أضناها الألم وأذكاها الوجع !

ولهذا كانت أصدق أشعار العرب المراثي التي خرجت من قلوب أنضجها الالتياع والارتياع، وأعذبها قصائد الحُبِّ الخارجة من أفئدة الشوق والتّوق، والممتزجة بأشْواك الْحِرمان وأوجَاع البعاد .

الْقصَائد الْفَاتِنَة :

يؤكد تاريخ الشعر العربي أنَّ أعظم القصائد الَّتي أنتجها فطاحلة الشعر العربي هي الَّتي خرجت من مواقد الْقلوب المحترقة، وتولَّدت من أرحام التَّجارب المُضيئة، والتي انبعثت من بين رماد الخبرات العاصفة والتَّجارب النَّاضجة، حيثُ تجتمع المشاعر الصَّادقة والصُّور النَّاطقة، بِجانب الصُّور الْبَاذخة الإحكام والقوالب الفارهة الجمَال.

جيَشَان العَواطِفْ :

في القلوب الشفافة والأفئدة الرقيقة، تتكوّن سحائب المشاعر الفياضة وتتكوَّم رَبابُ العواطف الجيَّاشة، ويؤدي تلاقحها نتيجة رياح الآمال وعواصف الآلام

إلى انسكاب الشَّجى والشَّجن، وإلى هطول الحنين والأنين، وترقرق الأشْواق والأشْجان.

ليَمُونة :

إن الشَّعر الذي اكتملت أركان مبانيه وخلا من المشاعر الجميلة، إنما هو كجنينٍ مكتمل الأعضاء لكنه وُلد ميِّتاً .

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٤٨

أفياءُ الدعوة

طُولُ الألْسنة وقُصر الأيدي:

من أعراض وباء التخلف الذي استوطن أمتنا (طول الألسنة) مقابل (قُصر الأيدي)، مما أدى إلى (وَفْر) في الأقوال و(فَقْر) في الأفعال؛ ولذلك لم تُؤتِ كثير من جهود الدعوة أُكُلَها المنشودة!

نور الحق وظلام الباطل:

الحق يلوح نورُه وتُشعّ شمسُه كضوء النهار، أما الباطل فتتلاطم ظلماتُه وتتكاثف دياجيره كأنه الليل الحالك!

رُشْدُ المرشد:

من الضروري جداً للداعية أن يكون ذا فكر مستبصر، فلا يمكن أن يكون (مرشداً) من لم يكن (راشداً)؛ إذ أن فاقد الشيء لا يعطيه!

بلاغة الأفعال:

عندما تنفصم أفعال الداعية عن أقواله، فإن المدعوّين ينجذبون إلى الأفعال؛ لأنها أبلغ في التأثير من الأقوال، سواء كانت حسنة أو سيئة!

طبيب الدعوة:

الداعية إلى الله طبيب نطاسي، يداوي أدواء الناس ومعضلاتهم، حيث يختزن في صيدليته أدوية النفوس وأكاسير القلوب، ويستخدم في دعوته بلاسم الأرواح وتَراييق العقول.

إنّ الداعية النطاسي يقوم بتكوين معادلات الصلاح الروحي والمادي، ومركبات الجمال الخَلقي والخُلقي، وذلك من المادة الأولية المتوفرة في الكتاب والسنة، وفق مقتضيات الحال وحاجات الواقع.

حقيقة الدعوة:

ليست الدعوة إلى الله مجرد كلمة تقال أو موعظة تطلق أو نصيحة تطرح! إنها جهد دائب وجهاد دائم، يتم من خلاله تحقيق حوائج الناس ودفع الجوائح عن حياتهم.

إنها إثبات عملي لصلاحية الإسلام في الحال والمآل، بلساني الحال والقال، ومن أحق بإثبات هذه الصلاحية من الدعاة أنفسهم ؟!

الموعظة والجدال:

لابد أن تكون الموعظة (حسنة)، أما الجدال فينبغي أن يكون بالتي هي (أحسن)؛ ذلك أن الموعظة تناجي القلب والجدال يحاور العقل، ثم إن القلب قد يتأثر بسرعة ولاسيما أن المخاطبين بالموعظة أغلبهم من العامة، أما العقل فيحتاج إلى محاججة وبرهنة وتدليل، ولاسيما أن الجدال يستهدف أصحاب

المعرفة، ويستطيعون الرد إن كان هناك ضعف أو ركاكة، بعكس الموعظة التي تكون من طرف واحد.

وتستهدف الموعظة في الأساس مؤمنين مسلمين بينما يستهدف الجدال منكرين متشككين!

رجُلُ التخطيط:

رجل الدعوة الأصيل هو رجل تخطيط، حيث يتحرك بخطوات وئيدة ومناشط وطيدة، لا يعرف في ارتحاله الارتجال، ولا تدرك خطواته التخبط، ولا ينساق وراء الشائعات، ولا ينساب خلف ردود الأفعال.

إنه يعرف كيف ومتى وأين يواجه خصومه، ولا يَنجرّ وراء مخططاتهم الخفية، ولا يَجترّ أفاعيله السابقة، ولا يستطيع أحد جرّه إلى المربّع الذي لا يريده هو.

ليمونة:

ما تزال (أمواج الدعوة) إلى الله تتكسّر على (أحجار القدوة السيئة!(

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٤٩

تَسَفُّل الإنْسَان

فقدان الله :

إنَّ المعاصي الكبيرة هي إعراض عن الله ومن يَعْرِضْ عن الله يُعْرِضْ عنه، ومن أعْرض عن الله فإنه سيفقد ضياء الرُّوح وأنْوار القلب وسيخسر ومَضَات الفؤاد ولوامع العقل.

وعندها فإنَّ الوَقْرَ سيسدُّ سمعه حتَّى يصير أصَمًّا، والْغَشاوة ستصيب بَصَره حتَّى يُمسي أعمى، وستحتل الأهواء فُؤاده فتقوده إلى المهالك، وهو يركض خلفها كالمجنون !

وبذلك يكون فقدان المرء لله فقداناً لإنسَانيَّته الكريمة وتسفُّلاً في مرابض الأنعام، وانحطاطاً في مرابط الحيوان!

تتَعُّم الأنْعَام :

إنّ (التنعّم) بألاء الله دون التزام بضوابط الشرع وحقائق العقل، يدفع البشر إلى (التَّنعُّم)، أي يجعله من الأنعام!

بين الروابط والمرابط :

من لم يلتزم بالدوران ضمن)روابط الرحمن) استقر به المقام في (مرابط الشيطان.)

الطُّغيان الطَّويل الأمد :

إنَّ جعْل الظَّالمين لشعوبهم سُخْرةً لتنفيذ مباني وصُروح ضَخْمة، أو إهرامات وقبور فخمة أو لنحت بيوت فارهة في الجبال وتماثيل بالغة الجمال، إنَّما هو فتنة لأولئك النَّاس بل ولأخلاقهم ولو بعد آلاف السنين !

ذلك أنَّ الآثار الضخمة تنفخ في وارثيها روح الجاهلية؛ إذا لم يكن وازع الإيمان قوياً ولم تسكنها روح التَّقوى !

إن الذُّل الذي أصاب ملايين البشر والذين أُجبروا تحت السِّياط على إنجاز تلك الآثار العملاقة بتلك الدقة والجمال لم يُبقِ لهم ذرة عزة، فورثت الأجيال

تلك العزة المهدورة، ومع علل وعُقَد نقص أخرى استحالت إلى كِبْرٍ و تَجَبُّر، وإلى غطرسةٍ وعجرفة ضد الشعوب الأخرى!

افْتقار وافْتقاد :

إذا افتقر المجتمع للحاجات المادية، وافتقد للأُسُوات والقُدُوات الَّتي تُصبح نماذج لقيمه المعنوية، فمن أين للنصائح الأخلاقية والمواعظ الروحية أن تؤتي ثمارها اليانعة !؟

عَصْر الانْقلابات :

يشهد عصرنا انقلابات رهيبة

وتباينات غريبة، حيث يسقي العبد ربَّه خمراً، وتلد الأَمة ربَّتها،ويتفانى أحفاد الأماجد في خدمة أراذل الناس، ويتسابق العلماء على إرضاء السُّفهاء الرّابضين في سدَّات الحكم !

تَشيُّؤ الانسان :

بدأت النَّهضة الحديثة بإخضاع كل الأشياء للإنسان إلى حد يقترب من التَّأْليه، ومع وفرة الأشياء وغزارتها، كادت الفلسفة أن تجعل الإنسان شيئاً من الأشياء !

ليمونة:

من أخطر تأثيرات الحضارة المعاصرة تحويلها للإنسان من غايةٍ إلى وسيلةٍ !

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٥٠

سَجَايَا الإِنْسَان

المُؤمِنُ والمُنافِق :

من الفروق الواضحة بين المؤمنين والمنافقين في مواجهة نوائب الدهر والتصدي لدواهي الحياة، أن المؤمنين يّصُدّونها بـ(إيمانهم) أمَّا المنافقون فيصدّونها بـ (أَيْمانهم).

حقيقة :

عندما يمارس المرء في حياته العملية (نُكران الحُقُوق)، فإنه يضيف برهاناً جديداً على مدى ظلمه، ويقوم بـ(إثْبات العُقُوق)!

غِمْدُ الإيمان :

إذا خرج سيف الإنسان من غمْد الإيمان القوي صار صمصاماً ضدّ الباطل، بتّاراً للشرور، قطّاعاً للآثام، لا يّكفّ عن مُسايفة العُدوان ومجالدة الظالمين.

نُسْخة مُطوَّرة :

الإنْسان نُسخَةٌ رفيعةٌ ومطوَّرة من البشر، حيث يقوم مبنى الإنسان على أعمدة: الإيمان، الأمانة الاستقامة، الرحمة، الإحسان.

مَقامُ الإنْسان:

إن لم يكن المرءُ مؤمناً فسيتردَّى من مقام الإنسان الرَّفيع ذي النفخة السَّماوية الرَّفيعة، إلى حفرة البشريَّة الزّهيدة ذات القيمة التُّرابية الوضيعة.

كائنٌ نِسبي :

الإنسان كائنٌ نسبي، تتجاذبه الأرض والسَّماء، فيتأرجح بين ثُريًّا الرُّوح وثَرى الجسم، ويتقلَّب بين الانجذاب نحو أطْيان الأرض والانشداد نحو أنْوار السّماء .

ولدوره في التزكّي فإنَّه يظل يترقّى كلما تَنقّى من شوائب التُّراب وشوائب الطين .

قِيادَة الإيمان :

إذا أفضى الإيمان إلى القلب، ونَفَذَ إلى الفؤاد واستقرَّ في شغافه، واستلم زِمام الذَّات ومقاليد الشَّخصية، وائتمرت جنود الجوارح بأمره؛ عندها يقوم العقل بصناعة الرَّوعات، وتستمع الأذنان إلى ما يبيحه الله، ولم تَزغ العينان أو تتبّع العورات، ولم تنطق اللسان بما يؤذي الخَلْق، ولم تصنع اليدان ما حرّمه الله عليها، ولم تَسرْ القدمان إلى ما يغضب الله .

كنزُ الإيمان:

إذا استلم الإيمان مِقْوَدَ الإنسان تفجَّرت كنوزه المخبوءة، فسار به في الدَّرب القويم وهداه إلى الصراط القويم ..قاده إلى طريق الخيرات وأبعده عن سبيل الشُّرور.. أخذه إلى مَزاين الأخلاق وجنَّبه مشَاين الخلائق ..غزَّر له عيون الأفراح وجفَّفَ منابع الأتْراح..ارتفع به في آفاق الدَّرجات وحماه من السُّقوط في الدَّركات ..أعطاه من كل خير ووقاه من كل ضير .

ليمونة:

لكي يحيا المرء إنساناً، فإنه يحتاج إلى خُبزيْ (القمح) و(التّقوى !)

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٥١

خلائقُ النفوس

النفوس الطيبة :

لا تزال النفوس الطيبة تفيض بالخيرات العميمة وتتدفق بالعطاء الجزيل، ولا تكفّ عن الفَوح بالخلال السامية والنَّضْح بالأخلاق الكريمة.

ولا تنفكّ في غالب أحوالها تسيح بالمسرات؛ إذ تزرع الفرحة في القلوب المتكدرة وترسم الابتسامة في الوجوه الكئيبة، ولا تفتأ تسيل حُبّاً وحناناً وتنساب تواضعاً وائتلافاً .

وفي الوجه الآخر لهذه النفوس الطيبة نراها تفور ضد الشرور والآثام وتثور على الظلم والظلمات، وتتصدى للفواحش والمنكرات، وتواجه القبائح والبواطل بكل ما تملك من شراسة وصلابة !

بين التوازن والاختلال :

للانسان طاقة محددة ينبغي توزيعها على التفكير العقلي
والانفعالات القلبية وعلى أعمال الجوارح، بحيث تكون اللسان
والأذن والعين خادمة لليد.

وإذا انصرف جُلّ هذه الطاقة إلى اللسان فإن ذلك علامة على وجود خلل مريع في عمل الصالحات، ولذا ورد عن المصطفى (ﷺ) قوله: "وإن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون"؛ إذ أن تَوسُّع

الأقوال يكون على حساب الأعمال، وهذا ما تثبته وقائع الدهور على مستوى الشعوب والأفراد.

حوائج النفوس :

تحتاج النفوس العليلة إلى تصفية والنفوس الأمّارة بالسوء إلى تصفيد، ولابد للنفوس المعوجّة من تقويم وللنفوس الضعيفة من تقوية.

وتتطلّب النفوس السوية دأباً في المكابدة وديمومةً في المجاهدة.

الانقلاب الرهيب :

هناك صنف من الناس يعانون من شذوذ في التفكير والانفعالات، حيث يُحبّون الذين يمشون مُكبّين على وجوههم ويكرهون السائرين على الصراط المستقيم، يعشقون الرذائل ويَفرّون من الفضائل، يتعلّقون برايات العهر ويحرقون أستار الطهر، ينبذون مكارم الأخلاق ويعضُّون بالنواجذ على قبائح الخلائق، يخرجون من تحت رايات الهدى ويسيرون خلف ألوية الهوى !

حمقى :

يعتقد الحمقى أن تحقيق النزوات شطارة ونيل للحَظَوات، وما يدرون أن غفلتهم عن الله أسلَمَتْهم إلى الشيطان، فسار بهم خطوات في الطريق إلى مصيرهم المحتوم، حيث الغضب الإلهي المعلوم.

وما انتبهوا أن نسيانهم لله أنساهم أنفسهم فساروا في ركاب أوامرها السيئة حتى أساؤوا وهم يظنون أنهم يُحسنون صنعاً !

سلاح الاستدراج :

من لم يعرف أساليب المراجعة والنقد الذاتي و(الاستدراك)؛ فإنه سيتعرض لأسلحة الشيطان من الوسوسة والتزيين و(الاستدراج).

الانخداع بالذات :

هناك كائنات قميئة تعتقد أنها قمينة بالتربع على عرش الجمال !

وبالطبع هي من بني آدم، إذ لا يوجد من يجهلون قدرهم كالبشر !

ليمونة:

النفسُ إناءٌ محايد يمكن أن تملأه بواحد من ثلاثة أمور: سعادة الطمأنينة أو قلق النقد أو تَسفُّل الغرائز التي تثقل كاهلها وتسقطها في دركات الانحطاط !

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٥٢

جنايات التلقين

الجناية الذاتية:

ما أكثر ما يجني التعليم التلقيني على أهله، حيث يقضي على مدارك العقل مع الأيام، مبقياً على الذاكرة فقط، مما ينحدر بالإنسان إلى هُوّة الشيئية وينحدر بقيمته النفيسة، إذ تصبح قيمة العقل هي قيمة (الكاسيت) أو ال(سِّيدي)!

الجناية المُتعدِّية:

بقدر ما يجني التعليم التلقيني على أصحابه، فإنه يجني بهم على المجتمع، ويُحوِّلهم من ضحايا إلى جناة؛ لأن امتلاء هؤلاء بتُخمة الحفظ يمنحهم غرورا خادعاً، ويمنعهم من طلب المزيد من العلم، ويَهبهم قدرة هائلة على التطاول، ويجعلهم حرّاساً أمناء على التقاليد التي ما أنزل الله بها من سلطان، فيَعضُّون بالنواجذ على التراث الراكد، وينغمسون في معضلة الاجترار والتكرار واقفين ضد كل دعوة للابتكار، وينغرسون في قواعد التقليد تحت دعاوى الأصالة رافضين كل محاولة للتجديد، ويقاومون بشراسة محاولات الإبداع متهمين إياها بالابتداع!

تعجُّب:

يريدون خلْق مبدعين في بيئة تقليدية تتسم بالتعليم التلقيني وتعاني من إرهاب فكري، هؤلاء كمن يبحث وسط نار السعير عن شربة ماء باردة!

ضمور المدارك:

يستطيع أصحاب الذكاء والمواهب أن يصيروا مبدعين إذا وُجدت البيئة التعليمية التي تستحث مداركهم على التفتُّق وتدفع بملكاتهم نحو التّفتُّح.

ولا يمكن أن يحدث ذلك في ظل التعليم التلقيني الذي يُبقي المتعلم سالباً، ويحشو الذاكرة بمعلومات رتيبة غير مرتَّبة، تاركاً بقية مدارك العقل تموت من الضمور؛ نتيجة عطشها لرحيق التفكير وافتقادها لشغف الاكتشاف!

التعليم التلقيني:

يتجاهل التعليم التلقيني الفروق الفردية بين الطلاب، ويتعامل معهم كأنهم قوالب جامدة، ويؤدي الحفظ للشعور بالامتلاء إلى حدّ التخمة، ولذلك يتضخم

هؤلاء ويحملون مشاعر الكبر ويعانون من الغرور، ظانين أنهم قد حازوا سائر العلم وامتلكوا الحقيقة كلها!

انتقام العلم التلقيني:

التعليم التلقيني يؤدي إلى تضخيم الذوات ذلك التضخم السقيم بينما يظل المجتمع متقزماً؛ لأن هؤلاء لا يتمكنون من حل مشكلاته وتنمية طاقاته والترقّي بقدراته، ويصبح هؤلاء مشكلة إضافية من مشكلاته العويصة!

وقد يحتلون المركز الأول في قائمة مشكلاته، إذ يفسدون باسم الإصلاح، وينشرون الجهل تحت راية العلم، ومع ذلك يغترّ بهم كثير من الناس ولاسيما حاملي العلوم الشرعية من أصحاب العمائم والمظاهر التي يعظمها عامة الناس!

ليمونة:

التلقين هو محاولة لتنمية الشخصيات من خارجها!!

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٥٣

أستارُ الأسْرار

أسرارُ الغيب:

خلْف أستار الحكمة الإلهية تقف أسرارٌ كثيرة، ولا مجال لمعرفتها في عالم الشهادة إلا عبْر العلم الذي لا يقف عند ظواهر الأشياء بل يغوص إلى أعماقها.

أما في عالم الغيب فلا يمكن اكتشاف هذه الأسرار إلا عبْر الوحي؛ بقراءته قراءة تدبرية تجمع بين حضور العقل وخشوع القلب، عندها ترتفع الأستار وتظهر الكثير من الحِكَم والأسرار.

النّفاذ إلى الأسرار :

إن التفكر في النصوص آليةٌ نافعة للنفاذ إلى الحِكَم، والتدبر أداةٌ مفيدةٌ للوصول إلى الأسرار.

ومن يقف عند سطح النصوص لا يمكنه النفاذ إلى الحِكَم، ومن تتوقّف مَداركه العقلية عند ظواهر النصوص لا يمكن أن يعرف الأسرار أو يكتشف الغوامض.

لآلئُ الأسرار :

الأسرار والفُصوص هي لآلئ النصوص وحِكَم الشرع، وهي مخبوءة وسط أكوام من الكلمات والجُمل والأساليب اللغوية التي ينبغي فكّها بواسطة التدبر والتفكر.

حقول الحقوق:

إن الشعائر التعبدية (حقولٌ) خصبة لاستزراع (حقوق) الناس، حيث تتغذّى بالأفكار والأذكار، وتتحوّل من فسائل إلى خمائل تثمر الخيرات، وتزهو بالمحامد، وتدنو بالمنافع.

مقاصد الجمال :

من مقاصد الشريعة الإسلامية تحسين الحياة وتزيين البيئة، وكذا تلوين الطبيعة وتجميل الناس؛ عبر الإرتقاء بأذواقهم وإيجاد ما ينشر البهجة والحبور

بينهم، وما يشيع الفرحة والسرور في أوساطهم؛ من خلال إشاعة الجمال وتشجيع الفنون.

ويدخل ذلك كله ضمن المقاصد التحسينية التي هي القسم الثالث من أقسام المقاصد بعد الضروريات والحاجيات.

الناظر الناضج:

عندما يحيا الإنسان (ناظراً) في آيات الله القرآنية والنفسية والكونية؛ فمن المؤكد أنه سيصير (ناضجاً).

اصطياد الخنازير:

إن إنفاق المرء جهوده وأوقاته وأمواله في تحصيل العلم غير النافع، مثل جهود الصّياد الذي أتعب نفسه وفرسه في اصطياد خنزير برّي لم ينتفع منه بشيء!

ليمونة:

الباحث الحق هو الذي يكشف الغطاء عن الحقيقة دون أن يدَّعي الوصول إليها!

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر٥٤

محاسنُ الإسلام

إسْلام التيسير :

الإسلام دين الفطرة البشرية جاء لتقطيع الأغلال عن الناس ووضْع الآصار عن كواهلهم، ولإسقاط العَنَت والحرَج عنهم، ولإزهاق آفات التشدد والتنطع والغلو التي كانت تَسُود حياتَهم وتُسَوِّد عيشَهم!

جاء لإسعاد بني آدم في المعاش

والمعاد، وطالبهم بأن يلتزموا أمر الله ويجتنبوا نهيه، بحسب الطاقة والوسع، ملتزماً بالتيسير ورافضاً للتعسير، وجاء مُحِلاً للطيبات ومُحرّماً للخبائث.

امتياز التميُّز :

إن تميّز الإسلام امتيازٌ محمدي خالص، ذلك أنه صبغة ربانية بالغة الكمال ورسالة سماوية باهية الجمال.

تميُّز الإسلام :

الإسلام عبقري في تكوينه فريدٌ في ذاته، فهو نسيجُ وحدِه وليس له نظير . ولِمَ لا يكون كذلك وهو صبغة الله الحكيم العليم؟ ولِمَ لا يتميز وهو دين الفطرة الذي أوجده صاحب الخلق والأمر؟!

فضلُ الفضائل :

في الرؤية الإسلامية يقف كل الناس سواسية من حيث المبدأ، ويرتبط التفاوت النسبي بينهم بأمور كسبية، فلا (فضل) لأحد على أحد إلا بما يتحلّى به من

فضائل، ولا يختص أحدهم ب(مكانة) إلا بقدر ما يملك من (إمكانات)، و من ثم فإن الفضل للفضائل والمكانة للإمكانات، ويبقى الناس سواسية كما خلقهم الله وأراد !

أبقى الأديان :

جاء الإسلام بأقوم الكتب وأقواها، وبأخلص العقائد وأنقاها، وبأعدل الشرائع وأهداها، وبأسلم الأخلاق
وأسماها، وبأدّق النظم وأرقاها، ولهذا سيظل أعظم الأديان وأبقاها.

النَّظر إلى الجوهر :

هل هي المصادفة أن يكون " كليم الله " موسى عليه السلام هو النبي الوحيد الذي عانى من مشكلة في النطق، حتى قال عنه فرعون: {ولا يكاد يُبِين} حتى أنه رشّح أخاه هارون لمعاونته في تحمل أعباء الرسالة لأنه أفصح منه لساناً !؟

لا أظن أن ذلك مصادفة، إنما أرادت الأقدار أن تقول إن الله لا ينظر إلى الجوارح، وأن قيمة الإنسان بعَينيْ
وأُذُنيْ القلب، وأنه يختط مكانته بلسان ويدَيْ الفؤاد !

تفعيل العقل :

بمزايا الإسلام الناصعة
وخصائصه الرائعة، جاء ثورةً ضد أساطير الأولين وخرافات السابقين، وسطّر ملاحم في البطولة والفداء وملاحم في التنمية والبناء، محورها الإنسان الذي هو متغى الهداية

والتشريع ومنتهى التكريم والتبجيل .

وتزداد كرامة الإنسان وقداسته بقدر ما يُفعّل من ملَكات عقله، فهو مناط التكريم والتكليف، وهو بجانب القلب مَحطّ نظر الله ومعيار الأجر والثواب .

وبتفعيل الإسلام للعقل بلغ بكرامة الإنسان شأواً بعيداً، فقد صار عبدا لله وسيداً على سائر الكائنات والظواهر، التي خلقها الله من أجله وسخّرها لصالحه .

وارثُ الخيرات:

الإسلام هو وارثُ الأديان السماوية السابقة، بكل ما فيها من محاسن ومزاين وجميع ما اشتملت عليها من مكارم ومَجامل، وبكل ما حثّت عليه من عبادات ومناسك وما ندبت إليه من أخلاق وأذواق .

ومن ثم فإن الإسلام بكل فخر هو وارث الخيرات وبَيْدرُ النفائس، وهو واحة المعروفات وملتقى الدعوات .

ليمونة:

رغم جبال المساوئ التي اجترحها مسلمون في عصرنا، ما زالت أفواجٌ من صفوة البشر تهاجر إليه كل عام؛ وهذه من ثمار القوة الذاتية لهذا الدين العظيم.





قُطوف الفكر٥٥

ثُقُوبُ الشخصية

مُصارِعُ الغضب:

يمكن القول بأن الغضب مُصارع، نتيجة قوة فَتْكه وشدة بأسه، فقد قال ﷺ: "ليسَ الشَّديدُ بِالصُّرَعَةِ إِنَّمَا الشَّديدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ "، وكأن الغضب مُصارعٌ شديد البأس، فمن سيطر على غضبه فقد انتصر على هذا المُصَارع وصَرَعه !

مظهر بدون جوهر :

قام أغلب مسلمي عصرنا بتجميل ما ينظر الناس إليه وهي الصُّوَر، وتركوا ما ينظر الله إليه بدون تجميل وهي القلوب!

الحدُّ الأدنى من الصلاح:

أدنى درجات الصلاح عند المسلم الحق أن يسلم الناس من أذيته، وأن يهجعهم من شروره، وأن يُريحهم من مُوبقاته، وأن يُؤمِّنهم من مَكْره وغدره !

وإذا لم يتحقق ذلك فقد سقط من علياء إيمانه، وصار صاحب شخصية متقوبة !

انفكاكٌ وتفكُّك :

عندما تصاب الشخصية بالثقوب؛ تفقد التربية آثارها وتنفصل الشعائر التعبدية عن مقاصدها، وتضيع آثار المواعظ والنصائح، وتصبح الأفكار بدون ثمار والأذكار بدون أفنان.

مُدخلات بدون مُخرجات :

عند إصابة الشخصية بالثقوب تختلّ القوانين، حيث تضيع المدخلات في كهوف الشخصية، وتتسرّب من ثقوبها ليصير الإنسان عنواناً بدون مضمون، ويصير الإيمان اسماً بدون مُسمّى، وتصير العبادات أشجاراً من دون ثمار !

قيادة الشيطان :

من أعطى زمامَه للشيطان؛ خَطَا به في مزالق الرذائل، وقاده نحو مسالك الآفات، وأوصله إلى قفار المهالك!

حصاد الكلاليب :

الكلمات البذيئة والعبارات السيئة إنما هي كلاليبٌ تَجُرّ الإنسان إلى الأسفل، فتُذهب هيبتَه، وتُسقط مكانته عند الناس.

ولا تزال هذه الكلابيب تعمل حتى في الآخرة، حيث تجذب أصحابها إلى النار، كما قال ﷺ لمعاذ بن جبل : "وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِى النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ أَوْ عَلَى مَنَاخِرِهِمْ إِلاَّ حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ! "

الزّنى قرينُ الشرك :

أوجب القرآن على المرء إذا كان زانياً أن لا ينكح إلا زانيةً أو مشركةً، ذلك أن الزِّنى والشِّرك قرينان، حيث يترك الزاني والمشرك الفطرة السوية ويذهبان إلى الشذوذ الأعوج!

تسلُّل:

تتسلّل (نَزَغاتُ) الشيطان إلى الإنسان من خلال (نزوات) النفس الأمّارة بالسوء، وتتفتّح بفعل رياح الطّمع والهلع، حيث تُعتبر ثغرات مفتوحة على آخرها !

نَزَغاتُ الخير:

إذا تمّت السيطرة على الثغرات السيئة في النفس؛ قويَت (النَّزَعات) الخيرية وأُغلقت الأبواب أمام (النَّزَغات) الإبليسية الشِّرّيرة !

ليمونة:

الصدور المثقوبة هي التي إذا أودعتَ فيها سراً تفلّتَ منها !

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٥٦

أكنافُ الرّحمن

الاستعصاء على الرغبة والرهبة:

المؤمن القوي لا يُقاد بالترغيب

ولا ينقاد للترهيب، لا تُسيل لعابَه المسرّاتُ ولا تُزيغ بصرَه المضرّات، لا تسوقه العَصَى ولا ينساق خلف الجَزَرة، لا تُعشي بصرَه أضواءُ الطمع ولا تُعمي بصيرته ظلمات الهلَع !

ذلك أنه مستمسك بالعروة الوثقى، ويعيش في أكناف الرحمن الذي يمتلك المَنْحَ والمَنْع، الضرّ والنفع، القبض والبسط، الموت والحياة.

القلب الحيّ :

القلب الحيُّ هو الذي يَسيل رقّةً على الخلْق ويلتهب حرقة على المظلومين والمحرومين، وهو الذي يمتلئ ثقةً بأن وعد الله حق وأن الله لا يأتي منه إلا الخير حتى ولو كان على صورة شر.

أزاهيرُ العواطف :

لا تلبث أشجار الخير، ولا تنبثق نباتات الصلاح، ولا تتفتّق أزاهير العواطف النبيلة وورود المشاعر الجياشة، ولا تثمر خمائل الأخلاق الكريمة والخلال الطيبة إلا إذا انغرست في قلوب حيّة مغموسة بماء الهداية، ومنغمرة في نسائم المهابة من جلال الله.

حياة القلوب :

القلوب الحيّةُ تختلج بتوحيد الله وتكتنز حُبّ الله، تتوهّج بصفات الله وتلهج بذكره.

ولا تزال تنبض بحُبّ الصالحين وتدور في فلك هذا الدين الفريد، تسير في صراط الخدمة القويم وتسيل في دروب الخير العميم .

أمانُ الإيمان :

بالإيمان الحق بالله عزّ وجلّ يعيش الإنسان في أكناف الله، حيث يأوي إلى ركن شديد، ويتمسك بعروة وثقى، ويعتصم بحبل متين، يستمتع بالأمان في معيّة الله تعالى ويستريح ببهجة العيش في حصونه المنيعة .

يقظة الوجدان :

من كان (وجدانُه) يقظاً فقد وجد الله، وحيثما يوجد الله توجد الحياة بدَفْقها المُتجدِّد وألَقها المُتورِّد، فلا جفوة ولا قسوة مع الله !

العيش في أكناف الله :

إن الحمل ثقيل والطريق وعْرٌ والدرب طويل، وإن التحديات كثيرة والمصاعب وفيرة، وإن الهدف عزيز والغاية بعيدة، ولابد لهذا كله من طاقة ضخمة، حيث ينهل المؤمن من أزواد السماء، فيَرتَع في رياض الله ويتفيأ ظلالَه، يستروح في جنانه ويستمد عونه .

حياة الطمأنينة :

من أوى إلى الله وآب إلى رحمته؛ حاز حياة الطمأنينة الهانئة واستمتع بالمعيشة الهادئة !

أكنافُ الأكناف :

من أراد العيش في أكناف الرحمة الإلهية وألطاف الشفقة الملكوتية، فليُظلِّل المحرومين والمحروقين تحت أجنحة شفقته، وليَمُدّهم بأمداد عونه ومساعدته، فإن من لم يُسخِّر (الأكتاف) لخدمة الخلق لم يذق لذّة العيش في (الأكناف!(

ليمونة:

إن أكناف رحمة الله هي بيوت الفقراء والمحرومين، وملاجئ الأيتام والمشرّدين، ومَصحّات المرضى والمعوَّقين.

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر٥٧

آفاق النساء

تفَوُّقُ المرأة :

المرأة أقدر من الرجل في (غزْل) أرْدية التربية للأولاد و(نَسْج) أخلاقهم، وفي (صياغة) عقولهم و(حياكة) أفكارهم، وفي (تشكيل) وعيهم و(رسْم) أحلامهم، ولاسيما في السنين الأولى من (أعمارهم)!

إنها أمهر في (بَسْتنة) عقولهم و(تجنين) قلوبهم.

لقد كانت (الجنة) تحت أقدام الأمهات جزاءً وِفاقاً؛ ذلك أنهن إن قُمنَ بهذه الواجبات فإنهن يصنعن لأولادهن جَنّة في الأرض، تصلح أن تكون معراجاً للوصول إلى جَنّة السماوات !

التسويق الرخيص :

من أسوأ الرّزايا أن يتم تسويق بعض المفاسد تحت عناوين جذابة، كالترويج لبعض العادات السيئة تحت لافتات القيم وعناوين الأصالة، ولاسيما فيما يتصل بالمرأة، حيث تُسوِّق المجتمعات التقليدية عاداتها المُنتقصة للمرأة باسم الإسلام، ملبسةً إياها لبوسه الجميل، وواضعةً لها تحت عناوينه البَرّاقة!

التّمتْرُس خلف التقاليد :

من أسوأ أعداء الإسلام من يتمترسون خلف منظومة العادات والتقاليد، في مظاهرتهم لقيم الإسلام، ومعاداتهم لبعض تصوراته ومُشاقّتهم لبعض مبادئه التي لا تتوافق مع أهوائهم .

إن الخَطْب يشتد والألم يتضاعف؛ عندما تستظل العوائد تحت راية الإسلام، فتتشدّق بالانتماء إليه وتتدثّر بشعاراته، بينما تُرمى القيم الأصيلة بالغرابة وتُتّهم بالتغريب !

كاشفةُ المرأة :

يعاني عامّة المسلمين من أزمة فكرية عقلية وأخرى نفسية قلبية، وكلاهما يَبرزان بوضوح أكبر في قضية التعامل مع المرأة، حيث تظهر العلَلُ الفكرية نتيجة الخلط بين تعاليم الإسلام الراقية وتقاليد المجتمعات الراكدة.

طلاقُ الحرية :

عندما يكتشف الزوجان أو أحدهما أن طريق الزوجية مسدود؛ نتيجة تناقض الطبائع وتضاد الاهتمامات، ولاختلاف المشاعر وصعوبة الالتقاء على كلمة سواء؛ فإن أبغض الحلال إلى الله يصبح هو المخرج؛ لأنه يصير طريقاً للانعتاق من نَيْر العذاب الذي يمكن أن يطبع حياتهما، ومن كان هذا حاله فعسى أن يبدله الله خيراً من زوجه زكاةً وأقرب رُحْماً .

امرأةٌ أم أنثى :

لكي تحصل المرأة على حقوقها الكاملة كشقيقة للرجل سواء كانت معنوية أو مادية، لابد أن يكفّ الرجل عن النظر إليها كأنثى فحسب، ولابد أن ينظر إليها كامرأة تكافؤه في الخِلْقة والكرامة وتناظره في الحقوق والواجبات العامة ! ولكي يصل الأمر إلى مبتغاه، لابد أن تبدأ المرأة أولاً بمغادرة مُربّع التَّمَكْلُف وترفض الانحصار في مطالب الأنثى، وأن تذهب إلى ارتياد عالم المرأة كإنسان يضارع الرجل في إنسانيته، مع الحرص على تمَلُّك خصائص

ومقومات هذه المكانة، حتى تكون جديرةً بها وقمينةً بالتربُّع على كرسي عرشها !

التفاضل الكسبي :

في الرؤية الإسلامية يتم التفاضل والجزاء في الأمور الكسبية الاختيارية كالعلم النافع وأعمال الصالحات، ولا تدخل فيها الأمور الجبرية التي لا دخل للإنسان فيها، كالعرق واللون أو الشكل والنوع، ولهذا كانت المرأة في ذات مكانة الرجل التكليفية وبذات الفضل والكرامة .

ليمونة:

من يرون أن المرأة (عورة) لا ينبغي أن تخرج بتاتاً من بيتها؛ فإنما يكشفون بذلك عن (عوراتهم) العقلية وفُتوقهم النفسية !

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٥٨

أشْجانُ القلوب

لسان الحال :

يمكن للداعية أن يدعو إلى الله بكل الألْسنة التي يفهمها الناس وبها يتأثّرون، لكن أفصح هذه الألسنة وأشدّها تأثيراً في شتى القلوب هي لسان الحال !

جاذبيةُ لسانِ الحال :

تَتفوّق لسانُ الحال في الدعوة إلى الله على كل الألْسنة؛ لأنها تَنفُذ إلى قلوب السامعين وليس إلى آذانهم فقط، نتيجة قوة فاعليتها المُتشكّلة من تمازج سائر مُكوِّنات الذات: قلباً وعقلاً ولساناً في صناعة جاذبيتها وتأثيرها الآسر !

إن تَنوّع منطلقاتها تجعل مداخلها متنوعة، حيث تدخل من أبواب متفرقة هي الآذان والأعين والعقول.

روح الاستقامة :

الدعوة السلوكية شاهدٌ لا يقبل الشّك على صدق الداعية، حيث يسري الصدق القلبي في كلمات الداعية فينفخ فيها الروح ويبعث فيها الحياة، يمنحها التألّق ويضمن لها التوهّج، وهو الذي يعطيها القوة التي تُمكّنها من اختراق حُجُب السامعين واقتحام أسوارالسادرين، وهي التي ترمي بسهام التأثير إلى سويداء القلوب.

استقامة السلوك وسلوك الاستقامة :

إنَّ خروج الكلمة من القلب يوصلها إلى قلب المدعوّ، وإن استقامة سلوك الداعية يبعث الحياة في سلوك المدعوّين.

وإن صفاء القلب يمنح اللسان عذوبة وحلاوة، وربما أن هذا ما قصده الإمام عبد القادر الجيلاني بقوله: "كُنْ صحيحاً في السِّرّ تَكُنْ فصيحاً في العلانية!"

غيثُ القلوب :

عندما تنبعث كلمات الدعاة من شغاف القلوب، فإنها تصعد إلى العلياء فتصير سماءً تهطل بغيثها المدرار !

وعندما تتصبّب القلوب الصادقة عَبْر سحائب الإخلاص فإن قلوب المدعوّين تَهتزّ وتَربو وتُنبت من كل خير عميم، وذلك وفق مناخات قابلياتهم وتضاريس تزكياتهم.

بساتين القلوب :

إن تظافر القلوب والقوالب، وتناصر الجوانح والجوارح؛ يبعث القلوب وهي رميم، ويحيلها من قفار جرداء إلى واحات غنّاء، تَعجُّ بأزهار المحبة، وتزدان بورود المشاعر، وتمتلئ بثمار العطاء !

أشواقُ الاستقامة :

يمكن القول إن أهم ثمار استقامة السلوك عند الداعية هي سلوك المدعو لطريق الاستقامة، وإن أهم ثمار الشلاّل القلبي هي استزراع أشجار الصدق والعطاء في قلوب المدعوّين، بحيث تصير القلوب وارفةَ الأحاسيس وافرة الخيرات.

التهيؤ لتلقّي الحقيقة :

إن أول ثمار صلاح قلوب الدعاة هي إصلاح قلوب المدعوّين، إذ تتهيأ للسماع بعيداً عن ضجيج الدعايات وأدْخنة الأكاذيب، وبعيداً عن مسلَّمات القطيع وثوابت العبيد، حيث يسمعون الحقيقة كما هي لا كما يُصوّرها الأعداء والخصوم !

ليمونة:

باستقامة سلوك الداعية تستفيق فصاحتُه، وبحصول القلب على بُلْغته تستيقظ بَلاغتُه !

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٥٩

امتلاءُ الذات

قيادةُ القلب :

إن جوهر مشكلة الإنسان ستظل دائماً هي قلبه، أما الجوارح فإنها مجرد تعبير عن ما يجيش في الجوانح.

تنطبق هذه القاعدة على كل شيء، بما في ذلك النشاط أو الكسل في العبادة، وقد أبرز لنا هذا المعنى الشاعر البويصري بقوله:

وإذا حلّت الهداية قلباً

نشطت للعبادة الأعضاء

فالقلب هو القائد الذي لا يُردّ أمره، وكل الجوارح جنود مطيعون لأمره مهما كان حباً أو كرهاً، ولاءً أو براءً، إقداماً أو إحجاماً، التزاماً أو انصراماً !

انتقاء أغذية العقل :

الثقافة هي غذاء العقل غير أن فيها ما يضر وينفع، كطعام الأبدان، فقد تكون هذه الثقافة منتهية الصلاحية أو فاسدة وقد تتسلل إليها البكتيريا الضارة أو تنمو فيها الديدان القذرة .

إن على المرء أن يسارع إلى تغذية عقله وإشباع فكره دون أن ينسى الاختيار والغربلة، وعليه أن يتحين وينتقي؛ فإن الانتقاء طريق الارتقاء.

الانتفاخُ الثقافي :

يجب الحذر من الطعام الذي ينفخ دون أن ينفع، كما قال الحكيم البردوني: "إن الثقافة الغثّة كالطعام الفجّ، يملأ بالانتفاخ ولا يغذي كياناً."

ومن المشاهد أن هناك ثقافة فجّة، لا تشبع النّهَم المعرفي ولا تُطعم التفكير العقلي، وإنما تنفخ صاحبها فيتطاول على مخالفيه معتقداً أنه على بيِّنة من أمره، وموقناً بأن من لم يُغرِّدوا في سربه مهيضو الأجنحة بل وليسوا على شيء!

قائد الإيمان :

الإيمان القوي هو الذي يُروّض النفوس ويضبط الغرائز، وهو الذي يَحكم النزوات ويمنح الناس الكوابح، التي تمنع انطلاق الشهوات بدون عقال أو اندفاع العواطف بدون عقل، وهو الذي يدفع عربات النفس إلى السير على سكّة الاستقامة في عرصات السراء والضراء وفي أوقات الشدة والرخاء .

كوابحُ الإيمان :

إن انطلاق الغرائز بدون كوابح إيمانية قوية يؤثر على مكوّنات الشخصية، ابتداء من الخوالج التي تفتقد لأنوار القلب، وصولاً إلى الخوارج والأعضاء التي تصيبها شوائب التراب فتصير الوجوه كوالح، لا يصلها ضياء القرآن ولا أنوار التقوى، ولا تعرف وضاءة الروح ونَضَارة الصلاح .

تعزُّزُ الزّعزعة :

كلما تغلغل الإيمان في ثنايا القلب تخلخل مركز الشهوات المحرمة والغرائز المنحطة .

وكلما تَعزَّز الوعي في العقول تَزَعْزع حظُّ الشيطان في الإنسان وتداعت أحلامه، وخنَست وساوسه !

مقياس الحجم :

لا يصلح الحجم أن يكون مقياساً في كثير من الأشياء، فلو كان العقل يقاس بحجم الرأس لكان الفيل أدهى من الثعلب، ولصار وحيد القرن أذكى من القرد !

ليمونة :

(الأوراد) هي شلاّلات السماء التي تَصبّ ماء الحياة في(أوردة) الروح .

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٦٠

عِلَلُ النفوس

عبيدُ السوء :

من كانت عوائدهم المنكرات

ومَرَاتِعُهم الفواحش، ومن كانت أكبر همّهم الشهوات ومبلغ علمهم الغرائز، ومن كانت غاية رغائبهم المُتَع ومحور حركتهم النّزوات؛ فقد صاروا عبيداً لا يُرجى منهم خير؛ إذ أن من صفات عبد السوء أنه أينما تُوجِّهه لا يأتي بخير.

النفوس المثقوبة :

بعض النفوس تستقبل الكثير من المعارف، وتخوض الكثير من التجارب، وتعتصر الكثير من الخبرات، لكنها تظل بدون ارتقاء وبدون اخضرار.

ويبدو أن فيها أغواراً غير متناهية تبتلع هذه المعارف والخبرات، كالأرض التي تبتلع المياه فلا يجد الناس فيها ماءً مَعيناً .

ويبدو أن تحصيل العلم بدون منهج ينتظم المعلومات المبعثرة في رؤية كلية، يصير كالماء الذي يُشيع الدمار ثم يَغور في أعماق الأرض دون أن يستفيد منه أحد!

توحُّش النفس :

من كان في حالة من الترقّي الإيماني تغذّى قلبه على حساب نفسه الأمّارة بالسوء، أما من كان في حالة من السقوط فإن نفسه الأمّارة تتوحّش حتى تنهش قلبه وتمتص مياه روحه !

ضعف الإيمان :

لا (يقعد) كثير من الناس عن معاقرة المعاصي؛ لأنهم في قرارة أنفسهم لا يؤمنون بأن الساعة (قائمة) وأنهم سيدفعون فاتورة مظالمهم ومعاصيهم!

إجداب القلوب :

عندما تُجدب القلوب يُجدب كل شيء، حيث تُجدب السُّحب في السماء وتمتنع عن إنزال غيثها المدرار، وتُجدب الأرض وتكُفّ عن إنبات الخيرات وإخراج الثمرات، ثم ينتقل الجدب والقحط إلى الحيوان وإلى الجمادات لتصير معيشة الناس ضنْكَى !

أفعى الحسد :

الحسد أفعى تَسكن شخصية الحاسد فتتغذّى عليها ثم تقذف بسمومها نحو الآخرين، ولذلك صار الحاسد أشدّ المتضررين من حسده، وقد قال أحد المُعمّرين للأصمعي: " تركتُ الحَسد فبَقِيَ الجَسد " !

بيئةُ الغفلة :

الغفلة هي البيئة الخصبة لانبعاث غرائز النفس الأمّارة بالسوء واستزراع وساوس الشيطان، ولكي تخمد الهواجس وتخنس الوساوس لابد من ذكر الله تعالى.

ومن الضروري أن يقوم التعليم بإيقاظ الشخصية المسلمة من سُباتها وتحريرها من غفلتها؛ عبْر إحياء الكيان الروحي للإنسان، وتفتيح مدارك العقل واستثمار طاقات الروح والعقل.

ضمورُ النخوة :

إذا سمح المسلمون(للنّزَوات) أن تنبعث بدون رؤية واضحة، وأن تتداح بدون ضوابط صارمة، فإن النّخَوات ستضمر مع الأيام، وقد يدركها الموت المُحقّق !

فلنحذَر من النّزوات المُنفلتة فإنها عدوّة النّخَوات، ولننتبه للغرائز الجامحة فإنها دامغة للإيمان، حيث تُزهق الصالحات وتَمحق الخيرات.

ليمونة:

إن اجْتراح السيئات يمحق أصحابه في الدنيا ويحيق بهم في الآخرة.

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٦١

قواربُ الإخلاص

حقيقةُ الولاية :

من يصل إلى مقام ولاية الله، يقوم بالتزام مقاييس الله واتباع معايير السماء، فيرى الأفكار والأشخاص
والأشياء من منظور القرآن، ويتخلق بأخلاق المصطفى العدنان، حيث يُصغِّر ما صغّره الله ويُكبر ما كبَّره، يُقدم ما قدّمه ويؤخّر ما أخّره، يعشق ما أحبّه ويبغض ما قلاه.

ثقل الإخلاص :

إن (قطميراً) من العمل الخالص أرجى عند الله من(قناطير) مقنطرة من الأعمال التي شابَها شيءٌ من الرياء والسمعة.

ومن هذا الباب دخلت الجنةَ بَغِيٌّ من بغايا بني إسرائيل؛ لأنها سقت كلباً شربة ماء، بينما دخلت نساء عابدات النار رغم جبال من الأعمال، عندما خفّف الرياء وزنها حتى جعلها هباءً منثوراً.

قدمُ الصدق:

عندما يرى الله صدق القلوب، فإنه يضع يده على أيدي أصحابها؛ ما داموا عاملين لدينه، سائرين في صراطه، مبتغين لرضاه، إذ يبارك جهودهم ويُثبّت أقدامهم، حتى تصير لهم قدم صدقٍ عند ربهم.

استناد الاستمداد :

من يُديم (الاستمداد) من الله عزّ وجَلّ، فإنه يستطيع (الاستناد) على قوته الخارقة تعالى، وبذلك تجتمع للعبد القوتان: الشهودية والغيبية، الكسبية والوهبية، كما قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: { هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ} [الأنفال: ٦٢]

شوارقُ الشواهق :

تؤدي (شوارق الإيمان) إلى تبوّء أصحابها (شواهق الصالحات)، وإن دينامو الإشراق دائماً هو الإخلاص.

توحيدُ الحب :

إن توحيد الله يضمن وحدة القلب، بحيث لا يحب إلا الله ولا يخشى غير إياه. وإن الذي يحب الله لا يحب إلا وفق منهج الله، ومن ثم لا يعرف القلب التشتت، ولا تتنازعه المرغوبات المتباينة، ولا تتجاذبه المحبوبات المتناقضة، ولا تمزّقه الأهواء المتنازعة !

المكان لا الكم :

ليست مشكلة الدنيا الكمّ بل المكان، فكما أن القليل من الماء في أعلى السفينة قد يغرقها، بينما ترتاد الكثير من المياه تحتها بكل انسياب؛ فإن القليل من الدنيا إذا تسلّل إلى قلبك سيغرقك، بينما الكثير منها خارج القلب لا مشكلة فيه ولا خوف منه !

سفينة القلب :

قلبك هو سفينتك إلى الله ودنياك هي البحر، فإياك أن تسمح لمياه الدنيا بالنفاذ إلى قلبك؛ لأنها حينئذ ستغرقه !

قوارب الإخلاص :

لا تستطيع السواحب أن تمنعهم من بلوغ السواحل، ولا تتمكن الدوامات من ابتلاعهم أو الحيلولة بينهم وبين الوصول إلى شواطئ النجاة وضفاف النجاح .

هؤلاء هم الذين ركبوا قوارب الإخلاص المدرّعة ضد دوّامات الحياة، والمضادة لأعاصير الفتن والكاسحة لأمواج المحن.

ليمونة:

الرياء هو الرّحَى التي تطحن الأعمال، وتحيلها إلى غثاء أحوى، فمن أحبَّ طَحْنَ أعماله فعليه بالرياء !

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٦٢

معارجُ التوحيد

النَّظر في الموجودات :

عندما يطالبنا القرآن بالنَّظر في السَّماوات والأرض، فإنَّه يطلب منا أن نشحذ مداركنا العقلية كاملةً للتفكر في سائر الموجودات، وذلك من أجل معرفة كُنْه المخلوقات، وإدراك خصائص الأشياء وطبائع الكائنات، واكتشاف قوانين الطَّبيعة التي تنتظم سائر الموجودات، وصولاً إلى الاستفادة المثلى منها في الاهتداء المعنوي والاستثمار المادي.

تدفُّق الأفكار :

عندما تتدفَّق الأفكار تتبدَّد الأوهام ويتمدَّد المنطق العقلي في عرَصات الحياة، فيتسيَّد السَّاحةَ العقلاءُ ويتعوَّد النَّاس على التَّفكير المنطقي، وهو التفكير المنضبط بالسُّنن، والمنخرط ضمن القوانين العلميَّة والحقائق الواقعيَّة، والملتزم بثوابت الإسلام ومقاصد الشَّريعة.

لُغةُ التَّقريب :

نحن في عالم الشَّهادة الدّنيوية الذي يختلف تماما عن عالم الغيب الأخروي، بقوانينه ومضامينه، وبأشيائه وكائناته.

وحتى يفهم الإنسان هذا العالم الغامض استخدم القرآن لغةً تقريبية يفهمها الإنسان، لكن المصطلحات لا تحمل ذات المعاني الدنيوية، وذلك كصفات الله تعالى، فالضابط هو: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى:١١] وكنعيم الجنَّة الذي تحضر فيه أسماء دنيوية كثيرة، وضابطها: { وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف: ٧١] وحديث الرَّسول ﷺ بأن في الجنة "مَا لا عَينٌ رأتْ، ولا أُذُنٌ سمعتْ، ولا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ!"

معراجُ التَّوحيد :

التَّوحيد هو كلمة الفصل في ارتفاع الشَّخصيَّة إلى الأعالي أو سقوطها نحو الأسافل، كأنَّ توحيد الله معراجُ صعودٍ نحو نور الواحد القهار، أو مهبط سقوطٍ نحو تُراب الشُّركاء المتشاكسين !

ولهذا قال تعالى: {حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١]

معاني الوحدانيَّة :

الوحدانيَّة نُزوع نحو المعالي وطاقة روحيَّة تَحثُّ على التَّسامي، وتدفع نحو التَّسامق، أما الشِّرك فهو هبوطٌ نحو المنازل، وطاقة منبعثة من التراب تَحمل على التسفّل وتدفع نحو الانحطاط.

إن الوحدانية تحليقٌ بأجنحة الروح، والشرك هُويٌ بمهابط الغرائز نحو أيدي الاعتداء وأقدام التجاوز والإثم.

الوحدانية نورٌ يتوهّج في السماء والشرك نارٌ تتأجّج في الأرض،

الوحدانية عشقٌ نورانيٌ يتعاظم والشرك كُرهٌ ظلامي يتلاطم،

الوحدانية طاقة تسمو بالنفوس إلى نُجوم النَّفاسة والشِّرك ينحطُّ بها إلى مناجم الخسارة!

الأسباب القدريَّة :

إنَّ الإيمان بالقدر لا يعني التَّفلت من عمل الأسباب أو التخفّف منها، بل هو معالجة للآثار السّلبية التي يمكن أن تظهر عند بعض النَّاس، نتيجة الالتزام الصارم بها، حيث يُرتّب القرآن الجزاء على الأسباب مهما دقّت، سواء في الدنيا أو في الأخرى، مثل قوله تعالى: {فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ}[الزلزلة: ٧- ٨]

هذه الصَّرامة في السير وفْقَ المنْهج السَّببي قد تجعل البعض يركنون إلى الأسباب قلبيًّا، حتى تُزاحم الله في خلْقه، فجاء الإيمان بالقدر ليقطع الطريق على هذا الوهم، مع إذكاء العمل بالأسباب.

منطق الخلل :

إنَّ (وراثة) الكتاب عن الأسلاف وليس حمله عن علم ودراية، هو بداية الخلل في التعامل مع القرآن الكريم؛ لأنه يطمس معالم التعلّم ويطفئ مصابيح التَّدبّر، ومن ثم لا يتم التعامل مع القرآن كأنَّه أنزل الآن على القارئ، في مقابل العضّ بالنَّواجذ على تقاليد الآباءوأقوالهم، ووراثة علَلِهم وآفاتهم تحت بيارق القرآن الكريم، ومنها علَّة الغرور بحصول المغفرة من الله، المتَّصلة بوراثة الكتاب بشكل وثيق كما جاء في قوله تعالى: {فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا...} [الأعراف: ١٦٩]

إذا عرفنا هذا (المنطلق) عرفنا كيف نتصدى لآثاره ونفنّد (منطقه) الذي تلوكه ألسنة التقليديين وتزخر به أقلامُهم .

ليمونة:

إن قاعدة (اتحاد) الأمة هي (توحيد) الله سبحانه وتعالى.

بورك المتفكرون



قُطوف الفكر٦٣

براكينُ العامِّيَّة

جسْرُ الفصحى:

اللغة العربية الفصحى هي جسر التواصل بين سائر المجموعات العربية ذات اللهجات المختلفة، وبدون الفصحى سيصعب التواصل والتفاهم بين المغاربة والمشارقة، بين الخليجيين والشاميين، بل بين السودانيين والمصريين وهما في وادٍ واحد هو وادي النيل!

ومن ثم فإن من يَدْعون إلى تجاوز الفصحى واعتماد اللهجات كلغات رسمية وفكرية وأدبية وفنية وإعلامية، إنما يعملون على هدم هذا الجسر، سواء أدركوا ذلك أم لم يدركوه، قصدوه أم لم يقصدوه !

تَهديم جُسور الماضي والمستقبل :

من المعلوم أن أمة الإسلام أغنى الأمم بتراثها، حيث تمتلك مئات الآلاف من الكتب والمخطوطات في سائر حقول المعرفة، وهي جميعاً مكتوبة بالعربية الفصحى.

ولو أصبحت اللهجات لغات رسمية فإن جسر الفصحى الذي يربطنا بالماضي سينهدم فيصعب على الجيل الماضي الاتصال بتراثه وماضيه.

وبالنسبة للمستقبل سيتهدّم جسر الذهاب إليه، لأن أي أمة لا تستطيع العبور إلى المستقبل إلا عبر منظومة من الجاهزيات، وعلى رأسها الاعتزاز بالهوية، والفصحى هي إحدى عناصر الهوية الإسلامية؛ لأنها لغة القرآن الكريم.

تكسير جسْر الأصول :

إن إحلال اللهجات محل العربية الفصحى سيهدم جسر التواصل مع أصول الإسلام، وأهمها: القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة الشريفة، فهي مكتوبة بالعربية الفصحى، وتجاوزها سيضع مزيداً من العقبات أمام تدبر القرآن وفهم السنة واستيعاب السيرة .

شبكة الوحدة:

لعوامل عديدة نرى العرب، وهم رأس أمة المسلمين، مختلفين متشرذمين، رغم أن اللغة الفصحى ما تزال بجانب الدين والجغرافيا والتاريخ والمصالح المتداخلة والتحديات المشتركة، تمثل شبكة للتواصل والتفاهم والتعاون والاتحاد.

فكيف سيكون حال الوحدة إذا حلّت اللهجات محل العربية الفصحى؟

لا شك أن عِقد الوحدة سينفرط وعقل الاعتصام سيتراجع؛ لأن اختفاء الفصحى سيؤثر سلباً على سائر مقومات الوحدة، ومشتركات التعاون والاعتصام، وهي : الكتاب والسنة والسيرة والتراث والتاريخ، وستتراجع بقية المقومات إلى حدّ كبير.

الثقة بالذات :

لم يسبق لأمة تعاني من أوجاع عُقَد النقص ومُركّبات الدونية، أن نهضت إلى أعالي المجد وسماوات السؤدد !

ذلك أن النهوض يحتاج إلى مقومات عديدة، في مقدمتها الثقة بالذات واليقين بالقدرة على النهوض، وهل يمكن لأمة تخلّت عن لغتها الفصحى، لغة الحضارة والثقافة لبضعة قرون ولغة خاتم الكتب السماوية المقدسة، أن تبقى واثقة بذاتها .

إن اللهجات التي ستضع حواجز بين العرب فضلاً عن المسلمين الآخرين ستصبح كأنها براكين تفجرت في أعمدة الثقة بالذات، محيلةً إياها إلى حطام أحوى !

زهرة :

إن إحلال اللهجات العامية محل العربية الفصحى سيشكل بركاناً ثائراً ستكون له عواقبه الوخيمة على العرب خاصة والمسلمين عامة، ولهذا يقف مستشرقون غربيون ومتغربون شرقيون وراء دعوات إحلال اللهجات مكان العربية الفصحى !

ليمونة:

العربية هي أغنى لغات العالم قاطبة وأكثرها امتلاكاً لمقاليد الثقافة وأواني الحضارة، وتكمن المشكلة في أهلها الذين ينبغي أن يتغيّروا !

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٦٤

غوائلُ المَوت

تباين:

الموت هو الحقيقة الأكثر تبايناً في حياة البشر، فهو أشدّ (ظهوراً) على المستوى العام وأكثر (خفاءً) على المستوى الخاص !

جسرُ الموت :

الموت هو الجسر الذي يَعبُر عليه الناس من عالم الدنيا إلى عوالم الآخرة، ومن دار العمل إلى دار الجزاء، ومن أرض الفَناء إلى أرض البقاء، ومن مزارع الأسباب إلى بيادر الحصاد، ومن مَعامل الامتحان إلى آفاق الجزاء.

تبشيعُ الموت :

من يقرأ كثيرا من أدبيات أهل الكتاب ومواريثهم التي خلصت إلى المسلمين، يلحظ بجلاء أن هذه المواريث جَعَلت الموت كائناً مُرعباً، ومع أن الغرض قد يكون نبيلاً وهو دفع الناس إلى الاستعداد والعمل، إلا أن كثافة (الصورة القبيحة) للموت صنعت أثراً عكسيا، فجعلت كثيرين (يتعثّرون بظلّها)، بين من اندفع للمسارعة في النّهْل من شهوات الدنيا والعَبّ من لذائذها، قبل أن يفجؤه هذا الوحش البشع، وبين من مات رعباً قبل الموت فشغلته مشاعر الخوف عن العمل، وأوغل في الوَجَل بعيداً عن الرجاء والأمل.

النوم الطويل :

يُقدّم القرآن الكريم الموت بصورة غير مرعبة، عندما يقرنه بالنوم، قال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزمر: ٤٢]

فالنوم وفاةٌ صغرى والموت نوم طويل أو وفاة كبرى، ومن ثم لا مكان فيه لتلك الأساطير التي سُطِّرت حول الموت؛ حتى جعلته كائناً متوحشاً يتحرق شوقاً للبطش ببني آدم ولا يرحم حتى الصالحين منهم!

ووصل الأمر إلى حدّ أن بعض كتب الروح تتحدث عن أن أحد الصالحين سُئل وهو في حالة النزع عن الموت، فذكر أنه يشعر كأن الكون كله صخرة واحدة وُضعت على صدره، وكأنه يتنفس من ثُقب إبرة!! "

هواجسُ الموت :

إن الصورة البشعة للموت التي خلّفتْها مواريثُ أهل الكتاب
وأساطير بعض المسلمين الذين أرادوا الإحسان فأساؤوا، قد خلقت في نفوس بعض الصالحين هواجس مَرَضية، نالت من سعادتهم بالإيمان وتمتعهم بطيبات الدنيا، وانتقصت من فاعلياتهم في صناعة الحياة، وجعلتهم كائنات مشوهة ومصابة بعاهات مستديمة، مما ساهم في تعزيز ثقافة السلبية وتعظيم ظاهرة الغثائية!

موت الحياة :

يمكن أن يصبح تَذكّر كلمة (الموت) وسيلة لتعزيز أبعاد (الحياة) أو لقطع بعض شرايينها، ذلك أن الاستشعار الصحي للموت يميت الشهوات المُتسلّلة

إلى القلب ويقتل مشاعر التضجّر، ويزيد من مشاعر التمتع الصحي بالطيبات، التمتع الذي يصير زاداً إضافياً لصناعة الحياة.

وبدون هذا الفهم السّوِيّ يصبح الموت أداة لقتل الأمل والعمل، ولتبديد التفكير والتدبير، ولخنق الإبداع والابتكار، مما يتسبب في تمزيق الفاعلية إلى أشلاء متطايرة وأجزاء متناثرة، كما هو حاصل اليوم في واقع كثير من المتدينين، ولاسيما المتصوفة الذين يُعدّون بعشرات الملايين في أمة المسلمين !

حياةُ الموت :

الموت في الرؤية الإسلامية يُخمد حرائق الطمع والظلم والفزع ولا يطفئ قناديل الحياة والعمل والأمل، بل إنه يوقد شموع الخدمة والمثابرة والسعي .

فمن المعلوم أنه لا يوجد أشد رعباً من القيامة وأهوالها التي استطرد القرآن في إيرادها، ومع ذلك فإن الرسول ﷺ يُعلِّمنا درساً بليغاً عندما يقول: "إذا قامت الساعة وفي يَد أحدكم فسيلة فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها فليغرسها

إنها دعوة لاستمرار العمل مهما كانت الظروف، ولمواصلة إذكاء الأمل في سائر الأوقات؛ لأن صناعة الحياة عبادة، والعبادة لا تسقط إلا بالموت المتحقق، قال تعالى: {وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر: ٩٩].

ليمونة:

الموت في التصور الإسلامي أداة مُبصرة، حيث يَجتثّ أشواك (الطمع) ويسقي شجرة (الطموح) !

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٦٥

رياضُ الأدب

الأديب الرسالي:

الأديب الرسالي ينبغي أن يجمع بين الأصالة والمعاصرة، أصالة التصوُّر ومعاصرة الصُّورة، ثبات المقاصد وتَغيّر الوسائط.

الأديب الفنان :

الأديب الفنان ذو ذوق رفيع، فهو يجمع بين المشاعر الرقيقة والأحاسيس الرقراقة، حتى يجعل من قصائده أغاني جذّابة؛ فتترنّم كلماتُه وتَعزف قوافيه، تتراقص أوزانه وتَتحرّك صُوَرُه.

الأدبُ الباني:

الأدب الذي يُكتب له الشيوع والذيوع، هو الذي يُحسن تصوير الواقع بدقة ويتولى تشريحه بمهارة، فيكشف نقاط قبحه وجماله.

وبإتقانه لتصوير ما هو كائن ينتقل بالجمهور إلى صياغة ما يجب أن يكون، أي ترقيته من الواقع إلى المثال، ونقله من الكَلام إلى الكِلام!

الأدب الاستشرافي :

الأدب الاستشرافي هو الذي يتولى تشخيص الآني وعينُه على الآتي، حيث يقرأ الواقع القائم بغرض التحكم بالمستقبل القادم.

إن تعمق الأديب في فهم الواقع يُمكّنه من إدراك الواجب الذي يجب فعله لارتياد المستقبل بكفاءة، والتأهل لاقتحام القادم بعيداً عن عوائق الماضي وموبقات الحاضر.

إنه يُقبِّح للقلوب البوائق التي تثقل حركة الناس فيتخففّوا منها، حتى يساهموا في الاستشراف العلمي للمستقبل ليكون مُشرِّفاً ومُشرقاً.

تفاحة:

إن الناظر في الأدب العربي المعاصر، سيجد أنه في كثير من نواحيه عناوينا بلا مضامين، بل يمكن القول عن بعضه بأنه (أدب) بلا أدب !

فشل الكلام :

أصبح المسلمون ولاسيما العرب (ظاهرة صوتية) في العصر الحديث، حتى أن الشاعر حافظ إبراهيم قال، وهو يخاطب الغربيين: قد تركنا البَرّ والبحر لكم

فدعونا نملأ الدنيا كلاماً

ومع أننا متخصصون في الكلام مقابل تخصصهم في صناعة الأفعال، إلا أنهم تجاوزونا حتى في تخصصنا، وأرقام وسائل الاعلام والتواصل الاجتماعي تحكي عن فروق كبيرة لصالحهم.

هذا من الناحية الكمية، أما من الناحية الكيفية فالأمر أشدّ وأمرّ.

الأدب الإيقاظي :

هو الأدب الذي يستخدم قصائده كمطارق يَدقّ بها جباه النائمين؛ حتى يستيقظوا من سباتهم ويَصْحوا من سُكْرهم، وحتى ينتبهوا من غفلتهم ويَهُبّوا من رقادهم.

ومن ذلك قول الزبيري رحمه الله :

يا قادة العرب والإسلام قاطبةً

قوموا فقد طال بعدالصبح نَومَكُمو

وكما قال اليازجي :

تنبّهوا واستفيقوا أيها العرب

فقد طمى الخطْبُ حتى غاصت الرُّكَب.

الفكر الإحيائي :

يبعث الفكر المتقد الأموات من قبور الجهل وأجداث التقليد، معيداً إليهم نضارة الحياة وألَق التفكير.

ولأن الأموات لا يسمعون فإن أصوات الأدباء الإيقاظية لن تُجْدي إن لم يَسبقها الفكر الإحيائي.

وما لم يحدث ذلك ستتكرر صيحة الفارس اليمني الصحابي عمرو بن معد كرب عندما قال :

لقد أَسْمعْتَ لو ناديتَ حياً

ولكنْ لا حياةَ لمن تنادي

ليمونة:

من يسرق نصاً أدبياً كمن يقطع أنفاً لغيره ويضعها في وجهه !

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٦٦

مفاتنُ النساء

استغلال طبيعة المرأة:

المرأة كائنٌ جميل ومخلوق ناعم، يمتاز برقة عالية ونعومة شديدة في الخَلْق والخلائق، ولهذا فإنها تعشق الجمال وتحب النعومة .

ولقد استغل دعاة التغريب هذه الطبيعة الأنثوية، فنَصَبوا كمائنهم المُحكمة ونَسَجوا حبائلهم المُتقنة، وذلك بطرق تمتلئ بالفتنة وتنضح بالغواية، وبوسائل تستجيش مكامن الجمال وتستفز طبائع الدلال؛ وذلك من خلال وسائل التربية والتوجيه والإعلام، حتى نجحوا في إغراء الكثيرات بالسفور وغوايتهنّ بالتبرج !

خطواتُ الشيطان :

لقد عرف التغريبيون من أين تؤكل أكتاف النساء، حتى أوصلوا أعداداً غير يسيرة إلى التخلي عن حجابهن الشرعي، رغبة في إظهار جمالهن سافراً أمام الأعين ليحصلن على كلمات الثناء والإطراء التي تُشبع فطرتهن في هذا المضمار .

وما زال شياطين الإنس يمارسون كل صور الإغراء وشتى أساليب الإغواء، حتى نقلوا بعض النساء من السفور إلى الفجور !

حجابُ الجهل وعُرْي الفكر :

لم ينجح الفاسدون في غواية المرأة، من إقناعها بالسفور إلى التحول لبضاعة نفيسة أو مزجاة، تتناقلها أيدي العابثين وتلتهمها وحوش الفساد، إلا عندما ارتدت حجاب الجهل مع اكتفائها بحجاب الثياب، أما حجاب الفكر فقد كانت عارية منه، بسبب التقاليد البالية التي أثقلتها بالعادات وأثْخنتها بجراح الأعراف الجاهلية، ومن ذلك ارتداء الأسمال البالية دون التّغطّي بثياب التقوى والتّلفّع بأَرْدِية العلم !

المجرمون في حقّ المرأة :

عندما أتفكر في حال المرأة المسلمة أراها في الغالب ضحية التقاليد التأريخية الراكدة والموجات التغريبية الوافدة، وكلما تَمعّنت في جنايات هؤلاء وأولئك أحتار في الأكثر جُرماً والأشد جناية !

قوة الضعف :

عندما لا يكون الزوج من أهل الغلو والتقليد ولا من أهل الجحود والتغريب، فإن الزوجة تصير (قوية) في أسرتها بقدر ما تظهر من (ضعفها) !

الفتنة المتبادلة:

إذا كانت النساء أشد الفتن التي يتعرض لها الرجال، فإن الرجال هم أقوى الفتن التي تُبتلى بها النساء، ذلك أن كل جنس مودَعٌ في فطرته ميلٌ غريزي و نفسي إلى الجنس الآخر، ولاسيما أن الله أودع في كل جنس صفات وطبائع تجذب الآخر ولا تتواجد فيه؛ وذلك نتيجة الخِلْقة الأولى التي انشطرت فيها النفس الواحدة إلى آدم وحواء!

تكاملُ الصفات :

لو كانت ذات الخصائص والصفات موجودة عند الرجال والنساء لتنافرا وما تظافرا، ولتآكلا وما تكاملا، ولتجَانبا وما تجاذبا.

فالرجل يبحث عن النعومة واللطافة والعاطفة، والمرأة تهوى القوة والصرامة والصلابة، ومن ثم فإن كل طرف يسكن إلى الآخر، وتنبعث منه مشاعر المودة والرحمة والحُبّ نحو الآخر !

🍅سفورُ الأخلاق :

لا تكمن خطورة التبرج والسفور فقط في أنه يكشف مفاتن المرأة ويغري ضعاف النفوس من الرجال، بل إن السفور على المدى البعيد يُظهر قبائح المرأة، لأنه يهتك حجاب الستر والحياء، ويُظهر طبائع التراب القميئة والقمينة بالإخفاء !

🍅زراعة :

إن لم تتظافر إرادة المجتمع كله على (زراعة الفضائل)؛ فإنه سيتولى رغم أنفه (حصد الرذائل).

🍋ليمونة :

إن (التفنّن) في إظهار (المفاتن) بعيداً عن ضوابط الشريعة؛ يجعل المرأة بحق أكبر (فِتَن) الدنيا !

💠بورك المتفكرون💠

قُطوف الفكر٦٧

شمائلُ الشخصية

الشخصية المتدفقة :

الشخصية الفاعلة هي التي يتدفق عقلُها فكراً راشداً، ويسيل قلبُها رحمةً سابغة، ويتصبب فؤادها عواطف رقيقة، وتَنْصَبّ من بين جوانحها أحاسيس رقراقة، وتفيض نفوسها بالحب والشفقة والحدْب على كل الكائنات، وتتفجر جوارحها خيراً وخدمة، حيث يتصبب عرق الخدمة للخلق، وتسيل دموع الرقة على الكائنات، ولا تتردد عن بذل دمها فداء للناس ودفاعاً عن الحُرُمات .

اللين الجاد:

الشخصية الإسلامية قويةُ العزم جادّةُ السير، غير أن عزمها لا يَذهب بلينها، وحزمها لا يُلغي هَوادتها، وصرامتها لا تَمسح رحمتها، وصلابتها لا تمحو نعومتها، وجديتها لا تستأصل لطفها، ذلك أنها شخصية متوازنة في كافة أمورها.

الصرامة العذبة :

إن الجِدّ في الشخصية الإسلامية لا يعني التجهّم، والصرامة لا تعني بالضرورة أن يكون المرء عبوساً قمطريراً، وليس من ضروريات المسؤولية التكدّر وتقطيب الجبين، ولا يتطلّب الدّأب في العمل بتاتاً التكشير في وجوه الناس.

فالمسلم يسعى بَاسِمَ الثغر، ولا يمنعه انغماسُه في الأعمال من الضحك المنضبط والابتسامة العذبة، ولا يَحُول دأَبُه دون مداعبة الآخرين وملاطفتهم!

ميزان الحكمة :

لأن الشخصية الإسلامية تُبنى على العقل السوي والفهم السليم؛ فإنها تتحلّى بالمنطقية والحكمة، حيث تُزاوج بين ما تبدو متناقضات عند عامة الناس.

فالحكيم يعرف متى يضحك ومتى يبكي، أين يبتسم وأين يتجهّم، في وجه من يَتلطّف وفي وجه من يكون خشناً !

اقتحام الشخصية :

إن الخطاب المُتقن بناؤه بلَبِنات العلم، والذي يمتلئ بأمشاج الإخلاص ويزخر بأدفاق الحياة، هو من يستطيع بكفاءة بالغة أن يفتح أقفال القلوب ومغاليق النفوس، ويقتحم الموانع ويحطم الآصار، وأن يحرر الشخصية من أوهامها ويطهرها من أدرانها، فيداويها من الأسقام ويُخلّصها من الأوجاع.

ربيعُ الشخصية :

الغرور هو الخريف الذي إذا داهم الشخصية أصاب مَلكاتها بالذبول ولَوّن منجزاتها بالاصفرار، وأدى بها بعد آن إلى السقوط في قارعة الحياة، متحولةً من نعمة إلى نقمة!

أما ربيع الشخصية فهو الميلاد الحقيقي لها، حيث يعرف الإنسان قدر ذاته، فلا يغترّ ولا يتضاءل، ومن هنا تبدأ نواتُه الفاعلة بالتكوّن والترعرع، إذ تَخْضرّ مَلَكاتُه وتشتد قدراتُه، تَخرج الطاقات الفاعلة من براعمها وتَتفتّق الأعمال

الطيبة من أكمامها، فتزهر أخلاقه وتثمر مناشطه، تزدهر طبائعه وتزدان معاملاتُه.

احترام الذات :

إذا تَربّى المرء على احترام ذاته، فإن حَجَر الأساس في شخصيته السوية تكون قد بُنيت، إذ أنه حينئذ لا يَقبل الاستذلال ولا يطأطئ رأسه خضوعاً وخنوعاً.

ومن يحترم ذاته لا يمكن أن ينتقص من ذوات الآخرين، حيث لا يتكبر ولا يقبل أن يتكبر عليه أحدٌ، لا يتصاغر أمام أيٍ كان ولا يسعى لأن يتصاغر له أحد، وهذا هو الأساس المتين للشخصية السّوية.

ليمونة:

تَتجِّهُ الخلائق الفردية نحو الذات، بينما تتجه الشمائل الشخصية نحو المجتمع، وما أحوجنا لها جميعاً.

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر٦٨

لَفَحاتُ الجِنْس

السُّعارُ الجنسي:

الجنس هو شهوة غريزية أودعها الله في الإنسان من خلال خِلْقته الترابية الأولى.

وحضَّ الإسلام على إشباعها وفْق الضَّوابط الشرعية المعروفة.

غير أن الطاقة الجنسية تشهد في هذا العصر انبعاثاً خطيراً أشبه بالبركان، حتى صارت سعاراً عظيماً، سعّرته وسائل الإعلام التي تطورت تطوراً هائلاً، من صحف ومجلات، وإذاعات وقنوات فضائية، ومواقع ومجلات إلكترونية.

اسْتعارُ الجنس:

إن تأخير سنّ الزواج يجعل شهوة الجنس تضطرم، مثل النبات الذي لا يجد السّقْي والرّي فييبس، وبعودِ ثقابٍ واحد يمكن أن يحترق ملايين من أعواد الذُّرة والحشائش اليابسة .

وبالمثل فإن الشهوة التي تستعر نتيجة تأخير الزواج، تأتي الصور العارية، والمناظر المثيرة، والمشاهد الداعرة، واللقطات الفاحشة، لتقوم بدور أعواد الثقاب في تسعير الشهوات وإشعال الغرائز، ومن ثم تقوم بإحراق الفضائل والأخلاق !

غزارة الإثارة :

من المعلوم كيف كان مجتمع الصحابة مثالًا في العفة والنقاء، وذلك باجتماع العفَّة الداخلية والتحصّن الخارجي، نتيجة لانعدام المثيرات وشيوع الآداب، ولقوة الضوابط الاجتماعية المُنْسلّة من الإيمان.

وعندما استشار عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن متوسط الفترة التي تصبرها المرأة عن زوجها، توصَّل إلى أربعة أشهر، وأصدر قراراً يمنع غياب الزوج عن أهله أكثر من هذه الأشهر الأربعة، ولو كان في أقصى الأرض فاتحاً!

تُرى لو أن عمر وُجد الآن ورأى هذه الأمواج الهائلة من المثيرات والمُسعرات كم سيجعل مدة انقطاع الزوج عن زوجته؟!

السِّحر الجنسي :

يرتبط السحر بالجنس بشكل قوي، سواءً في المجتمعات المتخلفة أو المتقدمة مع اختلاف صُوَر السحر، ففي المجتمعات المتخلفة يقوم السَّحَرَة بعمل وصفات تُحبِّب أحد الجنسين بالآخر إلى حد العشق والوَلَه، أو تؤدي إلى تنفير أحدهما من الآخر، بحيث يُخيّل للزوج مثلاً أن زوجته شديدة القبح مهما كان جمالها، وأن رائحتها قذرة مهما كانت نظيفة وذات رائحة زكية! وبذلك فإن السّحَرة يُفرِّقون بين المرء وزوجه، كما جاء في القرآن.

أما في المجتمعات المتقدمة فقد امتلك شياطين الإثارة الجنسية خبرات هائلة في تزيين المرأة، وتعطيرها، وتجميلها، وعرض مفاتنها، بصورة تسحر الأعين وتَفتن الألباب!

وسائل التقبيح :

ابتكر شياطين الإثارة وسائل عديدة لإظهار المرأة في حُلَل الإثارة وإلباسها مفاتن الإغراء، ومن ذلك أدوات التجميل التي ينفق عليها البشر عشرات المليارات من الدولارات سنوياً، فهي غالية الثمن، وباهضة الضرر على صحة المرأة وجمالها على المدى البعيد، إذ تؤكد الدراسات العلمية بأن تلك المواد تصيب خلايا الوجه بالكسل وصولا إلى الشلل التام بجانب المضاعفات الأخرى، مما يُحوّلها إلى أدوات تنهش جمال المرأة، بجانب الأضرار المعنوية!

جمال الزواج المبكر :

من خلال خبرتي بمن أعرف يبدو لي أن الزواج المبكر للمرأة من وسائل حفظ جمالها، حيث تبلغ الأربعين وكأنها فتاة في الخامسة والعشرين من عمرها، بينما تترهّل المرأة التي تتزوج متأخرة وتغزوها علامات الشيب على عَجَل، حتى تبدو أكبر من سنها الحقيقي!

ليمونة:

للجنس لَفَحاتٌ ونَفَحات، فمن لم يُصِب من نفحاتِه فقد تصيبه لفحاتُه!

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر٦٩

مسلسلُ التباينات

تباينٌ عجيب:

من آثار اختلال الفكر وجود أعداد كبيرة من المسلمين تتسابق لبناء (آلاف المساجد) سنويا، لكن أقل القليل من هؤلاء من يبذلون من أموالهم للمساهمة في تثبيت خدام (المسجد الأقصى) وحمايته من دنس الاحتلال!

انفصامٌ غريب:

هناك طلابُ علم بل ومحسوبون في زمرة العلماء، يعانون من انفصام غريب، حيث يحفظون الأسانيد أكثر من فهم المتون، وينفقون أوقاتهم ويستهلكون مَلَكاتهم العقلية على الرواية أكثر من الدراية، ومن ثم تصبح ذواكرهم جبارة بينما تصير مَلَكات التحليل والاستقراء والاستنباط والخيال عندهم شديدة الضعف والفقر!

البَونُ الأغرب :

من يقارن بين حقيقة الإسلام وواقع المسلمين يجد البون بينهما شاسعاً، فالإسلام في قمم السموق وأغلب المسلمين في قيعان السقوط، الإسلام ذو قوة ذاتية تفوق الحديد وكيانات المسلمين أوهى من بيوت العنكبوت !

الإسلام يمتلك حججاً واضحة بينما حُجَج المسلمين داحضة.

يعتمد الإسلام المحاججة والبرهنة والإقناع ويميل عامة المسلمين إلى الوعظ والخطاب العاطفي وإلى استثارة الانفعالات وممارسة صُوَر من الإكراه!

بين الانتصار والانكسار :

ما دخل الإسلام معركة قط مع أي دين إلا انتصر، بينما ما دخل عالَم المسلمين معركة مع أعدائه في هذا الزمان إلا انكسر !

هذا البون هو ثمرة طبيعية لحالة المشاقّة التي اتخذها المسلمون في تعاملهم مع الإسلام، حيث ظل شعاراتٍ تُلاك وكلمات تُردد، وربما طقوساً تؤدَّى بدون وعي بالمقاصد أو حصْد للثمار !

غنى الألْسنة وفقر الأيدي :

تمتلك أمتنا ما يزيد على مليار ونصف المليار لسان، بينما
لا تمتلك إلا ملايين الأيدي .

تَعملُق الروح و تقزُّم العقل :

هناك صنف من المتدينين يعانون من فتوق هائلة في أبنية شخصياتهم وطرائق تَدَيُّنِهِم، حيث يُسخِّرون كل طاقاتهم للتزكي الروحي دون الترقي العقلي، فينتج عن هذه المعادلة المختلة شخصية (كاريكاتورية)؛ تتعملق في المشاعر وتتقزّم في الأفكار، وتصير الشخصية الروحية كجمل عملاق بينما يصير العقل كطفل صغير، يقود هذا العملاق وقد يُورده المهالك !

تَضخُّم الجسم وضآلة العقل:

إن أغلب غير المتدينين ونتيجة للمادية الطاغية واستعار الشهوات، يُسخِّرون سائر طاقاتهم لتغذية الأجسام، بتلبية حاجاتها وإمدادها بأزوادها، حتى تتضخم الأبدان، في الوقت الذي يهملون فيه العقل حتى يضمر ويكاد أن



يموت من الإملاق، وبذلك التباين الرهيب يصيرون بأجسام البغال وأحلام العصافير !

ذاكرتا الذّباب والبعير:

من المعروف أن ذاكرة الذباب مداها قصير جدا، لا يتعدى بضع دقائق، بينما ذاكرة الإبل قوية جدا، حتى أن البعير لا ينسى من أساء إليه بعد سنوات طويلة، ولذلك قيل في أمثال العرب:" أحْقَد من جمل !"

ومن شرّ بلايا شعوبنا المختلفة في هذا الزمان، أنها تتمتع بذاكرة (الذباب) في التعامل مع خطايا الحكام وبذاكرة (الإبل) في التعامل مع أخطاء المواطنين أمثالهم، ولذلك تتراكم الأحقاد، وتتمكن الضغائن، وتطول أزمنة الثارات!

ليمونة:

يلعن كثيرون الشيطان وهم عبيدٌ لمكائده ومخططاته، ويسُبُّون الاستعمار وهم أسرى لثقافته ومشاريعه !

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر٧٠

أكَاسيرُ الحُبّ

التَّعبُ اللذيذ :

الحُبُّ تعبٌ لذيذ، فهو للقلب متعة، وللروح بهجة، وللعقل سعادة، لكنه قد يُضني الفؤاد، ويُشقي الجسم، ويُتعب الجوارح، إذ أنه عطاءٌ بلا مَنٍّ وخدمةٌ بلا ثمن !

العشق الأصيل :

عندما يتدرج المرء في مقامات الحب الأصيل حتى يصل إلى مقام العشق؛ فإنه يستطيع حينئذٍ أن يصنع الأعاجيب، إذ ستمتلك شخصيته طاقات خارقة، تشبه خاتم سليمان، وجاذبية نيوتن، ومثالية أفلاطون، ومصباح أديسون بل ومصباح علاء الدين السحري!

الحب المثالي :

الحب المثالي الذي يمتلك ظلاً من الحقيقة، ويستطيع التألق وسط زحام الحياة، هو الذي يبدأ بتعانق العقل والعاطفة، ويتألق بالتزاوج بين أتواق القلب وأشواق الروح.

الحب الأعمى :

مع أنهم يقولون بأن الحب أعمى، لكنه لا يصير كذلك إلا إذا سار المُحبّ خلف العاطفة القلبية دون أن يكون للعقل أي حضور، فإنه حينئذٍ قد يقود صاحبه بخطام عواطفه إلى حَتْفه.

نظَّارة الحُب :

العشق يمنح صاحبه نظَّارة جميلة لا يرى بها إلا محاسن محبوبه، حيث يمكن أن تنقلب القبائح إلى ملائح والوساخة إلى وسامة، وتصبح الدمامة فتنة والشوكة وردة !

الحب الأصيل :

الحب الأصيل شرفٌ لا شهوة، وتضحية لا نَزْوة، ومبدأ لا متعة، ودعوة لا ادعاء، وعاطفة نبيلة لا غريزة تافهة.

داءٌ ودواء :

الحب داءٌ لا شفاء منه وذلك إذا كان من طرف واحد، وإذا وجد المحب استجابة من محبوبه فإنه يصير بلْسماً لقالبه وترياقاً لقلبه.

عاطفة ذات حدين :

الحُبّ قيمةٌ سامية إذا ارتدى ثياب السّتْر وأرْدِيَة العفاف، أما إذا نزع المرء هذا الرداء فإنه يصير عربدةً فاسدة ويستحيل إلى عَفَن عابرٍ للأنوف!

دائرة الحُب :

أدّت الأمية الفكرية والتبلّد المشاعري في مجتمعاتنا إلى تضييق كثير من الدوائر الواسعة، ومنها دائرة الحب، فقد ضاقت هذه الدائرة في حسّ كثيرين، حتى لم تعد تتسع إلا للأنثى، وهناك من ضاقت دائرته حتى لم تتسع إلا لنفسه؛ وهو الأناني الذي يدور في فلك ذاته لأنه لا يحب إلا نفسه!

أغلى الحُب :

الحب أنواع متعددة، وأَنْفَسُها حُبّ العبد لربه؛ لأنه يجعل صاحبه شلاّلاً يتدفق بالعطاء والرحمة لكل الكائنات، واجداً في ذلك مُتعته ومَنفعته.

ويجعله هذا الحب يرى كل شيء جميلاً، حيث يُفَتِّق فيه مَلَكات الجمال ويَحُدُّ عيون الإبصار، حتى أنه قد يُفْتَن بخَرْط القَتاد!

ليمونة:

الحُبُّ قد يجعل القاضي عادلاً ولو كان القانون جائرا، ويجعله شديد الحساسية ولو غابت رقابة الدولة!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر ٧١

شُهُبُ الشَّهوات

شِهَابُ الشَّهوة:

الشَّهوة شهابٌ من نار، يمكن أن يُشعل به المرء طاقات فاعليته، ويمكن أن يُحرق به قلبه ويفني طاقته ويقضي على حياته !

كَسْرُ الشَّهوة :

المؤمن يكسر شهوته، لكن كسرها لا يعني أن يلغيها؛ لأنه بذلك يعاكس الفطرة، ومن ثَمّ سينكسر هو لا هي، وإنما كسرها هو عدم الإسراف فيها وعدم السماح لها بالدخول إلى حصن الغاية أو اقتحام قلعة القلب!

عُبوديَّة الشَّهوات:

الشهوات من مكامن العبودية لله في محراب الحياة، إذ تُلحّ النفس الأمّارة عليه لاقتراف الذنوب في سبيل إشباع الشّهوات الّتي لا تَشبع أصلاً، حيث تتزين الدنيا وتتلفّع بأثواب الإغراء والإغواء !

وعندما ينجح المرء بالصمود في هذه الجبهة، بحيث لا يترك المأمورات ولا يقترف المنهيات، فإنه يكون قد نجح في أخطر شعبة من شُعَب العبادات .

وإذا انجرف مع التّيار واستجاب للوسوسة والإغراء، ولبّى أوامر السوء التي تطلقها نفسُه فقد عبد شهواته، ومن هنا جاءت تحذيرات الرسول ﷺ وتنديداته القوية: "تَعِسَ عبدُ الدينار، تَعس عبد الدرهم، تَعس عبد الخميلة، تَعِسَ عبد الخميصة، إن أُعطي رضي وإن مُنع غضب."..

التَّعبُّد بالشّهوات :

عندما خلق الله الإنسان من التراب الأرضي والروح السّماوي فقد تعبَّده بإشباع حاجات البُعدين وفق تعاليم الاسلام وحدوده، وجعل السعادة الدنيوية والفوز الأخروي رهين التوازن في إعطاء كل بعدٍ زاده ومستحقه .

ومن ثم فإن المسلم يعبد الله بالصيام كزادٍ لروحه ويعبده بالأكل كزادٍ لجسمه، يعبده بالعفاف عن الجنس المحرم ارتقاءً بروحه ويعبده بإشباع الرغبة الجنسية المشروعة عبر الزّواج سكينةً لجسمه، حتّى أنَّ الإسلام جعل الزّواج نصف الدين.

وكما أنَّ المسلم يعبد الله بقيام الليل الذي يمنحه زاد الرُّوح فإنَّه مأمور أن ينام حتى يقضي الجسم وطره ويشبع حاجته إلى الراحة والسكينة، قال ﷺ: "وإنَّ لبدنك عليك حقًّا". وكان الصحابة يعُون هذا الأمر جيدا حتى أن أشدهم قسوة

على نفسه وهو عبد الله بن عمر رضي الله عنهما كان يقول:" إني لأحتسب نَوْمتي كما أحتسب قَوْمتي !"

إذكاء الشَّهوات للطَّاقات:

يجعل المنهج الإسلامي من الشهوات معارج للارتقاء إلى الله؛ وذلك باستحضار روح التعبد علماً وقلباً، وبجَنْي ثمارها اليانعة حيث تشحذ همَّة الإنسان بعد أن تُسكن همومه، وتُذكي ملكاته البنائية ومواهبه الخلّاقة .

إن انضباط الشهوات بحدود شرع الرحمن يؤدي إلى إسعاد الإنسان وتعزيز عطائه، وتكثير عطاياه، وتفجير مواهبه، وتقوية فاعليته في عمارة الحياة.

عُبوديَّة الجِنْس :

من أهم وأخطر الشهوات شهوة الجنس، ولهذا أوجب الإسلام الزواج من حيث المبدأ وجعله نصف الدين، ورغّب بالمعاشرة الزوجية الطيبة، بما في ذلك المعاشرة الجنسية، حيث قال تعالى: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ ۚ} [البقرة: ٢٢٣]

وجملة التقديم للأنفس كما يقول المفسرون تعني أن الجنس عبادة يؤجر عليها الإنسان في الآخرة كما قال ﷺ:" وفي بُضْع أحدكم صدقة"، ومن ثم يجب إتقانها على أفضل وجه!

وبما أنَّ المؤمن يُقدِّم بين يدي الجماع بما يزيده حلاوة؛ فإن ذلك يجعل كل زوجٍ ستراً للآخر من رياح الفواحش وأعاصير الرذائل، كما قال تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ..} [البقرة: ١٨٧]

ليمونة:

يمكن للمرء أن يتعبّد الله بالشهوات أو يَعبدها، ومن ثم فإن فيها الأجر أو الوزر، كما قال تعالى: {لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ} [البقرة: ٢٨٦.]

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٧٢

نفائسُ الإنسان

إشكالُ الأَشكال:

إن الأشكال وحدها لا تستطيع أن تحلّ الإشكالات، ولقد تَعجّب جلال الدين الرومي من أعمى يُخرج رأسه من النافذة لمشاهدة الخارج ومن أعمى البصيرة الذي لا يرى من نافذة رأسه !

إن الأشكال لا تُغيِّر من الحقائق شيئاً، فما لم يتغير لُبّ الأشياء فسيبقى الإشكال هو الإشكال، ولبّ الحياة هذه كلها هو الإنسان فهو داؤها ودواؤها !

المسلم الإنسان :

إذا كنت مسلماً بحق فأنت إنسانٌ فارِهُ الإنسانية، ذلك أن هذا الدين يرفع غرائزك البشرية الوضيعة إلى سموّ القيم الإنسانية الرفيعة .

إن الإسلام يقول لك كن إنساناً وكن بعد ذلك ما شئت، فإن أصبحت إنساناً فلا قلق أن تكون وطنياً أو قوميا أو أمميّاً، مذهبياً أو طائفيا، قبلياً أو مناطقياً. ولا ضير أن تنضم لهذا الحزب أو إلى تلك الفرقة ما دمت إنساناً يُعلي من قيم الإنسانية، حيث لا تقودك أواصر التراب ولا تنقاد وراء مشاعر القطيع !

نفاسة الإنسان :

إن الإنسان عزيزٌ وجودُه، نفيسٌ معدنُه، ولذلك كان الوصول إلى أفق الإنسان الكامل صعب المنال، نادر الوقوع، حتى أن سلطان القلوب جلال الدين الرومي خرجَ بخياله ذات يومٍ يحمل فانوساً في عزِّ النهار ليبحث عن إنسانٍ حقيقي، مبدياً استعداده لأن يكون تراباً تحت قدميه إن وَجَدَه!!

الإنسان هو الفيصل :

إن الحبل المُتدلّي من أعلى يمكن أن يصبح نعمة أو لعنة، وأنت أيها الإنسان من يحدد ما يكون، فيمكن أن تصنع منه سبباً للارتقاع نحو الأعالي وتسلق المعالي إن كنت آملاً طَموحاً، ويمكن أن تجعل منه مشنقةً للانتحار والتدلّي في وهاد الهلاك إن كنت بائس الروح يائس القلب!

النفس أخطر من المغول :

إن حقائق الواقع في كل حقب التاريخ تؤكد أن أعدى أعداء الإنسان نفسه التي بين جنبيه، وأن الفارس الحقيقي هو من انتصر على نفسه، وأن من يستطيع الانتصار على غيره هو من ينتصر على ذاته أولاً .

وهذا ما أدركه سائر العلماء والعارفين، ومن هؤلاء جلال الدين الرومي الذي ظهر في عصر المغول، وكان يقول لمريديه: إن الإنسان يجب أن يخاف من نفسه وشهوته أكثر مما يخاف المغول !

إنسان الصورة :

الإنسان الخالي من الإيمان، ومهما كان جماله، يبقى مجرد لوحة في جدار أو صورة في مفرشة، فهل لعَينيْ الصورة أن ترى الخيرات؟ وهل لأذني الصورة أن تنتفع بما تسمع؟ وهل لأنف الصورة أن تأنف عن شمّ القاذورات؟ وهل

تمتد يد الصورة بالعطاء؟ وهل تسعى قدَمُ الصورة إلى استباق الخيرات واجتراح المنافع ؟ !

الإنسان هو الأصل :

قام زعيم الصهيونية العالمية حاييم وايزمن سنة ١٩٢٤م بافتتاح الجامعة العبرية في القدس، وقال: الآن تَمّ بناء الدولة !!

فهل من معتبر؟ أم على قلوب أقفالها؟!

ليمونة:

الإنسان أخطر الكائنات؛ إذ بإمكانه أن يصبح ملاكاً أو أن يصير شيطاناً !

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٧٣

مباهجُ الحياة

رفاهيةُ الصدق:

الإيمان صدقٌ كله: اعتقاداً وقولاً وفعلاً، فالمؤمن يستظل تحت أفياء الصدق، ويستمتع برفاهية العيش مع الصادقين، كل حركاته وسكناته صادقة، فإذا دخل فإن مدخله صدق، وإذا خرج كان مخرجه صدقاً، ولذلك أعطاه الله لسان صدقٍ عند الناس، وسلّحه بقَدَم صدق عنده عزّ وجل، والمصير الخالد هو الحصول على مقعد صدقٍ عند مليك مقتدر في فردوس الصادقين؛ جزاءَ عيشه الدنيوي في بحبوحة الصادقين، وثمرةَ تمتعه بمباهج الصدق الجميل.

العلاقة بين الكمال والجمال :

يترقّى الإسلام بالإنسان في مدارج الكمال غير مُفرِّطٍ بالجمال، كقوله تعالى، وهو يَحثّ على التعالي فوق الإساءات والاحتماء بالصبر الجميل: {فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا} [المعارج: ٥]، ولقد كان صبر نبي الله يعقوب على إساءات أبنائه صبراً جميلاً .

وإذا كان المرء يستطيع اعتلاء صرح الصبر وصعود مقام الصفح؛ فإن الجمال لابد أن يكون رفيق هذا الصفح، قال تعالى: {فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ} [الحجر: ٥٨]، وإذا كان الأمر بحاجة إلى هجر، فلابد من اتصاف هذا الهجر بالجمال، قال تعالى: {وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل: ١٠]

الإنسان أولاً :

يكتسب الثوب قيمته من لابسه ولا يكتسب الشخص قيمته من ملبوسه، فقد يصير الثوب المهلهل قميص يوسف عندما يلبسه رجل كريم، وكما قال ﷺ: " رُبَّ أَشْعث أغبر ذي طمرين مدفوعٌ بالأبواب، لو أقْسَم على الله لأبَرّه."

وهكذا فإن العناية لازمةٌ بالجوهر والمظهر، لكن الجوهر أولى وهو الإنسان، وجوهر الإنسان قلبه وعقله فهما اللب !

قيم الاستقامة :

إذا كان من غير الممكن أن يصير الإنسان جميلاً دون امتلاك مقومات الجمال، فكيف يتأتّى له أن يستقيم من دون قيم ؟!

ذلك أن (القيم) تمنحه القدرة على (القيام) في الصراط السالك إلى رب العالمين .

إنها ضمانةُ القيام وقوامُ الاستقامة؛ لأنها تحقق ما يُعاش به، وما يُعتمد عليه في النُّهوض الحضاري والسير الأشد وفي اتحاد الكلمة واجتماع الشمل!

احترام الذات :

لو نجحت منظوماتنا التربوية والتعليمية في إيصال الفرد إلى احترام ذاته، فإننا نكون قد أوجدنا حجر الزاوية في الإنسان الصالح؛ لأن هذه الحصيلة هي مجمع لعدد من الصفات الطيبة، ومقعد للتوازن في بناء الشخصية الفاعلة التي تمتاز بالعزة دون كبر وبالتواضع دون خَوَر.

بين الصالح والمصلح :

الإنسان الصالح يموت يوم أن تغادر روحه جسده، أما المصلح فتستمر حياته ما دامت أفكاره وابتكاراته وكلماته ومشاريعه ومؤسساته تتحرك في الواقع، تَمدّ الأحياء بأسباب الحياة وتمنحهم أمصال الحياء !

قادة الاقتداء :

من أهم أسباب السعادة عند الصالحين أن يَهبهم الله أزواجاً وأولادًا يُقرُّون الأعين ويُثْلِجُون الصُّدور، ويجعلهم قدوات للتَّأسّي وقادةً في الاقتداء .

زهرة :

ما أجمل أن يتعانق عالم الغيب مع عالم الشهادة في قيمة الجمال، وذلك عندما يجتمع جمال القلب والقالب في كائن أو كيان واحد.

ليمونة:

(الرَّتابة) سببٌ أساسي في ظهور (الكآبة)!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٧٤

أوْشاجُ الأُسَر

تَعجّبٌ :

من كان (عائلاً) داخل المجتمع، (عالةً) على الناس، فأنّى له أن يقوم بإيجاد (عائلة) صالحة؟ وكيف ستصير لبنةً قوية في صرح المجتمع الإسلامي؟!

حقيقة :

لا تكون (العائلة) قوية متماسكة، بدون (عائل) قوي بإيمانه، متمسك بدينه، قائم بواجباته المادية والمعنوية نحو أسرته .

فالعائل هو الذي يَصُبّ المدخلات في جوانح الأسرة، ولن تكون المخرجات غالباً إلا من جنس المدخلات، سواء كانت حسنة أو سيئة، قوية أو ضعيفة، طيبة أو خبيثة.

بستانُ الأسرة :

الأسرة هي البستان الذي يزرعه ربُّها بالتعاون مع شريكته في الحياة، وعلى قدر الاجتهاد يكون الحصاد، وعلى قدر الدأب تكون الثمار، فإما أن تجني الأفراح أو تحصد الأتراح!

وهذه سنة الله الماضية وإرادته النافذة؛ فإن من يزرع الأشواك لا يمكن أن يجني الأعناب!

الضحايا الجناة :

في بعض الأوقات يكون المجرمون ضحايا أكثر من كونهم جناة، ابتداءً من الأسرة التي لا تحسن تربيتهم وصنع وعيهم، ولا تبني أجهزتهم المناعية كما ينبغي، وقد تنقل إليهم تفكّكها وعنفها.

ومروراً بالمجتمع ومؤسساته التي لا تنهض بشخصياتهم المستقلة وذواتهم الفاعلة، ولا تكشف مواهبهم المخبوءة وقدراتهم المطمورة، ولا تشغلهم ببناء أنفسهم وتحقيق ذواتهم، ولا توفر لهم الإشباع الاجتماعي المطلوب.

ووصولا إلى الحكومة التي لا تجتهد، عبر مؤسساتها المختلفة، في بناء شخصياتهم الفاعلة، وإيجاد المواطن الصالح من كافة الجوانب، ولا توفر لهم الأعمال المناسبة التي ترتقي بهم في آفاق الحياة الكريمة وتمنعه من التردي في مهاوي الفراغ والسقوط في حُفَر الانحراف!

امتحان الأولاد:

إن فلذات أكبادنا أمانةٌ في أعناقنا، وامتحانٌ لصلاحنا، وابتلاءٌ لإيماننا، فإن أحْسَنّا تربيتهم كانوا قُرّة لأعيننا، وزينة لحياتنا، ومتعة لقلوبنا، وبهجة لأرواحنا، وصاروا عِصِيِّنَا التي نتكئ عليها عند الضعف وملجأنا الذي نأوي إليه عند العجز، وأثلجوا صدورنا بإيمانهم الحي والتزامهم الروحي وبخلالهم الطيبة واستقامتهم الرائعة.

وإن أسأنا تربيتهم صاروا أشواكاً في أعيننا، وغُصَصاً في حلوقنا، وحُرقةً في قلوبنا، فعجّلوا بعجزنا واستثاروا أسقامنا، واستجاشوا أحزاننا وصنعوا أوجاعنا.

التربية الحامضة:

لا أعتقد أن للوراثة العضوية دخلاً في الأخلاق والسلوكيات التي ينبني عليها ثواب وعقاب، فإن عدل الله المطلق يأبى ذلك، لكنها التربية والعوائد والسلوكيات التي يمارسها الآباء فينطبع بها الأبناء بوعي أو بغير وعي، وبالذات في المراحل المبكرة من أعمارهم !

إن كل ما يقوله الآباء ويفعلونه له تأثير بالغ على الأبناء، وربما كان هذا الأمر هو المراد بالمَثَل الوارد في التوراة والذي يقول: "الآباء أكلوا الحَصْرم وأسنان الأبناء ضرَّستْ ! "

غربال العقل :

نظراً لاستشراء الفساد في المجتمعات وشيوعه في وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، فليس من الممكن ولا من المجدي عزل الناشئة عن هذين الوسطين، مما يُوجِب على الأسرة والمدرسة أن تمنحا الناشئ القدرة على الغرْبلة العقلية والفلْترة القلبية، بحيث يستطيع التمييز بين الغث والثمين، فيأخذ ما هو حسن ويترك ما هو سيء .

ليمونة:

التواشُجُ الأُسريُّ والدفئ العائلي من أهم المكونات للطفل، حتى يصير كائناً اجتماعياً .

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٧٥

جنوحُ التّعَرِّي

انكشافُ العَوْرات :

خلق الله اللباس ليواري سَوْءات البشر، وهي العَورات المادية، وجعل تعالى الليل لباساً ليواري سوْءات الناس المادية والمعنوية، فتَحْتَ جُنح الليل تتخفّى عوراتهم، وتتدثّر عيوبُ التراب ومساوئُ الطين بحوالك الليل البهيم.

وفي هذا الزمن أظهر البشر الكثير من العورات المغطاة والعيوب المستترة، وظاهروا بالمعاصي ضمن موجة من الشذوذ الفكري والقيمي والجنوح الأخلاقي والعملي، ساعدت عليه طبيعة العصر المادية، حيث أخرجت الأرض خيراتها، وأنزلت سحائب العلم أمطارها التي وفّرت المُتع وحققت الرفاهية للناس!

النهار الدائم :

ومن ثمار العلم اكتشاف الكهرباء التي كانت لها آثار عظيمة على سائر نواحي الحياة الإنسانية.

ومثل كل النعم النسبية كان لها بعض الآثار السلبية، حيث ساعدت دهاقنة الفساد على نشر فجورهم وإشاعة مجونهم في وضح النهار الثاني الذي صنعته الكهرباء !

لقد شجع النهار الدائم صنفاً من العصاة على التخلص من لباس التقوى والحياء، ومن ثياب الأعراف والعوائد، فأعلنوا التعري، وأظهروا العَرْبدة، وجاهروا بمقارفة الكبائر وفاخروا بمعاقرة الفواحش !

فلسفة التعري :

وصل الشذوذ بالمنحرفين إلى حدّ تأصيل التّعَرِّي وفلسفة المجون، ودعا هؤلاء إلى خروج الناس عراة، معللين ذلك بالإبقاء على فطرة الله التي خلق الناس عليها، إذ خرجوا من أرحام أمهاتهم عُراةً !

واعتبر هؤلاء أن اللباس تغيير لخلق الله وتغرير بالناس، متهمين من يفعلون ذلك بالنفاق، وبأنهم يصنعون عللاً نفسية وأمراضا اجتماعية!

وقد كان لهذا التيار المُتسفِّل تأثير بالغ في القرن الماضي، لدرجة أن سيد قطب رحمه الله تبناه في فترة من شبابه، حتى أنه ذات مرة نشر مقالاً يدعو فيه بأسلوبه الأدبي الجميل إلى التّعرّي الكامل !

إهدار الكرامة :

إن إطعام القانع والمعتز بنفسه، يشجع كثيرين على البقاء في صياصي حيائهم وحصون عزتهم.

أما ترك هؤلاء والالتفات إلى الذين يسألون الناس إلحافاً، فإنه يشجع المزيد من المحتاجين على الخروج من حصون التستر وفقدان قباب الكرامة، وسقوط لباس العزة والعيش في عراء المذلة!

عقل الجنون :

العقل أساس التكليف الرباني، ومناط الخطاب الابتلائي، وعمود الأهلية الاستخلافية، وإناء ثبوت الاستطاعة والإرادة، ومشكاة الحرية والاختيار، وجوهر التفضيل والتكريم.

فكيف تصبح (العقلانية) تهمة يوضع أصحابها في أقفاص الاتهام!؟ أليس هذا هو الجنون بعينه ؟! بل ألا يُعدّ صورة من صور التعرّي العقلي؟ !

ليمونة:

عندما هبّت أعاصير المادية على الإنسان هتكت أستاره الأخلاقية وتركته عارياً في صقيع الانحلال.

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٧٦

أطواقُ العوائد

كسْرُ الاعتياد :

كان رسول الله ﷺ يزرع في أصحابه الروح التجديدية، تحت سقف الثوابت بالطبع، وظل يُجدِّد الوسائل والأساليب ويُحبط محاولات الإلْفة ويحاصر مشاعر الاعتياد، وما فتئ يبعث روح التغيير في الشعائر والطقوس، ولذلك نُقلت عنه أحاديث وروايات متنوعة في فرعيات وهيئات وآداب الصلاة والصيام والحج والذكر والدعاء والصدقة.

لقد كان يواصل الصيام حتى يقال لا يُفطر، وكان يواصل الإفطار حتى يقال لا يصوم، وفي العيد شرّع الذهاب إلى المصلى من طريق والإياب من طريق آخر، وسَنّ الإفطار قبل صلاة عيد الفطر والصيام قبل صلاة الأضحى، ولم يقولب ﷺ النوافل بل جعلها شديدة المرونة في الكميات والكيفيات وفي الأوقات، ودعا إلى التجديد والاجتهاد وتفعيل قيمة الابتكار من خلال السُّنّة الحسنة .

ارتباط الشعائر بالسَّنة القَمرية :

من حِكَم ربط الإسلام شعائره بالسنة القمرية لا الشمسية، بجانب تحقيق العدل في سائر مواسم وفصول العام، المحافظة على روح التجديد؛ إذ أن مجيء الشعائر كالصيام والحج في ذات الموسم كل عام سيساهم في إرساء الطابع التقليدي وتكريس روح التّعوُّد، وفي تحويل العبادات إلى قوالب جامدة.
غير أن اختلاف المواسم يوفر ظرفاً مناسباً لارتشاف روح التجديد واحتساء مشاعر التغيير، كصيام رمضان الذي يأتي في سائر أيام العام الطويلة والقصيرة، الحارّة والباردة، خلال دورة تكتمل خلال ٣٣ سنة.

قوالب الثياب :

من الأمور التي تساعد على بناء الشخصية النمطية اعتياد نوع معين من الثياب، ولأن الرسول ﷺ ضد النمطية والقَوْلبة، فقد ثبت أنه ارتدى كل أنواع الثياب التي تُحقق الستر والزينة من غير تكلف ولا خُيلاء، فقد ازدان بالأبيض والأحمر وبالأخضر والأصفر بل وبالأسود كما في كتب الصحاح، واتخذ ثياباً من القطن والكتّان والشَّعر والصوف باستثناء الحرير، ولبس ثياباً يمنية

ورومية وفارسية وحبشية، وذلك في إطار ما كان متوفراً في عصره وعند قومه، لكنه لم يتخذ أبداً نمطاً واحداً من اللباس والثياب !

نبذ القَوْلبة :

مع حثّ الرسول ﷺ بكل الأساليب والوسائل المسلمين للتسابق على الخيرات والتنافس على الصالحات، إلا أنه لم يضع قوالب جامدة لهذه الأمور، ولو نظرنا إلى تربيته ﷺ لصحابته؛ لوجدناه ينحو منحى النسبية ويراعي الفروق الفردية، حيث لم يكرس وسيلة محددة للتربية، بل دخل من أبواب متفرقة، ومارس التربية بالموقف، وجعل الحياة مدرسة والطبيعة معهداً، واتخذ من الأحداث والظواهر فصولاً دراسية مفتوحة !

رتابة الاعتياد:

إن طول الأمد يؤدي إلى قسوة القلوب؛ نتيجة الاعتياد الذي يحيل العبادات إلى عادات، بحيث يتم الاهتمام بالشكل على حساب المضمون، وبالبدن على حساب الروح، وبالمظهر على حساب الجوهر .

ولهذا حثّ الإسلام على حضور العقل بالتفكر وعلى حضور القلب بالخشوع، وحذّر من الأداء الآلي ومن الرتابة والسآمة والشعور بالملل، ودعا إلى التجديد الذي يساهم في يقظة العقل وإشراق القلب واستفاقة الروح.

خطورة الاعتياد :

الأداء الاعتيادي للعبادات يؤدي إلى حرمان الروح من أنوارها، ومع طول المدى فإنه ينقل الروح من الاستفاقة إلى الاستنامة، ومن الإشراق إلى الكسوف، ومن التوهّج إلى الإعْتام.

ليمونة:

التجديد هو المفتاح الذي يفتح أقفال التقليد ويفكّ أطواق العوائد!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٧٧

 مَرَافِئُ الصداقة

** أمانُ الخوف :**

إن العيش في أكنافِ مَن (يخافون) الله (أمانٌ) خالص، أما غيرهم فلا تُؤمن غوائلُهم ولا تُرجى شمائلهم.

** خطورة الأحمق:**

لا تكمن خطورة مصاحبة الأحمق فقط في أنه يسيء تقدير الموقف فيضرك وهو يريد أن ينفعك، ولكن في التأثير الذي يمكن أن يُحْدثه فيك على المدى البعيد دون أن تشعر !

** طبيعة الطبائع :**

من طبيعة الطبائع أنها تتلاقح بقدر ما تتلاقى، إذ تمتلك القدرة على التأثر والتأثير، مع الفوارق النسبية بحسب قوة الشخصية أو ضعفها، ولذلك قيل في الأمثال: الصاحبَ ساحبٌ، وقال أحد الحكماء: "قُلْ لي من تصاحب أقُلْ لك من تكون"!

** حاجزُ التكلُّف :**

التكلف في التعامل بين الأصدقاء والزملاء يصنع حاجزاً يمنع الصداقة من الانسياب الجميل والنمو الطبيعي.

ولقد قال بعض الحكماء: "من سقطت كُلْفته دامت أُلْفته".

 سوء الظن :

سوء الظن ينشأ عن سوء الفهم أو عن سوء القصد، وعليه فإن علاجه يكون بتجويد الفهم وتحسين الوعي، وبمحاولة الارتقاء بالمقاصد وتصحيح النيات.

 قدْرُ النفس :

تتضح معرفة الإنسان لقدر نفسه من خلال عدم سقوطه في مهاوي الذل أو ارتفاعه على صخور الكِبر، وعدم اكتراثه بذمّ الناس أو ثنائهم، إذ لا يعطيه المدح أكثر مما يملكه فلا يفرح، ولا يُنقصه القدح مما أعطاه الله شيئاً ومن ثم لا يصيبه التَّرَح !

أما من لم يعرف قدر نفسه فإن مقياسه هو كلام الناس، ويصبح المدح عطاءً ينتشي به، فيبشّ له ويحرص عليه.

ويصير القدح منعاً يُغضبه ويرسم الكآبة في وجهه، وقد يجلب له الأكدار والأحزان.

 أغنى الناس :

أغنى الناس هم أصحاب المنازل الذين يبنون في قلوب الخلق منازل رفيعة، وذلك بأخلاقهم الكريمة ومعاملاتهم السامية، وبعلاقاتهم الراقية وعطائهم اللامتناهي.

 حُبّ الخلائق :

لا (يُدْبِر) الخَلْق أمام أولياء الله أبداً؛ لأنهم دائمو (الإقْبال) على الله، ولا (تَكفّ) الخلائق عن حبهم؛ لأنهم لا (يكتفون) من حب الله !

 صداقتان :

الصداقة الصالحة ترفع منسوب الصلاح في المجموع، حيث تعلي من شأن أخوة القيم النبيلة، وتُهذب الطبائع وتنقي الأخلاق.

أما الصداقة السيئة فترفع منسوب الطلاح، وتبعث روح القطيع في المجموع، وتُعلي من شأن الغرائز وتهبط بالطبائع، ويتم تبادل الشوائب.

 تبادل الخبرات :

إن لم يتم وضع آليات بين الأصدقاء لانتقال الفضائل والمنافع، عبر تفعيل آليات النصيحة والنقد الذاتي المتبادل، وعبر تلاقح الأفكار وتكامل الرؤى؛ فإن كل صديق سيكون مجرد صدى لصديقه، وهذا قد يجعلهم على المدى البعيد مجرد نُسَخٍ متشابهة في قطيع كبير!

 ليمونة:

إن لم يُعْتَنَ بتبادل الخبرات النافعة والخلال الطيبة؛ فسيتم تناقل الخلال الخبيثة وتناسخ الخبرات الضارة!

بورك المتفكرون



قُطوف الفكر٧٨

أنيابُ الحياة

أُجَاجُ الإنسان :

لقد أصبحت مياهُ البحر مالحةً من شدة أحزان البشر، حيث تصبَّبت مآقيهم وانْسكبت دموعُهم، وتكثفت أوجاعهم من كثرة المظالم وشدة القهر.

لقد تفطرت القلوب كمداً من قهر الرجال؛ فانهمرت الدموع كأنها أمطار غزيرة، لتتكون منها سيول القهر التي غيّرت طَعم البحر !

أوجاع الإنسان :

يبدو أن كمية أفراح البشر إلى أتراحهم، يمكن تقريبها بالنسبة التي تُمثِّلها مياه الأنهار والبحيرات العذبة إلى مياه المحيطات والبحار ذات الماء الأُجاج!

كأن العذاب هو الأصل والوجع هو الغالب، ولذلك قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِيْ كَبَدٍ} [البلد: ٤]

فالإنسان في حياته يكابد آلام الأمراض وهجمات الطبيعة بمناخها القاسي وكائناتها المضرة، ويكابد غُصَص الأقربين وعداوات الأبعدين، ويكابد آلام الانتقال من طور إلى طور، وصولاً إلى أوجاع الشيخوخة، حيث التنكيس في الخلق والعجز عن القيام بأكثر الوظائف الطبيعية!

تأجُّجُ الأُجاج :

لأن مواجع الإنسان في ارتفاع وفواجعه في ازدياد؛ فإن مياه البحار تزداد ملوحةً، كأن تأجّج عذاب الإنسان يزيد من أُجَاج البحار.

 جروحُ الجوارح :

سميت حواس الإنسان ب(الجوارح)؛ لأن أكثر الناس (يجرحون) غيرهم بها، حيث يجرحون بأعينهم حرماتهم، ويجرحون بآذانهم خصوصياتهم، ويجرحون بألسنتهم أعراضهم، ويجرحون بأيديهم أبشارهم وممتلكاتهم.
والمؤمنون الصادقون هم وحدهم من يستثمرون الجوارح في اجتراح الصالحات وصناعة الخيرات، حيث يَنْحتون بَصَماتهم في صَخْر الحياة.

 المَكرُ الفتّاك :

إن مكر القريب أفْتكُ من مكر البعيد، وإن كيد الصديق أخطر من كيد العدو، حيث يتمكن من نَسْج خَتْله وغَزْل كيده، في مأمن من المراقبة؛ نتيجة غفلة المكيد، كما قال أمير الشعراء:

يَهون الكيدُ من أعدى عدوٍ
عليك إذا الوليُّ سعى وكادا

وربما كان أحد عوامل عظمة كيد المرأة الشريرة أنها قريبة ممن تكيد له؛ إذ لا تكيد في الغالب إلا للقريب ولا تمكر إلا بالصديق!

 إدحاضُ الحق:

إن دَيْدَن المكذبين بالدعوات والمعاندين للمصلحين هو الجدال بالباطل؛ بإدحاض الحق وإزهاق الحقيقة، وبإبطال المعروف وإنكار النور!

إنه مسلك لا يتغير ولا يتبدل، وإنما تختلف الأساليب وتتبدل الوسائل، تتغير فلسفة التبرير وتتطور آليات المواجهة.

 تناقضاتُ الحياة:

* من تناقضات الحياة أن تجد أناساً أغنياء ولكن أغبياء !

* يستمتع الفاسدون ب(شَغَف الحياة)، ويعاني الصالحون من (شَظَف الحياة)!

 ليمونة:

الناجح في ابتلاء الحياة هو الذي يظفر بزادها دون أن تُمزِّقه أنيابُها.

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٧٩

 أسْرابُ السّراب

 القرآنيون:

لا أقصد بهم من يُتهمون بإنكار السنة النبوية لصالح القرآن، بل أقصد بهم أصحاب الإنتاج الفكري الذين تتمعّر وجوههم إزاء أي نقد يُوجَّه إلى ما يكتبون ولو كان نقداً بنّاءً، وكأن لسان حالهم يقول عن إنتاجهم: "لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه"!!

 عُلوُّ العلم:

من يعانق (الحرف) ويعشق (الكلمة) هو من يمكنه الوصول إلى (الكمال)، أما الجهل فهو تسفُّل ومقارفة لأمية الكتاب، ومعاقرة للأماني، ومضاجعة للأوهام !

 تَعصيمُ العلماء:

هناك من يعشق العلماء إلى حدّ التقديس، حيث يرفض هؤلاء أي نقد يُوجَّه إليهم، ولا يعترفون لهم بأي خطأ، رغم أنهم يُردِّدون المقولة الذهبية في هذا السياق: كلّ إنسان يُؤخذ من كلامه ويُرَدّ إلا الأنبياء!

إنهم يرفعون العلماء إلى درجة الملائكية ويمنحونهم العصمة منزهين إياهم عن أي خطأ !

 أغلالُ الحتميات:

الحتميات التأريخية هي الاسم الجديد للعبودية، حيث تُقيِّد إرادة الإنسان وتُسَلْسِل عزيمته، بل تَشُلّ فاعليته وتتركه رهينةً للتفاعلات الاجتماعية، ليصبح مجرد ريشة في مَهَبّ رياح التيار الجَمْعي!

 عقدةُ التعويض:

في المجتمعات المتخلفة كلما زاد الحاضر قتامةً زاد الماضي نصاعةً في الخيال، وكلما نقصت قدرة المرء على الانغراس في الحاضر وإصلاح عوَجه؛ زاد رحيله إلى التراث صانعاً منه مثالاً أقرب إلى الخيال !

 تحذير:

إذا كانت ايقاعات المتغيرات أسرع من قدرة العقول على التكيف الصحي؛ فستتحول إلى إعصار أهوج ربما يعصف بالثوابت، حتى يسقط السقف على رؤوس أصحابه!

شركاءُ السّوء:

شركاء السوء شركاء متشاكسون، تتكسر في أيديهم الأعمال والمشاريع، فإن كان في الأمر حق تجاذبوه، وإن كان فيه واجب تقاذفوه!
يتسابقون في طريق الأثَرة ولا يعرفهم طريق الإيثار!

إنسان السراب:

الإنسان السرابي يترك(عالم الشهادة) انتظاراً ل(عالم الغيب)، ويهمل (الأسباب) اتكالاً على (الأقدار)،
يعاقر البطالة على ترانيم الزهد المتوهم، ويمارس العطالة تحت بيرق القناعة العمياء، يترك الأعمال ويتعلل بالآمال.

ليمونة:

يترك السرابيون (أذْرُعَ العمل)، وينخرطون في (ذرائع الجَدَل) !

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر٨٠

ترانيمُ الرُّوح

مَسّاحَةُ القسوة:

إن الذي يمسح القسوة من قلب الإنسان هو المَسْح على رأس اليتيم وملئ بطن المسكين، ذلك أن هذه المَسحة تُكسبُه رقّة الطَبْع ويقظة المشاعر، وتمنع الضغائن من السّكَن في قلبه وتلويث جوانحه.

الإيمان بين التقليد والبرهان:

يمكن للإيمان البرهاني أن يجعل المرء بقوة إيمان سَحَرة فرعون، أما الإيمان التقليدي فيجعل صاحبه كمسلمي عصرنا هذا، إذ أنّ البينات والبراهين تجعل الإيمان حديدياً، كما قال السحرة لفرعون بعد أن رأوا الآيات: {لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [طه: ٧٢]

أما الإيمان التقليدي فيُبنى على الأماني التي لا تقوى على القيام، ويقوم على العواطف التي لا تتماسك أمام العواصف !

عُمْرُ الإيمان :

لا تقاس قوة الإيمان بعُمْر الإنسان، فهناك من يتعمّر بضعة عقود لكن إيمانه يظل أوْهَى من بيت العنكبوت، وفي المقابل وجدنا أن سحرة فرعون قد اكتسبوا خلال بضعة دقائق إيماناً أقوى من الحديد حتى أن هيبة فرعون

لم تَحُل دون اشتمام نَفَحات الإيمان، ولم تستطع سيوفُه التي قطعت أيدي السحرة وأرجلهم أن تنال من شموخهم شيئاً، حيث لم يتزحزحوا قيد أنملة! لقد أهَّلَهم هذا الإيمان القصير العمر للانتصار على أطغى طغاة الأرض، وهيّأهم للانتصار على ضعفهم وخوفهم وهواجسهم، ورفعهم إلى سماوات المجد والفخار.

 صلابةُ اليقين :

لو تمعنّا في قصة السحرة الذين قلبوا سحر فرعون عليه، واكتسبوا إيماناً كالجبال الرّواسي، وبحثنا عن أسرار تلك الصلابة، لوجدناها في اليقين .
فلقد شاهد الجمهور مشهد ابتلاع عصى موسى لأحابيل وعِصيّ السحرة، ويُفترض أنهم أقل تعصباً من السحرة الذين كانوا طرفاً مباشرا في تلك الحَلَبة، ورغم ذلك آمن السّحَرة ولم يؤمن الجمهور، فما السبب يا ترى؟ السبب هو العلم الذي امتلكه السحرة، وجعلهم يُفرّقون بين السِّحْر البشري وبين المعجزة الربانية التي تتجاوز كل القوانين بقدراتها الخارقة؛ فصاروا أصحاب إيمانٍ برهاني لا يكتنفه أي ريب ولا يتخلله أي شك.
أما الجمهور فقد كان جاهلاً، ولذلك لم يفرق بين المعجزة والسحر، وكان مطية سهلة للإغواء الفرعوني الذي اتهم موسى بأنه كبير السحرة ومعلمهم، وبأنهم تمالؤوا عليه جميعاً، ونفذوا مسرحية لفتنة المصريين عن دينهم !

 حُرقةُ الأحاسيس :

كل ما كانت أفكار المرء أدَقّ صارت عواطفه أصدق وأحاسيسه أرَقّ.

والحساسية الشفّافة هي ثمرة من ثمار الإيمان الذي يصقل القلب ويجلو الفؤاد، ويجعله شديد النَّصاعة والإشعاع.

 حساسية ذاتية:

كان السلف الصالح ذوي حساسية عالية، حيث أن كل نائبة تصيبهم كانت تجعلهم ينتقدون ذواتهم بشدة، وعلى سبيل المثال أُثر عن الفضيل بن عياض قوله: " إني لأعصي الله فأعرف ذلك في خُلق حماري وخادمي" !

 الرُّشدُ الإيماني :

مما يتميز به الإسلام أنه يعتبر الأموال والأولاد زهرةَ الحياة الدنيا، مطالباً البشر بالتمتع بها في حدود الضوابط المشروعة.

وفي ذات السياق يجعل الإيمان زهرة القلب، حيث يُحبِّبه الله للمؤمنين به ويُزيِّنه في قلوبهم، ويُكرِّهُ إليهم الكفر والفسوق والعصيان، وبهذه المعادلة يتحقق الرشد الإيماني بثماره المَعَاشيّة والمَعَاديّة.

 ليمونة:

لا يمكن لأصحاب (الصّمَم القلبي) أن يسمعوا (ترانيم الرُّوح) الرحمانية!

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر٨١

نَفَحاتُ الأدَب

تَعادُلُ العقلِ والقلب:

عندما تَجيش القلوب ولا تطيش العقول، فحينئذٍ تتعادل المشاعر والأفكار، حيث تُحلّق الأحاسيس في الأجواء دون أن تقع على الأرض، بفضل رواسي العقل وثوابت الفكر، وبذلك نضمن عدم تَحوّل العواطف الوارفة إلى عواصف جارفة!

اختلال:

يَجهد شعراء كثيرون في عدم اختلال (أوزان) قصائدهم، لكنهم لا يبذلون ذات الجهد من أجل أن لا تختل (موازين) تلك القصائد، وهي صورة من صور طغيان المبنى على المعنى، ومن مظاهر العناية بالشكل على حساب المضمون!

أوزانٌ بغير موازين :

يهتم كثير من الشعراء بـ(أوزان) قصائدهم، ولا يهتمون بـ(أوزانـهم)، ولذلك تجدهم في كل وادٍ يهيمون وتراهم يقولون ما لا يفعلون!

الشعرُ الأجوف:

الشعر بدون صدق المشاعر وحرارة الوجدان، يصير مجرد شعارات جوفاء ذات بريق كاذب وزخرف خادع، إذ لا يملك ظلاً من الحقيقة ولا يستطيع النفاذ إلى القلب، وتأثيره حينئذٍ لا يعدو تأثيرَ سحابةٍ في غير زمن المطر!

 قوافي لا تعرف الاقتفاء:

من غرائب بعض الشعراء أنهم يجتهدون في البحث عن (القوافي) دون أن يهتموا ب(اقتفاء) آثار المسيرة العظمى لفخر الإنسانية وأعظم رجل أنجبته البشرية في أجيالها العظام ومراحلها الطوال.

 كتائب الشعر :

إن قصائد الشعر التي تنغرس بأوتاد الإخلاص وتنغمس في أوجاع الأمة، والتي تتلَفّع بأثواب الجلال وأَرْدية الجمال، هي كتائب مرابطة في ثغور القوة الناعمة والجهاد الأبيض، وسيظل الخير معقودا في نواصيها إلى أن يشاء الله تعالى.

 الحُسامُ السِّحْريّ:

إن الشعر الذي يدمج بين روعة المعنى والمبنى، ويجمع بين المشاعر الرقراقة واللغة المحلقة في العلياء، هو الحُسام السِّحْري الباهر، حيث يستطيع قطع أعناق الأكاذيب واستئصال شأفة الأباطيل، ويستطيع الإطاحة برؤوس الأوهام وحصد دياجير الظلام، ويقدر على لَجْم كتائب الباطل وتبديد فيالق البهتان!

 الأدَبُ الرفيع :

عندما يتصف الأدب بالرفعة فإن شمسه تُشرق وأشعّته تتوهّج، حيث تسيل منه أنهار الجمال وتتدفق حُزَمُ الإبهار، فيتألّق سناءً وبهاءً في سماء العشق الخالد، ويتشبّع بمشاعر الاضطرام والغرام بكل ما هو جميل، إذ يرتقي بالذوائق ويسمو بالمشاعر، ولا يَكفّ عن تفتيق البصائر وتفتيح

ملَكات التذوق، ولا يتوقّف عن توزيع لآلئ الأدب وتُحَف الجمال، ولا يتعب من صناعة خلائب الفكر ومدائن الدهشة!

ويُعلّم الأدبُ الرفيعُ الناسَ كيف يَرْتشفون النور ويَحتسون الضياء، بحيث تسمو أذواقُهم وتَسمُق أخلاقُهم؛ نتيجة اتصال الروح بأشعة السماء .

 وصْلُ الأرواح :

المهمة الأساسية للأدب الإسلامي الحق هي أن يَصل الأرواح بروح هذا الكون؛ حتى تستمد منه قيم السُّموّ والسموق، ومشاعر العشق والغرام، وخلائب الجمال والجلال، وحتى تضطرم الأشواق والأتواق، وتَسكُن الخَلَجاتُ والمواجيد.

 ليمونة:

يستطيع الأدب الرفيع أن يرتفع بمشاعر الآدمي من دركة البشرية الوضيعة إلى درجة الإنسانية الرفيعة. بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٨٢

قوافي السِّحْر

الشاعر المجيد:

الشاعر المجيد هو الذي تمور شاعريته بدون جهد، وتتدفق مشاعره بدون تَكلّف، فتروي أشعارُه القلوب والعقول، حيث تسيل إلى الأغوار وتغوص في الأعماق .

 النّفاذُ الثنائي:

الشاعر المبدع يستطيع النفاذ إلى أعماق النفوس البشرية مرتين، متسلحاً بشاعريته الصادقة وذكائه الحاد.

في الأولى يتعرف على ما يمور في القلوب من مشاعر وعواطف وما يعتمل في العقول من رؤى وأفكار، وعلى ما يضطرم في النفوس من نوازع وفوازع وما يختلج في الأكباد من آهات وأوجاع، بحيث يُعبر عنها بدراية، ويعالجها بخبرة، ويصورها بدقة، ويجسدها بصدق، حتى ينفخ فيها من روحه وينفث فيها من دم قلبه.

وفي المرة الثانية يَنفُذ بقصيدته إلى القلوب، بصدق مشاعره ودقة صياغته، وبمهاراته البنائية ومواهبه المعنوية، بحيث تصبح القصيدة مرآة يرى فيها الناس قلوبهم،ويشاهدون آلامهم وآمالهم كما هي في واقعهم وأفضل .

 القصيدة الخالدة:

القصيدة التي يُكتب لها الخلود وتنتقل من عصر إلى آخر، هي التي تطير بجناحي الذاتية والموضوعية بكل ما فيهما من مفردات، بحيث تكون الذاتية سافرة في القصيدة فتظهر عليها بَصَمات الشاعر وأنفاس صدره، وتَبرُز خلجات قلبه وزفرات روحه، حتى تصبح قطعةً انتُزعت من فؤاده، لكنها في ذات الوقت تَصُبّ ماء تميزها في بحيرة المجتمع، منتميةً إلى وجدان الناس، متصلةً بأوضاعهم، ومعبرةً عن أوجاعهم، كما قال شاعر اليمن الشهيد محمد محمود الزبيري:

تسعى القوافي لي فلا أحني لها

قلماً إذا جاءت بدون مرادي وأكاد أرفضها إذا هي لم تكن
نزلت إلي على رؤى فؤادي

ومراده هو نصرة شعبه، بالمرابطة في ثغوره والدوران في فلكه، وبالسير في دروبه والسعي في تحقيق مقاصده.

 السحر الشعري:

الشعراء الكبار يُجيدون استخدام اللغة بطريقة مذهلة، ويتقنون التصوير والتلوين بصورة مبهرة، إذ يملكون القدرة على سبْك المشاعر ونَفْث الأحاسيس، وعلى نفْخ الروح في الكلمات بصورة تقترب من السحر!

ويُروى عن الشاعر الفرنسي بودلير قوله:" الشعر هو جَعْلك الألوان والروائح تتكلم "، ولهذا قال صلى الله عليه وسلم:(إن من البيان لسحرا).

 الشاعر المؤثر:

يكون الشاعر أبلغ في تأثيره عندما يكون مطبوعاً ومصنوعاً في آن واحد، فإن الموهبة تمنحه تأثيراً نسبيا، لكن الوصول إلى ذروة التأثير يحتاج إلى إحكام وإتقان، من خلال الصنعة الشعرية والنضج الذي تحققه الخبرة المتراكمة.

 الشِّعرُ الحيّ:

ليس الشعر مجرد كلمات تُسبك، وأبيات تنظم، وقوافي تُسْجع، بل هو روحٌ تَسيل في الأوصال وأنسامٌ تَسري في الأنحاء، إنه أنفاس حياة تمور بالحيوية، حيث تتدفق من ميازيب المشاعر وعيون الصور.

إن كلماته تصير كتائب تنجز دفقات الحياة، وتُجْهز على أفكار الموت ومشاعر العدم، حيث تنفخ الروح في الدّمَى المتصلبة، وتنفث المشاعر في الأجسام المتخشبة، وتبث الروح في الجثث الهامدة.

الشاعر الرائع :

الشاعر الرائع هو الذي يحرك الساكن وينطق الساكت، وهو الذي ينفخ الروح في الجماد ويبعث الأموات من الأجداث، فيُشْجي ويُطرب، ويترك القارئ مشدوهاً من شدة الانبهار، مندهشاً من سحْر البيان، سكراناً من شَهْد الكلمات وخمرة الصوَّر!

أركان القصيدة:

إن أهم ما في مباني الشعر الأوزان والقوافي والمفردات، وأهم ما في معانيه: المشاعر والخواطر والصور، ولا تكون القصيدة قصيدة بدون هذه الأركان الستة .

ليمونة:

القصيدة الخالية من أنفاس المشاعر مجرد شجرة من البلاستيك!

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر٨٣

بين الشَّريعة والحقيقة

التَّصوف الحق :

يقوم التصوف الحق على الفناء في الله، بإفناء الذات السلبية والتفاني في تنمية الذات الإيجابية التي تسارع إلى خدمة الخلق إرضاءً للملك للحق .

نشأة التَّصوف :

عندما بالغ كثير من الفقهاء في تحويل تعاليم الشريعة إلى قوانين وأرقام وطقوس، تُضخِّم ظاهر الشريعة على حساب باطنها، وتُقدّم العلم على الإخلاص، حتى كادت الشعائر أن تصبح طقوساً بدون روح ومظهراً بدون جوهر، وأوشكت المقاصد على الاضمحلال أمام الطقوس، وكادت المعاني أن تختفي أمام المباني، وكاد الايمان أن يصير أشجاراً بدون ثمار وسحاباً بدون أمطار.

دفع كل هذا بعض أعلام الأمة إلى الاهتمام الشديد بالروحانيات، وحصْر العبادة في العلاقة مع الله، ومن هنا نشأ ما يسمى بالتصوف السُّني!

أهل الشريعة وأهل الحقيقة:

وفقاً للقانون الفيزيائي: "لكل فعل رد فعل يساويه في القوة ويضادّه في الاتجاه "؛ فإن تطرف بعض علماء الفقه في الاهتمام بالظاهر دفع بمجاميع ممن أصبحوا يُعرفون بالصوفية إلى الاهتمام المتطرف بالباطن، حتى أنهم

وصفوا أنفسهم بـ " أهل الحقيقة "، في صورة من صور احتكار الحقيقة وازدراء الآخرين، وهم هنا أهل الشريعة!

 تشتيت وتشييع :

يبدو بأن التنازع بين أهل الظاهر وأهل الباطن من أهم أعراض الأزمة الفكرية التي حاقت بالمسلمين وكادت أن تمحق حضارتهم تماماً، فقد ساهم هذا التنازع في تبعيض القرآن وجعْله عضين في عقول عامة المسلمين، وفي تشييعهم بين عبادات قلبية "جوانحية" وبين عبادات عملية "جوارحية"، وفي تشتيت طاقات الأمة بين أهل "الشريعة" وأهل "الحقيقة".

 تفريق العقل والقلب:

ساهم الاختلاف بين أهل الشريعة وأهل الحقيقة في إيجاد فجوة بين العقل والقلب، مما كان له تداعيات سلبية هائلة في حياة المسلمين، بدءاً بجمود العقل وقسوة القلب، ومروراً بتسيُّد التقاليد وهيمنة الرتابة، وشيوع الخرافات وانتشار الرياء، وصولاً إلى الاهتمام بالمظاهر على حساب الجواهر وبالعناوين على حساب المضامين، وانتشار ثقافة الكراهية، واحتكار الحقيقة المطلقة، وبروز الاختلاف المفضي إلى الضعف والعذاب .

الانسان الكامل والمسلم الناقص:

كان أهل الشريعة وأهل الحقيقة يَنشدون الترقي بالمسلم إلى درجة "الإنسان الكامل"، وفي سبيل ذلك ارتادوا طرائق قِدَدا، لكن النتيجة كانت إيجاد "المسلم الناقص" الَّذي يقتصر على وجه من وجهي الاسلام البارزين، مما ساهم في تآكل فاعلية المسلم والوصول به إلى الغثائية المعاصرة.

 تَحطُّم فاعلية المسلمين :

لقد تحطمت فاعلية المسلم في معارك التنازع بين الطرفين، حيث أراد كل طرف احتكار "الشريعة" و"الحقيقة" معتبراً أنّ الآخر ليس على شيء، فعلماء الفقه والحديث عند أولئك الصوفية إنما هم "علماء رسوم" و"أرباب ظاهر" وأولئك عند هؤلاء إنما هم "أهل خرافه" و"أرباب زندقة" !

 ليمونة:

ظل الأَعْلاَم الكبار جسوراً للتلاقي بين أهل الشريعة وأهل الحقيقة !

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٨٤

 مآثرُ العلم

 تباين:

إن العلوم (الكاملة) تُشعر الإنسان (بنقصه)، بينما يعتقد صاحب العلم (الناقص) أنه قد وصل إلى منتهى (الكمال)!

هكذا قضت مشيئة اللّٰه، حتى يظل المرء يعتلي سُلَّم العلم، ولا يسقط في حفرة ادعاء الكمال، ولا يقع في وهم الاعتقاد بأنه صار عالماً!

 كشوفات العلم:

كلما تقدمت العلوم اكتشفت المزيد من أسرار الخَلْق وعجائب الوجود، وبقدر ما تكتشف من مساحات في عالم الشهادة، فإنها تقترب أكثر من معرفة واجب الوجود، وترتاد العديد من المراحل في فهم الغيب والإيمان بكائناته. يتم ذلك من خلال إدراك الإحكام الشديد في خلْق سائر آيات الأنفس والآفاق، ومعرفة دقائق الصانع الحكيم.

 خشية العلماء:

يصل العلماء إلى ذُرى الخشية الشديدة السموق؛ نتيجة الطيران عبر جناحي الانبهار والذهول، وهما من ثمار (السياحة الكونية) في آفاق الأكوان، و(السباحة العقلية) في أغوار الأنفس، حيث يرى العلماء عجائب الصنع ودقائق الخلق، ويشاهدون معالم الإتقان ودلائل الإحكام، مما يفتح أمام أبصارهم وبصائرهم المسالك الموصلة إلى صفات اللّٰه العليا وأسمائه الحسنى.

 إعجاز العلم:

إن لقدرة اللّٰه ضياءً مُبهرا، غير أن العميان لا يرونها، ولها أصواتٌ تخترق الحُجُب ولكن الصُمَّ لا يسمعونها، ولها نظام متقن الإحكام، ولكن أني للمجانين أن يلحظوها ؟!

والعلماء هم وحدهم من يرون بعين اليقين مشاهد الجمال والجلال، ومن يسمعون أصوات العناية والهداية، ومن يُدركون خبايا الحِكم والأسرار.

 مصادمةُ السُّنن:

يصطدم بسنن اللّه من يواجهون العلم بالجهل، والحكمة بالحمق، والشورى بالاستبداد، والعدل بالظلم، والدهاء بالطيش، والذكاء بالبلادة، ومن يقابلون المثابرة بالتواني، والتخطيط بالارتجال، والقوة بالضعف، والوحدة بالتفرق.

 اكتشاف الوحدة والوحدانية:

كلما تَمعّن العالم في قراءة مشاهد الكون، واكتشاف ما بين الآيات من روابط وما بين الكائنات من قوانين؛ أدرك أن الكون كله لوحةٌ واحدة، شديدة التكامل والانسجام وفارهة الجمال والجلال، وهذا برهان من براهين وحدانية اللّه، فالكون الواحد يدل على إله واحد.

 التدبُّر سبيل التوحُّد:

ومثلما كان التفكير في كتاب الكون طريقاً مستقيماً نحو وحدانية اللّه، فإن تدبر الكتاب يوصل إلى ذات المقصد، ولذلك قال تعالى: "أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير اللّه لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً".

 العلماءُ أوتادُ الأمة:

بجانب تأكيد التدبر لوحدانية اللّه فإنه يحقق وحدة المسلمين، ولهذا دعا القرآن إلى الاعتصام بحبل اللّه وعدم التفرق، وهو القرآن، ومن لم يتدبر القرآن فأنّى له أن يعتصم به من الغرق في أوحال التفرق؟!

ولما كان العلماء هم الأكثر دراية بالقرآن الكريم، نتيجة أنهم الأشد حرصاً على تدبره؛ فإنهم من أهم أوتاد الأمة ومن أقوى دعائم وحدتها، حيث أن علمهم يعصمهم من أن تتفرق بهم السُّبُل أو تَتيه بهم الأهواء، ومن أن تجتالهم الشياطين أو تجتذبهم العصبيات.

 ليمونة:

أشد الناس حماقةً من يواجهون المنايا بالأماني، وأشدهم جهلاً من يُوازون المعارف بالمعازف !

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٨٥

*سَجَايا الحكماء *

 بين الثبات والتَّغيُّر:

لا يكون المرء حكيماً حتى يفقه دينه، ولهذا فإنه يجمع بانسجام تام بين الثبات والتغيّر، حيث يتصف ب(صلابة الحديد) إذا تعلق الأمر بالثوابت، لكنه عند الانتقال إلى المتغيرات يصير ب(نعومة الحرير).

 الجَمْع بين الكمال والجمال:

إنّ توليف الحكيم بين الثوابت والمتغيرات يعني جَمْعه بين الكمال الذي يتربّع على عرش الثوابت وبين الجمال الذي تُمثِّله المتغيرات؛ ذلك أنه يحسن التفاعل مع المستجدات ويكفل تجديد الحياة بها، دون أن ينزلق إلى خنادق التبديد للثوابت.

 طائرُ الوحدة والحرية:

إن الحكيم طائرُ نورس يطير بجناحي الوحدة والحرية، الوحدة التي تحققها منظومة الثوابت، والحرية التي تُجسِّدها سحائب المتغيرات، ومن ثم فإنه يزاوج بين (أصالة الأصول والمقاصد) وبين (معاصرة الفروع والوسائل).

مزْجُ الثنائيات:

هناك كثير من الثنائيات التي تبدو لعامة الناس كأنها متناقضة لكنها عند الحكماء متكاملة، حيث يَجمعون بين مكوناتها ويَمزجون سائر مفرداتها وفق مقتضيات الزمان ومتغيرات المكان.

ويبدو هذا الأمر واضحاً في تركيب الشخصية نفسها، حيث يتشبعون بطيبات المادة ويتزودون من أنوار التقوى، وحيث تُفرحهم الآمال وتُترحهم الآلام، تُضحكهم المسرّات وتُبكيهم المَضَرّات.

وفي تعاملهم مع الخَلْق فإنهم يعرفون متى يلومون ومتى يلينون، متى يَمْنحون ومتى يمنعون، ويدركون متى يَمدحون ومتى يَقدحون، ويَعْلمون كيف يُرغِّبون وكيف يُرهِّبون.

إنهم يُزاوجون في تفكيرهم بين التجريد والتجسيد، ويجمعون في دعوتهم بين التخلية والتحلية.

إتقانُ الحكيم:

يتقن الحكيم فن التعامل مع الناس، فهو حُلوٌ لكنه يعرف متى يكون مُراً!

وهو مُزْهر لكنه يدرك متى يكون شائكاً!

وهو لَيِّنٌ لكنه يعرف من يستحق أن يشتد معه!

ولأنه حكيم فإنه لا يَنْفكّ عن قوله تعالى: {إدفع بالتي هي أحسن}.

 فاكهة:

يُجيد الحكماء توثيق العلائق مع الحق والخَلْق، حيث يتجهون إلى الله بضراعة ويتعاملون مع الخَلْق ببراعة، إذ يعرفون أين يجدون الله وكيف يكتسبون قلوب الناس!

 ليمونة:

إن هضم الثوابت والمتغيرات عنصرٌ أساسيٌ في صناعة إكسير الحكمة.

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٨٦

 فَواجِعُ التخلف

 التّمدُّد في الفراغات:

تمتلئ صروحُ أمتنا الفكرية والمادية بالفجوات المخيفة، ومنها تَسلّل أعداؤها الذين أقبلوا من كل حدب ينسلون!

فهناك فجوة بين العلم والعرفان أو بين العقل والقلب، وتوجد مسافة بين الروحانيات والماديات، وانفصام بين الأفكار والافعال، وهناك هُوّات بين التراث والحداثة، بين المثالية الفلسفية والواقعية السياسية، بين صفوية المفكرين وجماهيرية الواعظين، وهناك دوائر منفصلة بين المحلية والعالمية أو بين الوطنية والأممية!

وبعد ذلك كله يستغرب بعضنا من كثافة القادمين لغزونا من خلف الحدود!

 الفرد مضغة المجتمع:

كل الفراغات التي تعاني منها أمتنا، إنما خرجت من رَحِمِ الفراغات البارزة في تكوين شخصيات الأفراد، فالفرد في الواقع صار عدداً من الجُزُر المنعزلة، لا تربط بينها جسور التوازن والتكامل، ويعاني من (فراغ) العقل والقلب، وبعد ذلك هو (فارغ) الجيب والوقت، ولا يمكن أن يكون – والحالة هذه – إلا فارغاً من الخيال الخصب والإرادة القوية!

 الحاضر الغائب:

من كان خاوي العقل فارغ القلب سيصير وجوده عدماً وحضوره غياباً، وكل ثغر يوضع فيه سيبقى فارغاً، ومن كان هذا الخاوي أباه فهو يتيم، ومن كانت زوجته فهي أرملة !

 مَعامِلُ الوَهْن:

يمتلك التخلف معامل معقدة لصناعة الوهن الحضاري، حيث تحيل جُمور طاقات الأمة إلى رماد، وتحيل كيان الإنسان إلى غثاء، وتجعل من الأفكار الحية مجرد تقاليد جوفاء لا تسمن ولا تغني من جوع!

 مصانعُ الانتقام:

وتظهر مأساة التخلف الفكري أكثر ما تكون في مصانعه الانتقامية الشبيهة بمرض(كُرون) في جسم الإنسان، وهو الداء الذي يدفع جهاز المناعة لمهاجمة الجهاز الهضمي كله، ويتعامل معه كأنه كيان غريب على الجسم، ومن ثم فإن جهاز المناعة كلما قوي زادت ضراوة مرض كُرون!

وفي ظل مصانع الانتقام هذه تتحول النِّعَم إلى نِقَم، والمِنَح إلى محن، والمزايا إلى رزايا!

 ليمونة:

إن الأمة التي لا تمتلك (نافخي الروح) تَضْمُر وتموت، وعندها يَحضر (نافخو الصُّور)؛ إذ تأتي ساعتُها الحضارية وتَحضُر قيامتُها الدنيوية!

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٨٧

 مُروجُ الإنسانية

 شرطُ الإنسانية:

لا يكون البشري إنساناً حتى يُعامل كل أحد على أنه هو، فيوصل إليه ما يحب أن يوصَل إليه، ويُكفّ عنه ما يحب أن يُكَفّ عنه!

 قيمة الإنسانية:

إنّ الإنسانية قيمةٌ كاملة لا تقبل الانتقاص، فلا يمكن أن تطلب من الناس أن يعاملوك كإنسان، ثم لا تعاملهم أنت كذلك!

ولذا فأحبّ لهم ما تحب لنفسك، واكره لهم ما تكرهه لنفسك.

 سؤال:

لو طبقنا هذا المعيار على جميع البشر، بحيث لا نعتمد في خانة (الإنسان) إلا من يتعامل مع الآخرين كأنهم هو، فكم سيكون عدد الإنسانيين ياترى من بين ٧ مليار آدمي ؟!

 ضمانة الإيمان:

الإيمان هو المعراج القوي الذي يرتقي بالمرء في سماوات الإنسانية الوضيئة وآفاقها الرحبة، وهو الذي يوصله إلى قممها الشماء، حيث يرفعه من أخاديد البشرية السحيقة، مطهراً إياه من شوائب التراب وأدران الطين.

 من الأعماق إلى الآفاق:

لا يمكن أن يرتفع المرء من أعماق البشرية الموغلة في الانحطاط إلى آفاق الإنسانية البالغة شواهق الرفعة وقمم السمو إلا عبر معراج الإيمان الحي، الذي يَبسُق بزاد التقوى ويَسْمُق بقوة المعرفة، ويطير بجناحي العلم والإخلاص .

 تَمازُجُ البشري والإنساني:

اقتضت مشيئة اللّه أن يكون الآدمي مزيجاً من البشري الآتي من قبضة التراب، ومن الإنساني الناتج عن نفخة الروح، حيث تُذكي غرائزُ الجسم طاقاتِ الروح، وتتولى طاقاتُ الروح إشعال خصائص المادة، والسمو بغرائز الجسم إلى عوالم العفة والعطاء .

 فرق:

من أهم الفروق بين الإنساني والبشري، أن الإنساني كريم على الله ومن باب أولى على مخلوقات الله، ومن ثم فإن الدنيا تخدمه لأنه هو الغاية، أما البشري فهو يجعل الدنيا غايته، ومن ثم يصير وسيلةً رخيصة لخدمة الدنيا التي ما تزال تَتمنّع وتَتسيّد عليه حتى تصبح معبودته!

** ابتلاءُ التسامي والتسفّل:**

بسبب التركيبة المزدوجة للآدمي بين تراب الأرض وروح السماء، جاءت قصة الابتلاء في هذه الحياة، فإما أن ينحط مع تراب الأرض إلى أن يسقط في قيعان الجحيم، وإما أن يتزكى ويترقّى مع نفخة السموّ إلى أن يبلغ فراديس السماء !

** تَناسُبٌ:**

تتناسب فراديس السماء الرفيعة مع سمو الروح وتحليقها في أعالي القيم النبيلة والمُثُل السامية، وتتناسب لُجَج الجحيم مع انحطاط التراب وسقوط الطين ومع تسفّل النفس الأمارّة بالسوء التي تؤثر على الغرائز وتجعلها تنحطّ وتتدنى ما لم يكن لها عاصم من الله، عبر جوانح القلب الإيماني وأجنحة الروح الربانية.

** ملَكاتٌ مزدوجة:**

يمتلك الإنسان قدرات مزدوجة الاتجاه، تستطيع أن تُبلغه عليين أو تنحطّ به إلى أسفل سافلين، إذ يمكن أن يرتفع به إنسانُه فوق درجة الملائكية، ويمكن أن تتسفل به بشريتُه دون دركة الحيوانية!

** خارطة (الإنسان الكامل):**

ظل "الإنسان الكامل" حلم الفلاسفة والمفكرين وغاية رموز الروحانية والتصوف في الديانات والحضارات قاطبة.

ولكون الإسلام أكمل الأديان ومسْك الرسالات، فقد جاء بخارطة الوصول إلى "الإنسان الكامل" الذي يتبوأ مقامات السموق الروحي دون أن يتمرد

على بشريته ويصطدم بغرائزه، وذلك بتغذية المبنى الجسمي والمعنى الروحي بطريقة متوازنة.

 ليمونة:

يتوزّع العقل بين المبنى الجسمي والمعنى الروحي، ولذلك فإن العناية به هي أساس تكوين "الإنسان الكامل".

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٨٨

 خَوافي الخَطايا

 الرِّبا المُقنَّع:

من يعطي الناس شيئاً من مشاعره القلبية أو من عطاياه المادية، وهو إنما يريد مبادلته العطاء ولكن بكمية أكبر أو نوعية أفخر؛ فإنه يمارس صورةً من صور الربا!

وهو ربا مُقَنّع؛ لأنه يتخفّى وراء قناع العطاء والسخاء.

وهذا الربا منهي عنه بنص القرآن كما قال تعالى: {ولا تَمنُنْ تَسْتَكثِر}

 الخَمرُ الخَفيّ:

إن الخمر الذي يُغيب العقل عن إدراك الوقائع كما هي إنما هو من كبائر الذنوب كما هو معلوم.

ومن ثمّ فإن كل ما يؤدي إلى إحداث ذات الأثر يشترك مع الخمر في الحرمة!

ومن صور الخمر الخفي، الفكر المُغيّب للعقول بخرافاته المزخرفة، والأدب

 الخادع:

إذا كان الموت هو حكم اللّٰه اللازب ولا ينبني على ذاته ثواب أو عقاب، فإن صنفاً من الموت يُعدُّ من الكبائر، إذ أن أصحابه يَدفنون أنفسهم في قبور التقليد المقيت، ويُهيلون على وعيهم جنادل من تراب الاتباع الأعمى للآباء والأجداد، ويقوم القطيع الاجتماعي بإثارة الغبار الذي يعمي البصائر حتى لا يمكنها التعرف على الحقائق كما هي.

وبالجملة فإن الموغلين في التقليد يدفنون أنفسهم في قبور تحت أطباقٍ من ثرى التقليد، مما يمنعهم من رؤية الحقيقة أو سماع الحق أو الاهتداء إلى الصواب، ولذلك قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم: {وما أنت بمُسْمعٍ من في القبور}!

 القتْلُ الخفي:

إنّ الإنسان كائن ذو بعدين، فهو بالتراب بشَر سويّ، لكنه لا يكون إنساناً إلا بقوامه الروحي والعقلي، فبهما يكتسب حريته وكرامته، وبهما يتسلح بالأخلاق النبيلة والقيم الرفيعة، وبالاتكاء عليهما يصير نصيراً للحقيقة والحق ومحارباً للطغيان والرِّق.

ومن ثم فإن كل طريقة تؤدي إلى إزهاق الكيان العقلي والقوام الروحي في الإنسان هي من القتل الخفي.

وأخطر طرائق القتل الخفي هي مناهج التربية والتعليم؛ لأنها تستطيع أن تَهدّ جبالاً من رجال؛ ولذلك صار اغتيال العقل هدفاً أساسياً للغزاة الجُدد وللعولمة الاستعمارية!

 الهجْرُ الأقبح:

إن هجر الأقارب من كبائر الخطايا والذنوب، غير أن أسوأ أنواع الهجر على الإطلاق هو هجر القرآن الكريم؛ لأنه هجر لله تعالى الخالق المتفضل والأقرب للإنسان من حبل الوريد، ثم إن هذا الهجر يصير هجراً بشكل غير مباشر لسائر الفضائل ومقارفةً لشتى الرذائل، ولذلك لم يَشْكُ النبي صلى الله عليه وسلم أمّته لربه عزّ وجل بسبب أي خطيئة سوى خطيئة (هَجْر القرآن)!

 الغِشّ الأكبر:

يُحرّم الإسلام كل صور الغش وتزوير الحقائق، وسائر ضروب تزييف الوقائع وتنفيق البضائع المُزْجاة في ثياب السلع النفيسة، غر أن أسوأ صور الغش هو غش الإمام لرعيته والحاكم لمواطنيه، ذلك أن غشه يجتاح سائر الحدود والحُرمات، وتصل آثاره السيئة إلى سائر المواطنين!

 أسْوأُ الزّور:

إن كل شهادات الزّور في الإسلام سيئة ممقوتة، لكن أسوأها على الإطلاق الشهادة بالعدل للحاكم الظالم، فإذا كان صلي الله عليه وسلم قد قال:" إذا هابت أمتي أن تقول للظالم يا ظالم فد تُودِّع منها"، فكيف الحال إذا تجاوزتْ السكوتَ الجبان إلى تسمية الظالم بالعادل وتلقيب الخائن بالأمين ؟!

 ليمونة:

لا يصير الكذب سائغاً إلا عندما يردم الهُوَّات بين القلوب ويُعيد المَودّات بين المتخاصمين!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٨٩

 مَزاهرُ القراءة

 تَقلُّبٌ لا تَقَولُبٌ :

المؤمن الحق لا (يتقَولب) أبداً؛ لأنه دائم (التقلُّب) بين صفحات الكتب السماوية والكونية والاجتماعية، ويتقلب بين الكتب النافعة للبشر، فمن كان هذا حاله من أين له أن يتقولب؟ وكيف يتقولب وهو دائم الرحيل ودائب السفر ؟!

 إدراكُ النسبية :

إن المكثرين للقراءة من شتى المشارب، والمستفيدين من كل العارفين، والناقدين لجميع الناس، لا يمكن أن يسقطوا في الحضيض، حيث ادعاء امتلاك الحقيقة المطلقة، إذ يدركون أن الفكر البشري نسبي، وأن الحقيقة المطلقة وقفٌ على الوحي النازل من صاحب الكمال المطلق!

 صخَراتُ الجهل :

ظل الجهل الشعبي والضعف الإعلامي صخراتٍ تتكسر عليها سُفُن التغيير التي قادتها الحركات الإسلامية خلال العقود الأخيرة !

لقد ظل الإسلاميون منهمكين في العمل التربوي البطيئ الأثر، وفي النشاط الخيري القليل الجدوى، وفي العمل السياسي الشديد الخطر، ولو أَوْلَوا نشر القراءة وتوسيع مساحة الوعي مثل الجهود السابقة لكان وضعهم اليوم أفضل بكثير، ذلك أن الناس أعداء ما جهلوا، ثم إنهم يتكئون على الإسلام صاحب الفاعلية الهائلة التي لا نظير لها بين سائر الأديان والثقافات .

 بوارجُ الزمن :

يقول أميلي ديكنسون: "ليس ثمّة بارجة كالكتاب تنقلنا بعيداً، وليس ثمة جياد كصفحة شعر مُتوثِّب".

إن الكتاب هو تلك البارجة ذات القدرات السحرية التي تجتاز الأزمنة وتتجاوز الأمكنة، ناقلةً القارئ إلى حيث يريد وحيث يتخيل، فيتقلب في الأمكنة ويتنقل بين الأزمنة، يأخذ عصائر الخبرة ويتجنب أعاصير الفتنة !

 دمعةُ الحياة :

من أراد أن يتعلم فالحياة جامعة ضخمة، فيها أساتذة كثيرون، إذ يمكن للمرء أن يتعلم حتى من الحمقى ويَعتبر من المغفلين!

يقول كونفوشيوس: " لابدّ لي في درب الحياة أن أجد بين كل اثنين معلماً "، وهذا في أوساط عوام الناس، فكيف بأصحاب الكتب من العلماء الأعلام والخبراء المجربين؟

 شلاّل الحكمة:

يُخيل إليّ أن في رفوف المكتبات شلّالات تَتصبّب منها سيول المعرفة وتتدفق منها مياه الحكمة التي تَسْقي العقول وتَروي القلوب، حتى تَخْضرّ شجرةُ الإنسان، وتصبح الحياة بستاناً بالغ الروعة والجمال.

وفي هذا السياق تقول الحكمة اليونانية: ينبوع الحكمة تتدفق مياهُه من رفوف الكتب !

 المداد المقدس:

في الجهاد الأبيض تقوم الكتب مقام الكتائب، ويتقدم القلم على السيف، ويصبح المداد مقدسا كالدم، يقول شكسبير : "مدادُ قلم الكاتب مقدسٌ مثل دم الشهيد"!

 السلاحُ الفتّاك:

القراءة التي تَعْمُر العقول وتُزكّي القلوب هي السلاح الفتاك الذي يستطيع تأديب المتمردين، وردع المعتدين، يقول الشاعرالداغستاني رسول حمزاتوف: " لقد خسرنا الكثير من المعارك بسبب السيف، لكننا لم نخسر معركة واحدة بسبب الكتب"!

 ليمونة:

ما دامت القراءة نافعةً للعقول وماتعةً للقلوب فإنها ترياق للنفوس!

 بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٩٠

نفَحَاتُ التّربية

أكبادُنا المُعتلّة :

إن أولادنا هم أكبادنا التي تمشي على الأرض، وللأسف فإن الواقع يقول إن معظم هذه الأكباد مُعتلّة؛ بسبب سوء التربية التي يتلقونها على وجه العموم، وبسبب سقم البيئة الاجتماعية التي تعاني من آفات وعاهات كثيرة ومن علل وأوبئة عديدة، ما تزال تُورِّث أسقامها إلى الأجيال القادمة !

مدرسة اللعب:

اللعب مُكوِّن رئيسي في صياغة شخصية الطفل، وكلما كانت دائرة لعبه أوسع صارت حريته أعرض ومداركه أروع، وكلما كانت ألعابه أرقى صار تفكيره أدق وأنقى.

أما إذا تم التضييق عليه في لعبه واقتصر لعبه على التراب؛ فمن المحتمل أن تصبح أخلاقه أقرب إلى أخلاق التراب، كالغضب السريع والميل إلى العدوانية ونكران الجميل، وكذا ضيق الأفق وقلة الحيلة والفقر في مَلكات التفكير والخيال !

أقنعةُ الزيف:

في المجتمعات التي يتمكن فيها الاستبداد وينغرس فيها الطغيان، فإن النفاق ينتشر فيه كانتشار النار في الهشيم، حيث تكثر بين أبنائه الأقنعة وحفلات التنكر، وتشيع الباطنية وثقافة التُّقيا، وتتسع المسافة بين الظواهر

والبواطن، وتقول الألسنة ما لا تعتقده العقول، وتجتهد مواد التجميل في إخفاء قَسَمات الوجوه التي يمكن أن تشي عما يعتمل في الصدور أو يَخْتلج في القلوب!

وفي هذه الظروف يرتقي الأقدَر على المَلَق، ويتصدر الأمهر في النفاق، ويغتني القادرون على التزلُّف .

ويتسابق المتزلفون على تَجنُّب النقمة ونيل الحظوة؛ باختلاق الأكاذيب وتدبيج قصائد وخُطب الزيف، ويصبح الحاكم إلها يتنافس الناس على نيل رضاه وعطفه واستجلاب هِباتِه وعطاياه !

اللعب وتقدير الذات:

لا يمكن أن يكون المرء سعيداً في نفسه فاعلاً في حياته، ما لم يَحُز منذ الصغر على تقدير الذات، الذي يمنحه ثقةً بالنفس، ويَهبه قدرا من الخبرة .

وأول خطوة في امتلاك تقدير الذات هي ممارسة اللعب بقدر من الحرية والتنوع، بحيث يشعر الطفل بالإنجاز، فتَتفتّق مَداركُه العقلية وتنضج خرائطه الذهنية، تنبثق مواهبه الحركية وتتراكم خبراته العملية.

- ألعاب الفاعلية :

تساهم الألعاب في زراعة المشاعر الإيجابية وتنمية القلق البنّاء، وفي تعزيز الميل إلى التفاؤل وتقوية الحِسّ العملي، بحيث يصبح في المستقبل شخصية فاعلة.

- الألعاب الجماعية :

حيث تساعد الطفل على أن يصبح شخصية اجتماعية، يتمتع بوشائج الاجتماع وأواصر الإئتلاف.

ولهذا ينبغي إشراكه بشكل مُكثّف في ألعاب جماعية، يتربى فيها على قيم التسامح والعطاء، ويتدرب على مهارات التعاون والتشارك وعلى الخوض في تجارب جماعية، وبحيث يكافأ فيها المصيب ويشجع المخطئ.

حقيقة:

إن التربية التي تقوم على كثرة الممنوعات (والأصفاد)، لا يمكن أن تثمر أناساً صالحين، بل مجموعة من الإمَّعات و(الأصفار) التي لا تصلح لشيء، وإنما تُطيل طابور القطيع وتزيد من كثافة الغثاء!

إنسان المَرْحمة :

إن إنسان المَرحمة الذي تَخرَّج من مدرسة الإسلام يَسيل رحمةً ويَتصبّب شفقةً على كل الكائنات، حيث يقبل الأعذار ويقيل العثار، يُعين الساقطين على القيام ويساعد المتعثرين على السير، لا تعرف القسوة طريقها إلى قلبه ولا تجد الغلظة محلاً في فؤاده، ولا تَظهر الشدّة عنده إلا ضد المجرمين الذين ينتهكون الحقوق ويجتازون الحدود، والذين يخالفون قواعد الحركة ويعبثون بحرمات المجتمع.

تربيةُ المُضحّين:

النفوس البشرية مجبولة على الطمع والجشع، وتهفو إلى الجمع والاستئثار، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب كما جاء في الحديث الشريف،

ومن أجل الحصول على زينة الحياة الدنيا تميل النفوس إلى التضحية بالآخرين.

وإن تمرد الإنسان على هذه الجِبلَّة، بحيث يضحي بذاته من أجل المحافظة على حقوق الآخرين، إنما يحتاج إلى تربية مركزة، تتعاضد فيها الترقية الفكرية مع التزكية الروحية والتعبئة القلبية.

إن صناعة الأنفس المضحية هي أصعب الصناعات وأرقاها، كما قال الزبيري :

وأثقلُ أعباء العلى خَلْق أنفسٍ
تُضحّي لأمرٍ لا يزال مُغيّبا

 ليمونة:

المدارس هي البطون التي تَتخلّق فيها أجِنّةُ المستقبل.

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٩١

 عِلَلُ المِلَل

 أسْوأُ العلماء:

من مساوئ علماء اليهودية أنهم انكبّوا على الدنيا بتطرف لدرجة أنهم اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً، بينما ذهب علماء النصارى إلى تبخيس الدنيا وتزهيد الناس بها!

وأسوأ علماء المسلمين هم من جمعوا بين السُّوئين، بحيث انكبّوا في ذاتهم على الدنيا وزهَّدوا الجماهير بها، مما ساهم في صناعة الغثائية الحاصلة اليوم!

** آفةُ المثالية:**

يزاوج الإسلام بين الواقعية والمثالية بطريقة متوازنة، بعكس الديانات الأخرى التي تُغلّب إما الواقعية كاليهودية أو المثالية كالنصرانية، ولكن بدون أي ظل من الحقيقة.

وبلغ من فشل المسيحية في تطبيق تعاليمها المثالية أن قال نيتشه: "إن آخر مسيحى قد مات على الصليب"!!

بمعنى أنه لم يوجد من طبّق هذه التعاليم سوى المسيح عليه السلام نفسه!!

** الفردوس الموعود:**

إن الفردوس الموعود في اليهودية يتم على الأرض بأي وسيلة، وفي المسيحية لن يكون إلا في السماء، أما في الإسلام فإن الطريق إلى فردوس السماء هو فرْدَسَة الأرض، حيث أن الغاية من خلق الإنسان هي استعمار الأرض وفق منهج السماء، وهذا هو جوهر العبودية الحقة لله تعالى.

** خطايا الأخطاء:**

من أغرب الغرائب أن بشراً يُكفّرون عن (أخطائهم)؛ باقتراف (خطايا) من الوزن الثقيل!

فقد كان الفراعنة يُكفرّون عن أخطائهم؛ بقذف أجمل بناتهم في النيل حتى تتدفّق مياهه، وكان القرطاجيون عندما يتأخر المطر يقذفون بأطفالهم في فم إلـههم"مولوخ" الذي يتأجّج ناراً في العادة!

وما زال مسلمون للأسف يذهبون إلى الأولياء سواء كانوا أحياءً أو أمواتاً لطلب المغفرة، كما كان يفعل المسيحيون بطلبهم لصكوك الغفران من رجال الدين!

 سؤال بريئ:

هل هي صدفة محضة أن يكون العيد الأسبوعي لأمة (التثليث) هو يوم (الأحد)؟ أم أن الله يقيم الحجة عليهم بهذا العيد، بحيث يُذكّرهم كل أسبوع بأنه أحَدٌ فرْد صمد؟!

 التقديس الأعمى:

لأن تقديس أهل الكتاب للوحي كان أعمى لا يقوم على بصيرة، فقد تجاوز الإنجيل إلى اللغة التي شاع بها وهي اللغة اللاتينية التي أصبحت مقدسة، لدرجة أن أول من ترجم الإنجيل إلى الإنجليزية تم إعدامه حرقاً في جنيف سنة ١٥٣٦م، ثم تم منع العامة والنساء من قراءة الإنجيل بالإنجليزية سنة ١٥٤٣م!

 ليمونة:

رغم خلوّ الاسلام من علل الملل السابقة، إلا أنّ المسلمين ورثوا علَل الأمم الماضية، باستثناء تحريف القرآن الذي تعهّد الله بحفظه!

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٩٢

مشاعلُ الشهوة

تضييقُ الجسم والعقل :

في غالب الأحوال يكون توسّع الجسم غير الطبيعي على حساب العقل، بمعنى أن تَضخّم الجسم يؤدي إلى تضاؤل العقل، ولهذا دعا الإسلام إلى الاعتدال في الأكل والشرب وإلى التوسط في العناية بالجسم عموما، وكان هذا الأمر محل تفهم السلف الصالح، مع وجود استثناءات نادرة .

ومن طريف ما يروى في هذا السياق أن الإمام الشافعي قال: "لم أرَ سميناً عاقلاً إلا محمد بن الحسن الشيباني"!

والشيباني هو صاحب الإمام أبي حنيفة مؤسس أقدم وأكبر مذاهب السنة في العالم الإسلامي.

أبخرةُ الطعام وسحائب الفكر:

كان العلماء القدامى ينهون عن الإفراط في الأكل، ومن خلال دراسات علمية لأطباء مسلمين، قدّموا ما يثبت أضرار الإكثار من الأكل على جسم الإنسان وعقله، ومن ذلك أن أبخرة الطعام تتصاعد إلى الدماغ حتى تغطي على الفكر. كأن أبخرة الأكل إذا تصاعدت إلى سماء العقل طردت سحائب الفكر، ومن ثم فإن أمطاره ستكَفّ عن الانهمار وسيصاب بالجدب الفكري، ومع مرور الأيام سيصاب بالتخشّب، ولن يعود صالحاً إلا لإشعال نار العداوات وإيقاد لهيب الفتن!

 إشراقُ العقل بين الجوع والشبع:

لا يسمو عقل الإنسان ولا يصفو ذهنُه، ولا تستيقظ خلايا مخّه أو تُشرق أشعّة فكره، إلا بالغذاء المعتدل، أما التخمة فتغرقه بين أطباق الخمول والغفلة، وقد تقضي عليه إذا طال الأمد، وأما الجوع الدائم فإنه يؤدي إلى ضمور خلايا الفكر، مثل النباتات الذابلة التي قلَّ ماؤها.

والأفضل للعقل والجسم كله هو الاعتدال، بحيث لا إفراط في الأكل ولا في الجوع، ومن ثم يستفيد العقل من لَسْع الجوع المعقول ومن دفىء الشبع المعتدل.

 سلاحٌ ذو حدين:

الشهوات سلاح ذو حدين، فيمكن أن (تُذكي الهمّة) أو (تُشعل الهموم)، يمكن أن تجمع شمله في آفاق الحكمة أو تمزقه في فيافي الطمع والهلع!

 مشاعلُ الشهوات :

لكي يسمو الإنسان فوق بشريته الترابية؛ فتسمو أذواقُه وتعلو أتواقُه؛ لابد من إشعال جذوات هذه الأنوار، وأدوات الإشعال عديدة، ومن أهمها التزود المشروع من طاقات الشهوات بصورة معتدلة، بعيداً عن التقتير أو الإتخام !

 هزُّ العقل والقلب :

لكي يثمر العقل والقلب أينع الثمار، لابد من أزوادهما الروحية والمادية، ثم إن نَخيلهما بحاجة إلى هزّ حتى يُسقط الرُّطَب الجَني، ومن أهم أسباب هزّ

جذعيهما هذه المراوحة بين الجوع والشبع، بين الحركة والسكون، بين القلق والطمأنينة، وذلك إذا كان يجوع يوماً فيصبر ويشبع يوما فيشكر.

 دواءٌ ناجع أو سُمٌّ ناقع :

إشباع الشهوات هو دواء للإنسان قلبا وقالباً، لكن تجاوز القدر المحدد ومجاوزة الاعتدال المعقول، يحوله إلى داء؛ نظراً لأنه مكوّن من بعض المواد السامة .

وهكذا فإن عصير الشهوات، يصبح بالاعتدال دواءً ناجعاً وبتجاوزه يصير سُمّا ناقعاً.

 بابُ الشهوات:

الشهوات باب متحرك، يمكن أن يَلج منه المرء إلى الفضائل، ويمكن أن يَدلف من خلاله إلى الرذائل !

 ليمونة:

من ارتقت أذواقه؛ أشرقت أشواقه.

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر٩٣

 معالي العلوم

 منازلُ السُّنن:

إن الحضارة بيوتٌ عامرة بالنَّوَابِهِ والنّوابغ، وبساتين مزدانة بالمعارف والمنافع، لكن الولوج إليها لا يمكن أن يتم إلا من أبوابها، وأبوابها هي السُّنن التي من وَلَجها فقد بلغ المنزل، ومن أعرض عنها بقي خارج المضمار الحضاري.

 حقيقة:

مهما تقدّمتْ (السنين) فلن يتم التقدم إلى الأمام إلا ب(السُّنن)!

 بُراقُ العلم:

بفضل اعتلائها لبُراق العلم عرَجتْ كثيرٌ من أمم الأرض إلى (الثّريا)، بينما أدى ركوب المسلمين لدواب جهلهم إلى بقائهم جاثمين على (ثرى) الأرض !

 حقائق وحقوق:

يُفترض في الذين يحترمون (الحقائق العلمية) في الكون أن لا يعتدوا على (الحقوق العملية) للناس !

 أجْرَا الاجتهاد:

شجَّع الإسلام الاجتهاد العقلي إلى أبعد مدى، حيث أعطى للمجتهد الجاد أجوراً في كل الأحوال، فإن أصاب كبِد الحقيقة أعطاه أجرين، وإن أخطأ في اجتهاده أعطاه أجر مكابدة الألم في رحلة البحث عن الحقيقة!

 ميزان المنهج:

المنهج العلمي الرصين هو الميزان الذي يُميز بواسطته الثمين من الغث، وهو المعيار الذي تقاس به نفاسة الأشياء وتُقدّر قيمتها.

إنه الصورة الكلية للعلم، والإدراك الواضح لمقاصد الشريعةالإسلامية، وكان الإمام الشافعي يسميه الحُجّة، فقد قال كما نقل عنه البيهقي: "مَثَل الذي يطلب العلم بلا حُجّة كمثل حاطب ليل، يحمل حزمة من حطب وفيه أفعى تلدغه وهو لا يدري"!

وكم في خزائن الحُفاظ من أفاعي تلدغ، لأنهم يركزون على الجمْع، ويقيسون علمهم بكمية المفردات التي حفظوها، حتى ولو كانت متنافرة وغير نافعة!

 ليمونة:

مهما تغيّرت السنين فلن تتغير السُّنن!

بورك المتفكرون



قُطوفُ الفكر٩٤

نوائلُ الإيمان

الارتباطُ بالله :

استعد لمواجهة الكروب والنوائب فإنها من ضروريات الحياة، ولا تلُم أحداً لأنه تركَك أثناء محنتك، فحتى ظلّك يتركك عندما تكون بعيداً عن الضياء !

الله وحده قريبٌ منك في السراء والضراء، رحيم بك في الشدة والرخاء، يرعاك في النور والظلام، فوثِّق علاقتك معه، فهو وحده من لا يتخلى عنك إلا إذا ابتعدت عنه !

نوائلُ القدر :

المؤمن بالقدَر يعيش قرير العين مطمئن البال، ويظل موحَّد الشمل، ويهنأ في بحبوحة الرضى، ويستمتع ببهجة اليقين، إذ يؤمن أن الله يحبه، وأن الخير قد يأتي في صورة الشر، والنفع قد يتلفع بثياب الضرّ، ويثق أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، ومن ثم فإنه لا يأسى على ما فات ولا يخاف مما هو آت، ولا يفرح بما نال من أنواع النّوال.

الربانيون :

الربانيون هم الذين لا يعترفون إلا بربوبية الله وحده، نفعاً وضراً، منْحاً ومنعاً، حياةً وموتاً.

 ضياع الحقيقة :

بانعدام الإخلاص تضيع حقيقة الأعمال، حتى أن جبالاً من الصالحات تصير سراباً موهوماً أو هباءً منثوراً !

 تنفيس الكروب:

لكي لا تتعاظم مشاعر الألم من الخطوب النازلة بالإنسان، فتعصف به أو تدفعه إلى حالة الانفجار، فإن هناك وسائل عديدة لخفض مشاعر الانضغاط، وتنفيس حالة الاحتقان !

وأهمها هو الإيمان بالقدر، عبر الرضى باختيار الله، وإدراك أن الله يحب لعباده الأفضل، والذي قد يخفيه وراء الكروب والخطوب، كنوع من الابتلاء، وبعد هذا كله هناك وسيلة هي المقارنة بالأسوأ كما قال شوقي :

ما جَلَّ خطبٌ ثم قيس بغيره
إلا وهوَّنه القياسُ وصغَّرا

 بلسمُ الإيمان :

الإيمان يمتلك ظل الطمأنينة الوارف من حَرور القلق المُضني، وضياء الهدى من ظلام التيه.

ويمتلك إكسير الحياة من موت الكفر، إذ فيه شفاء الروح من الجفاف، ويلسم القلب من الأوجاع، ودواء الفؤاد من الآفات.

 ليمونة :

إذا كان الإيمان نقياً تَفيّأت الحياةُ ظلال الأمن .

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٩٥

سَجَايا الإنسان

الجهلُ البشري:

الإنسان كائنٌ بشري زاخر بالجهل، ولقد زوده الله بالجوارح التي تُمكّنه من التعلم في عالم الشهادة دون الخوض في عالم الغيب.

وعندما يدرك الانسان ساعة مولده ويتذكرها بجلاء، فإن بمقدوره إدراك من أين وكيف جاء!

وحينما يستطيع معرفة ساعة وفاته، فإن علمه سيمكنه من معرفة إلى أين سيذهب، وماذا سيحدث له!

وطالما لم يحدث ذلك منه فليس أمامه إلا منهل الوحي الذي أوضح له من أين جاء ولماذا، وكيف يعيش ويتعامل، وإلى أين سيذهب ولماذا؟!

غنائمُ النقص:

الإنسان مجبول على النقص، ومع أن العقل أداة (كمال) الإنسان إلا أنه يصبح أداة (نقص) عندما لا يحسن المرء توظيفه .

ومن أهم (نواقص) العقل الاعتقاد بنفع (التمائم)!

ومن أسوأ صور (التعرّي) العقلي اتخاذ (الحُروز)؛ اعتقاداً بقدرتها على حماية الإنسان من الشرور والأخطار !

ولأن التمائم والحُروز تنتقص من عمل العقل فقد حرمها الاسلام تحريماً قاطعاً .



نسبيةُ الانسان:

لا يبرح الانسان العيش بين بواعث الخير ونوازع الشر، بين النفخة الربانية والنفثة الإبليسية، بين الهداية النورية والغواية النارية، بين الطائف الشيطاني واللطائف الرحمانية.

ولهذا فإن من المستحيل أن يَخلُص أي إنسان للشر أو يتمحَّضَ للخير .

الواثق والمتشكّك :

الواثق من شخصيته يحرص بكل ما أوتي من قدرات على الترقي بالآخرين، معتقداً أنه ينسجم معهم أكثر كلما كانوا في مستواه!

أما ضعيف الشخصية فهو يحرص على بقاء من هم دونه كما هم، كأنه لن يتقدم بارتقائهم، أو أنهم سيكتشفون أوجُه الخلل في ذاته !

القويُّ والضعيف:

القوي يجعل برهان أفضليته هو الارتقاء بمن هم دونه، بينما يسعى الضعيف لإثبات قوته، من خلال انتقاص الآخرين والنيل منهم !

إصْرُ الاصرار :

في بعض الأحيان لا تقاس الذنوب بحجمها، بل بطرائق التعامل معها، فإن استمراء الصغائر يرفعها إلى درجة الكبائر، وإن إصْر الإصرار قد يَصير أكبر من إثم السيئات نفسها.

كيمياء اللؤم:

اللؤماء هم الذين اختلّت فيهم كيمياء الأخلاق، إذ كلما عفوتَ عنهم تمادوا، وإذا أكرمتهم تمردّوا!

عمّالُ الحرام :

إن الذين يُولّون وجوههم شطر العمل الحرام، لن يحصدوا مع الأيام إلا الآلام ولن يَجْنوا إلا الأشواك، لن يقبضوا إلا على الجَمْر ولن يحصلوا إلا على الوبال!

ليمونة:

يمتلك الانسان أهلية التسيُّد واستعدادات التعبُّد، فإذا صرف أهلية التعبد لله عاش سيداً في هذا الوجود.

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر٩٦

تظافرُ القلوب والعقول

مَوَاجدُ المَواجع :

إن استثارة (المواجد) القلبية بدون مشاركة التفكير العقلي قد يخلق انفعالات تَخرُج عن السيطرة والتحكم، مما قد يؤدي إلى صناعة (المواجع).

كوابحُ العواطف:

إن تحريك (كوامن) القطار البشري بدون وجود (كوابح) العقل، قد يتسبب في خلق أعاصير من العواطف الحارقة، وسيول من الانفعالات المدمرة.

والذي لابد من الجمع المتوازي والمتوازن بين عواطف القلب وعواصم العقل، بين سيول الانفعالات ومسارب الفكر .

الأوّاهُ الأوّاب :

لكي يكون المؤمن تواباً كرسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كان يتوب في اليوم سبعين مرة أو مائة مرة، وهو من غَفر له ربه ما تقدّم من ذنبه وما تأخر، فإنه يحتاج إلى النباهة العقلية والصفاء الروحي اللَّذَين يجعلانه شديد الحساسية أوّاهاً، وشديد المراقبة أوّاباً؛ بحيث يطير في المدارات ويتنقل بين المقامات، مدركاً أن ما فعله في سبيل الله دون ما ينبغي أن يفعل بكثير .

إن شعوره بالنقص والتقصير في جنب الله هو ما يجعله أوّاهاً، ثم يجعله أوّاباً ثم يصير توّاباً.

حقيقة :

إن العقول الحائرة والقلوب الخائرة لايمكن أن تتمخّض عن نفع أو تتمحّض لخير، ولا يمكن أن تتسبّب في تقدّم أو تؤدي إلى ترَقّ.

طفولة الروح :

هناك أناس يبلغون من العمر عتياً ويبلغون من السن أرذله، ومع ذلك يخرجون مع ذلك من الدنيا وهم أطفال؛ ذلك أنهم ظلوا في مستوى طبائع التراب وقوانين المادة، إنها الطفولة العقلية والطفولة القلبية!

قلَقُ البحر :

القلق الصحي مثل أمواج البحر التي تحفظ له ديمومة الحياة وتآلف الكائنات التي تعيش في أوساطه.



ولولا القلق لسكنت الحياة وأصابها التأسّن، ولاعتراها الجمود وحاق بها التعفُّن، فالقلق الصحي يبحث عن المخارج للمآزق وعن الحلول للمشاكل، ويبتكر المعالجات للمعضلات، وهو الذي يحقق الاختراع ويحقق التجدّد والتوهّج.

القلق بين العقل والقلب :

إن القلق الطيب هو قلق العقل، بينما السكون يكون حالة مرضية بالنسبة للعقل وحالة صحية بالنسبة للقلب، الذي لايعرف المدّ والجزْر ولا يستطيع التموج، فهو مطمئن بالعيش في كَنَف الله، يسكن بمعيّته ويطمئن بذكره، يخشع بعبادته ولا يضطرب أمام أقداره؛ لأنه يوقن بأن الله يحب لعباده ما هو الأفضل، وأنه أرحم بهم من أنفسهم.

ليمونة:

بتظافر العقل والقلب يمتلك المؤمن البوصلة والزاد.

بورك المتفكرون



قُطوف الفكر٩٧

** مَغارِسُ البُسوق**

** الجهادُ النفسي:**

يُمثّل الجهاد ذروة الإسلام ويستحق أصحابه قمة التكريم؛ لأنه استفراغ للوسع ابتغاءً لإعلاء كلمة الله، غير أن من لم يجعل كلمة الله هي العليا في ذاته فأنّى له أن يجعل كلمة الله العليا عند غيره؟!

ولأن فاقد الشيء لا يعطيه، كان لابد أولاً من مجابهة الذات ومجاهدة اللذات؛ فإذا انتصر على نفسه أمكن له الانتصار على عدوه.

** الإنسان أولاً:**

إذا صلح الإنسان أصلح كافة الأوضاع المُعوجَّة ولو كانت النظم عوراء والوسائل عرجاء !

وإذا فسد الإنسان أفسد كل شيء ولو كانت النظم ممتازة، ألا ترون في هذا السياق كم هو إسلامنا عظيم لكنه لم يُغنِ عن المسلمين شيئاً؛ لأن آفة التخلف تسكنهم ولم يرتفعوا إلى أُفُقه السامق!

ولهذا ظل النبي صلى الله عليه وسلم يُصلح الإنسان في مكة ثلاث عشرة سنة، بينما أصلح الأشياء كلها بما فيها الدولة خلال عشر سنوات بدون أن يتوقف عن إصلاح الإنسان .

** نسبيةُ الفوؤس:**

يمكن بالفأس أن تحرث الأرض وتزرع للناس ما يُشبع بطونهم ويقيم لهم أوَدَهم، ويمكن أن تحفر به القبور وتضرب به الأعناق !

فالإنسان هو الفيصل في جَعْل الفأس أداةً لازدهار الحياة أو لازدهاء الموت !

 تغييرٌ استراتيجي:

إذا وُجدت الكتلة الحرجة من الحكماء في أي مجتمع تحركت عجلة التغيير فيه، إذ ستظهر خيرات الحكمة وسط ذلك المجتمع، وذلك بجهودهم التي تتصبّب علماً وأمانة، وتَنصَبّ في محاربة الخطايا على (التجفيف) لا على (التخفيف)، وهذا هو التغيير الاستراتيجي!

غير أن الحكيم إذا تأكد من عدم إمكانية التجفيف فإنه لا يقف مكتوف اليدين وإنما يلجأ إلى التخفيف!

 علمانيةُ الذات:

لأن كل تغيير يبدأ من داخل الإنسان، فإن العلمانية تبدأ من ذات الإنسان، وذلك حينما يتم الفصل بين الروح والجسم!

 ليمونة:

ما لم يُصلح الإنسان نفسه من (الباطن) فإنهُ سيتوغّل في متاهات (الباطل) !

 بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٩٨

 تَباشير الصّبَاح

 هلاكُ اليأس:

الانتحار إهلاكٌ للكتلة المادية في الإنسان، واليأس قتْلٌ لقوامه المعنوي، ولذلك كانت عقوبتهما واحدة وهي الخلود في لُجَج الجحيم !

 أملُ المستقبل:

الإسلام هو أمل البشر في مستقبل مشرق؛ لأنه وحده من يستطيع تخليص الإنسان من أساطير الأديان ومن خرافات العلوم التي ربطت التقدم بالإلحاد، ورهنت الحضارة بالكفر، وفصلَت الأجساد عن الأرواح!

 بُراق:

الدعاء هو بُراق المظلومين، فليصعد كل مظلوم إلى الحَكَم العدل عبر بُراق الدعاء !

 انبلاجُ الفجر:

في ظل حكومات الجيش والعَسَس فإن ليل الظلم قد طال وعَسْعَس !

ولقد آن للشعوب أن تتحرر وتتحرك حتى يَنبلج فجرُها المنتظر ويُسْفر صبحُها الأغر!

 مُداولة:

لا تزال الأيام مداولة بين الناس، ألا ترى أن التراب الذي تطأه أخمص الخلق يصير صعيداً طيباً يقوم مقام الماء حين لا يوجد؟!

 آلام الآمال:

كم يتحسّر المرء كلما انْحسر شعرُ رأسه، وكم تطول حسرته كلما قَصُر نظرُه!

وكم تذوب آماله كلما ذوتْ نضارته!

وكم تتضخم آلامه كلما تضاءلت أحلامُه !

وكم تستيقظ مواجعه عندما تستنيم قدراتُه !

 تعريفات:

الأمثال: خبرات (حلوة) تفتّقت عن تجارب (مريرة) !

الحِكَم: ثمار رائعة تسقط من أشجار مُريعة !

الأمل: مُولِّد ضياء، بدونه يصبح الزمن ليلاًً دامساًً .

الطّيبَة: جواز مرور لا يعترف به اللُّؤماء !

 ليمونة:

التفاؤل بدون حذر كالورد بدون شوك، ولذا يصبح عرضةًً لقطْف العُداة وسطْو الغُزاة!

بورك المتفكرون

قُطوف الفكر٩٩

** فقهُ الطوارئ **

حجَرُ الأساس في فقه الطوارئ:

بعد انحراف قطار الدولة الأموية عن سكّة الخلافة الراشدة، انصاع كثير من المسلمين للأمر الواقع ولاسيما الأعاجم الذين كان الفكر الجبري يسكن عقولهم باسم القدر!

غير أن عدداً من أعلام الأمة استفزّتهم المظالم واستثارتهم الانحرافات التي كانت تزيد مع مرور الزمن، مما جعلهم يَخرجون على حكام الجور، معتقدين أنهم قد استكملوا عدة الخروج، وأهم هؤلاء:

- الحسين بن علي في كربلاء أيام يزيد بن معاوية.

- عبدالله بن الزبير في مكة أيام عبدالملك بن مروان وواليه الحجاج بن يوسف.

- زيد بن علي ثم ابنه يحيى في العراق أيام هشام بن عبدالملك.

- محمد بن عبدالله بن الحسن بن علي الملقب بالنفس الزكية في المدينة المنورة أيام الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور.

- إبراهيم بن عبدالله بن الحسن في البصرة وهي امتداد لثورة النفس الزكية ضد المنصور.

وقد انتهت هذه الثورات باستشهاد قوادها ومن معهم من أخلص الأبطال، وأدت إلى تدمير المدينة المنورة وضرب الكعبة بالمنجنيق، مع حصول تداعيات رهيبة امتد أكثرها لقرون كما في حادثة استشهاد الحسين التي قسمت الأمة بشكل نهائي إلى شيعة وسُنّة، وأثقلتها بالمواجع وورّثْتها الأحقاد والثارات إلى يومنا هذا.

كل ذلك دفع بكثير من فقهاء الأمة إلى استدعاء أحكام سدّ الذرائع، وتحوّل مع الأيام إلى فقة متكامل يمكن تسميته بفقه الطوارئ، ويقوم على تحريم الخروج على أئمة الجور نهائياً وإن جلدوا الظهور وسفكوا الدماء !

 سُوءُ قراءة الواقع:

من يقرأ تاريخ تلك الثورات الفاشلة بعين ثاقبة؛ سيجد أن سبب فشلها عدم إتقان قراءة الواقع، مما جعل قادتها يتأثرون بانفعالات الجماهير، فأحرقوا المراحل واستعجلوا قطف الثمار، ليكتشفوا وقت الشدائد أن الذين صمدوا معهم قليلون جداً قياساً بالأعداد الكبيرة في البداية، مما يستدعي الاهتمام البالغ بتربية الشعوب وبناء الشخصيات السوية.

 موضوعاتُ فقه الطوارئ:

شرع الإسلام من التشريعات ما يناسب الزمان والمكان، ليظل الدين واصباً في كل آن، وحتى يدخل المسلمون في السِّلْم كافة.

وفي حالات الكوارث والحروب والاضطرابات، شرع الاسلام أحكاما وهيئات خاصة حتى في العبادات، كصلاة الخوف في الحروب، وقصر الصلاة في السفر، وإجازة الصلاة حسب الإمكان للمريض، وشرع التيمم عند انعدام

الماء، وأوجب على الصائم الإفطار عند السفر أو المرض، وعند الحيض والنفاس والإرضاع بالنسبة للمرأة، وهذه مجرد أمثلة.

وكل ذلك مما يمكن اعتباره من فقه الطوارئ في المعاملات الفردية، والذي يتضاعف أكثر وأشد في المعاملات الاجتماعية التي تمثل مفردات لما يسمى بالفكر السياسي وعلم الاجتماع.

 ارتيادُ فقه الطوارئ:

إن فقه الطوارئ له مبرراته وله ضوابطه، والكل يعلم أنه لا يجوز استدعاؤه في الأوقات الطبيعية.

ويعلم عامة المسلمين هذا الأمر ويطبقونه في ما يخص الشعائر التعبدية وبعض المعاملات الفردية.

وعندما يتعلق الأمر بالفكر السياسي نجد أن أكثر العلماء يجعلون فقه الطوارئ مهيمناً على الحياة الطبيعية، كمسألة عدم الخروج على الحاكم الظالم التي خرجت من سياق فقه الطوارئ والخوف من الفتنة عندما لا توجد كتلة التغيير إلى أن صارت حكماً عاماً في الأوضاع الطبيعية، أي صار كأنه من ثوابت الدين !

وقد مكّن هذا الأمر للمستبدين، وسمح لجذورهم بالانغراس في الوعي الجمعي حتى صارت أوتاداً لا يمكن اقتلاعها إلا بتضحيات جسيمة، هذا إذا اكتمل الوعي أما بدونه فيتحول الأمر إلى فتنة عمياء!

 ليمونة:

أصبح فقه الطوارئ من أهم عوائق تطور الفكر السياسي الإسلامي، وإن لم تنجح ثورات الربيع العربي في تحقيق أهدافها فسيستفحل فقهُ الطوارئ في التمكين للاستبداد وتعطيل محاولات الفكر السياسي للانعتاق والتطور !

بورك المتفكرون

قُطوفُ الفكر١٠

دموعُ القُدس

سِدْرةُ الدنيا:

القدس هي زهرةُ المدائن وسدرةُ العزائم، حيث تنتهي إليها الرسالات وتنفتح من ثراها الطهور بوابةُ الأرض إلى السماوات، وهي مَجمعُ الخيرات وموئل البَركات، يسري إليها الأنبياء وتعرج منها الملائكة، تهفو إليها القلوب وتعشقها الأرواح، ولقد صيّرها الله مقياس العروج الحضاري للأمم، ولذلك فقد جسّدت العُلوّ اليهودي المعاصر، وهي الآن تُسجّل تراجع هذا العلوّ !

إنها جسر العبور من التخلف إلى التقدم، وقنطرة الانتقال من غياهب الرّدى إلى فراقد الهُدى، وفي أكنافها أسْكَنَ الله الطائفة الظاهرة على الحق حتى تظل نواة لخير أمة أخرجت للناس، ومشكاة لأنوار المتقين، وشوكة لميزان العدل وتوازن العالمين.

 بكاءُ المآذن:

إن مآذن القدس وقبابها تبكي أحوال المسلمين الأليمة، لكنه البكاء الذي لا يقف مسلوب الإرادة أمام الأحوال، بل البكاء الذي يقوم بمراغمة الباطل ومُنازلة الأهوال، حيث يذرف دموع الرّي لشتائل الثورة، الدموع التي تُغذّي أعناق الشموخ وتسقي قلوب الإباء، الدموع التي تملأ أوْرِدَة الحرية وشرايين العزة بدماء الكرامة، الدموع التي تدفع للغضب على هذه الأوضاع والانتصار على كافة الأوجاع وللتمرد على هؤلاء الطواغيت الذين جلّلوا أمتنا بالعار وفرّطوا بالأمجاد وأكاليل الغار.

 حائطُ المَبْكي:

يبدو أن القدس ستظل عنواناً لنصر الأقوياء وحائطاً لبكاء الضعفاء، فمنذ عقود والمسلمون يبكون عند حائط البُراق ذلّهم وهوانهم على أنفسهم قبل هوانهم على الناس!

غير أن البكاء وحده لا يجدي نفعاً، فقد ظل اليهود يبكون قرابة ألفي عام عند (حائط المبكي)، فما أغنى عنهم شيئاً !

وعندما عانقوا الأسباب ورسموا الخطط، وحينما اجترحوا الأعمال وراكموا المنجزات؛ نصرهم الزمان واستكان لهم المكان، حتى نجحوا في انتزاع فلسطين من أيدي المسلمين، تلك الأيدي التي حاولت التشبث بها لكنها كانت واهنة مرتعشة، أوهنتها الاشتباكات الداخلية وأدْمَتْها الضربات الخارجية، وأضعفتها قبل ذلك قلة التغذية وسوء التربية !

دموعُ الجوانح:

الدموع النافعة هي التي تذرفها القلوب لا الأعين؛ لأنها تستحيل إلى سيل هائل يتدفق من الجوانح إلى الجوارح، فتوقظها من مراقدها وتستنهضها من سُباتها، حيث تسقي مَلكات العقل حتى ترتوي، فتقوم بقراءة الواقع وتشخيص العلل، وتتولى وصف الدواء الناجع وتركيب معادلات النهوض وأكاسير الحياة، وتقوم بإعداد آليات منازلة الباطل التي تكفل استعادة الحق وصناعة وسائل النهوض.

إنه البركان المقدس الذي يُذكي الهمَم ويلهب العزائم، يبني إرادات الكرامة ويُقوي خِلال الشجاعة، وهو النهر المبارك الذي يَروي دوحات القوة ويسقي خمائل النهوض.

دموعُ الانتصار:

إن الدموع التي تنسكب بين يدي الله ذي الجلال والإكرام، دموع الانكسار أمام ذي القوة المتين، هي التي تحيي القلوب وتوقظ الضمائر، فتجعلها قويةً في مواجهة أعاصير الصهانية، صامدةً أمام عواصف التآمر الدولي الناتج عن العلو اليهودي، مستعصيةً على رياح الخذلان القادمة من بوادي الأعراب ومدائن النفاق!

إن أهل فلسطين يُقدِّمون للدنيا درساً في عصر الغرور البشري، ويُثْبتون أن الضعف بين يدي الله قوة، وأن الذل أمام باب العزيز عزة، وأن الانكسار أمام جلال الرحمن انتصار.

ولهذا فقد رسم خارطة التحولات العظمى في فلسطين رجلٌ مشلول، وقادها شبابٌ في عمر الزهور، ونفّذها أطفالٌ لم تستقم أعوادهم، لكن أرواحهم التي استفاقت من غيبوبة التغريب، وأقدامهم التي استقامت في محاريب الرجولة، هي التي جعلتهم أقوى من جيوش الأعراب وأعْتى من أسلحة الجبابرة.

 ليمونة:

كما أن دموع الخشية من الله تَقي الأعينَ من نار الآخرة، فإنها تقيها من نار الهوان في الدنيا، ولذلك ما فتئ المقاوم يعتزّ بمقاومته حتى وهو في غياهب السجون !

بورك المتفكرون

تمت بحمد الله
مع تحيات
موسوعة اعرف دينك للعلوم الشرعية





حُداةُ (قطوف الفكر)

احتفائية مرتجلة من عدد من الشعراء ب(قطوف الفكر) للدكتور فؤاد البنا.

١–ألا بُورِك البنَّا وبُــورك سعْيُهُ
فلله كم طابت لديه قُطـــــــوفُ

* * *

ولله مـــــتا أحلى جاَناها وشَهدَها
كأنّا بجنات النــــــــعيم نطوف

* * *

٢–يفيض كمافاضت عــذوبة أنهر
وينثر من در القطـــــوف حروف

* * *

وإبداعـــــــه أضحى لدينا كوجبة
لها تلقف الأروح وهي صـــــنوف

* * *

٣–تضوعُ نسيما في الفؤاد ولحنها
ضياء المعاني للجـــمال رديف

* * *

نعانقها شوقا لســــــــحر بريقها

ومنشدها فـــــــذ الجَنانِ حصيفُ

***

٤–لها مثل أنسام الصباحات في الرُّبا

عبيرٌ أريجيُّ الشـــــــذى وحفيفُ

***

كما أنها في كـــــــل عينٍ ومهجةٍ

لِكل مدارات الفصـــــــول خريفُ

***

٥–وإنّ الذي قد أدهشَ العقلَ أنـــها

قطوفٌ تنير الدرب وهي حـــروف

***

ولكنّـــــــــها فجرٌ تفجَّرَ بالضيا

فضمّ نداها الأُفقُ وهـــو شغوفُ

***

تجيئ كغيثٍ ثمّ تنداحُ لـــــــــؤلؤاً

فـ منها ..وعنها يستحيل عــزوفُ

***

تضمّد جـــــــرحاً نازفاً في قلوبنا

وتسعف فـــــــكراً إن أتاهُ نزيفُ

***

٦–تُحـــــلقُ بالأرواح في رحْبِ أُفْقنا
إذا اطبقَتْ فوق الرِّعاع كهـــــــوفُ

***

هي الغيثُ نفعاً والفضاءُ رَحـــــــابةً
هي الشمسُ نــــوراً والمَضاءُ سيوفُ

***

٧–. وتنهض بالهِمّاتِ وهي علاجـها
وترشدُ للقــــــــــرآن وهي رفيف

***

به نهضة الدنيا فياســـعدأهلـــــها
إذابادرواللحق وهـــــــو شريف

***

٨–نَطُوفُ ونَسعَى والفُـــــؤادَ يَحُفُنْا
بِأفنانِ فِكْــــرٍ كُلَهُنَّ قُطُــــــوفُ

***

فَبَنّاءُ يَبْنِيّ الفكــــــــــر لله دَرُهُ
صَفاءً وإن رَغِمَتْ بِذاكَ أُنُـــوفُ

***

فُــــــؤادٌ لهُ نبضٌ وللنبضِ قِيمَةٌ
وهل تلقى نَبضٌ يعتريهِ وقـــــوفُ

***

الشعراء:

١-علي السيفي

٢-أبو فارس المخلافي

٣-جميلة الرجوي

٤-فيصل البريهي

٥-رمضان الشميري

٦-محمد حسان

٧-فؤاد السيفي

14/12/2016م

